أباه ترغاى المذكور كان أحد أركان دولة السلطان ورأيت فى ذيل تاريخ فارسى يدعى المنتخب وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور وهو شىء عجيب نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيزخان من جهة النساء حبائل الشيطان ولما استولى تيمور على ما وراء النهر وفاق الاقران تزوج بنات الملوك فزادوه فى القابه كوركان وهو بلغة المغول الختن لكونه صاهر الملوك وصار له فى بيتهم حركة وسكون وكان للسلطان المذكور من الوزراء أربعة عليهم مدار المضرة والمنفعة هم أعيان الممالك وبرأيهم يقتدى السالك والترك لهم قبائل وشعب تكاد توازى قبائل العرب وكان واحد من هؤلاء الوزراء كان من قبيله اسراج أراثه فى بيوت تعميرها قبيلة طويله قبيلة أحدهم تسمى ارلات وقبيلة الثانى تدعى جلاير وقبيلة الثالث يقال لها قاوجين وقبيلة الرابع اسمها برلاس وكان تيمور ابن رابعهم فى الناس فنشأ بالبيبيا مصر اطمحا ماحاز ماجاده أربيبا وكان يصاحب نظراءه من أولاد الوزراء ويعاشر أضرابه من فتيان الامراء الى ان قال لهم فى بعض الليالى وقد اجتمعوا فى مكان خال وأخذت منهم العشرة والنشاط وارتفعت استار الاسرار وامتد للبسط بساط ان جدتى فلانه وكانت من ذوى القيافة والكهانه رأت مناما ماذاقت منه أحلاما وعبرته بانه يظهر لها من الأولاد والاحفاد من يدوخ البلاد ويملك العباد ويكون صاحب القران وتذل له ملوك الزمان وذلك هو انا وقد قرب الوقت ودنا فعاهدونى ان تكونوا الى ظهرا وعضدا وجناحا ويدا وان لا تستحيلوا عنى أبدا فاجابوه الى مادعاهم اليه وتقاسموا ان يكونوا فى السراء والضراء معه لا عليه ولم يزالوا يتجاذبون اطراف هذا الكلام فى كل مقام ويتفاوضون فيض غدير هذا الغدر من غير احتشام واكتتام حتى أنس برقه قاطن كل مصر وشام وخاض فى حديثه كل قديم هجرة من خاص وعام وشعر به السلطان وعلم ان غرس خلافه فى دوح المملكة بان فاراد أن يرد كيده فى نحره ويريح الدنيا من شره والعباد والبلاد من عاره وعره ويعمل بموجب ماقيل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ٭ حتى يراق على جوانبه الدم

فاخبره بذلك بعض النامحين فخرج وهى الى حضيض العصيان وهو سالم فعرج ويمكن انه فى بعض هذه الاوقات واثناء هذه الحالات توجه الى الشيخ شمس

الدين المشار اليه واسعده كما ذكر فيما عول عليه فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنه ونحته من مستغلقات الامكنه انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري وهمة الشيخ زين الدين الخوافي وما لقيت من بركه الا بالسيد بركه وسيأتي ذكر زين الدين وبركه ثم قال تيمور ما فتحت أبواب السعادة والدولة على ولا ضحكت عروس فتوحات الدنيا الى الامن سهام سجستان ومن حين أصابني ذلك النقصان انا في ازديادالى هذا الزمان والظاهر ان بدو أمره وخروجه في تلك الفئة كان فيما بين الستين والسبعين والسبعمائة وقال لي شيخي الامام العالم العامل الكامل المكمل الفاضل فريد الدهر وحيد العصر علامة الورى أستاذ الدنيا علاء الدين شيخ المحققين والمدققين قطب الزمان مرشد الدوران أبو عبد الله محمد بن محمد البخاري نزيل دمشق أدام الله تعالى أيام حياته وأمد الاسلام والمسلمين بيامن بركاته في شهور سنة ست وثلاثين وثمانمائة ان تيمور قتل السلطان حسينا المذكور في شعبان سنة احدى وسبعين وسبعمائة ومن ذلك الوقت استقل بالملك وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانمائة على ما سيأتي فمدة استيلائه مستقلا ست وثمانون سنة وذلك خارجا عن مدة خروجه وتحزبه الى حين استيلائه ولما خرج صار هو ورفقاؤه يخرمون في بلاد ما وراء النهر ويعاملون الناس بالعدوان والقهر فتحرك لدفعهم كل ظاعن وساكن وضيقوا عليهم تلك المغاني والاماكن فقطعوا جيحون وصفرمنهم ذلك المكان فاشتغلوا بالحرم في بلاد خراسان خصوصا في ضواحي سجستان ولا تسأل عما أفسد في فدافد خراسان ومفاوز باورد وماخان فذهب بعض الليالي وقد أضر بهم السغب واشتغل فيهم من الجوع اللهب فدخل حائطا من حوائط سجستان قد أوى اليه بعض رعاء الضان فاحتمل منها راسا وأدبر فشعر به الراعي وأبصر فاتبعه للحين وضربه بسهمين أصاب بأحدهما فخذه وبالآخر كتفه فلله دره ساعدا اذ أبطل بهذا الضرب الموزون نصفه ثم أدركه واحتمله والى سلطان هراة المسمى بملك حسين أوصله فلما ضربه أمر بصلبه وكان للسلطان ابن رأيه غير متين يدعى ملك غياث الدين فشفع فيه واستوهبه من أبيه فقال له أبوه انه لم يصدر منك ما يدل على صلاحك ويسفر عن نجابتك وفلاحك وهذا جعفتاني حرامي مادة الفساد ائن أبقى لهلكن العباد والبلاد

فقال ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمي وقد أصيب بالدواهي ورمي ولا شك ان أجله قد اقترب فلا تكونن في موته السبب فوهبه اياه فوكل به من داواه الى ان اندمل جرحه وبرى قرحه فكان في خدمة ابن سلطان هراه من أعقل الخدم واضبط الكفاه فتوفرت عنده حرمته وارتفعت درجته وسمعت كلمته فعصى من نواب السلطان نائبه المتولي على سجستان فاستدعى تيمور أن يتوجه اليه فاجابه الى ذلك وعول عليه وأضاف اليه طائفة من الاعوان فوصل الى سجستان وقبض على نائبها المتمادي في الطغيان واستخلص أموال تلك البلاد وأخذ من أطاعه من الاجناد وتلا آية العصيان بالجهر وارتحل عن عسه الى ما وراء النهر (وقيل) بل كان في خدمة ابن السلطان الى ان ودع أبوه الحياة وانتقل واستقر ولده في الملك واستقل فعند ذلك هرب تيمور الى ما وراء النهر وقد قوي منه الرأس والظهر وكان اذ ذاك قد اجتمع عليه رفقاه وانحاز اليه أصحابه المتحزبون وعشراؤه فارسل غياث الدين الطلب وراءهم وقصد ان يكفي المسلمين شرهم وعناءهم وهيهات فقد كان سبق العذل السيف وضيع اللبن في الصيف

(ذكر عبوره جيحون على فتره وما جرى من العبرات بهذه العبره)

فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك مثلهم طاغيا ولم يمكنهم التواني لان الطلب كان خلفهم ساعيا فقال تيمور لاصحابه النجاه النجاه ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته وليلق نفسه في المياه وتواعدوا الى المكان وقال توجهوا من غير توان فمن لم يأت الموعد يعلم أنه قد فقد فتهافتوا هم وخيولهم في ذلك الماء العجاج والتيار الزخار والامواج تهافت الفراش على السراج ولم يعلم واحد منهم حال الآخر ولا اطلع من تقدم منهم على أمر من تأخر وكابدوا أحوال الموت وشاهدوا أهوال الفوت فنجوا ولم ينقص منهم أحد واجتمعوا الى ذلك الموعد وذلك بعد ان أمنت منهم البلاد واطمأن في ممالكها كل رائح وغاد فجعلوا يتجسسون الاخبار ويتتبعون الآثار ويحاربون الله ورسوله ويؤذون عباده ويقطعون سبيله ولم يزل على ذلك يجري ويمشي الى ان وصل مدينة قرشي

(ذكر ما جرى له من الخطبه في دخوله الى قرشي وخلوصه من تلك الورطه)

فقال

فقال يوما لاصحابه وقد أضر به الدهر واضرى به واخصب منهم ربع الفساد واعشب ان بالقرب منا مدينة تخشب مدينة أبي تراب النخشبي رحمة الله عليه مدينة مصونة مسورة مكنونة ائن ظفرنا بها التكرن لنا ظهرا وملاذا وملجأ ومعاذا وان حاكمها ومن لو حصلناه وأخذنا ماله وقتلناه لتقوينا بماله من خيول وعدة ولحصل لنا الفرج بعد الشدة وأنا أعلم لها من عمر المماضر با هين الوصول واسعار حبا فشمروا ذيلهم وتركوا في مكان خيلهم واستعملوا في نيل مرادهم ليلهم ودخلوا حبس المدينة وقصدوا بيت الامير ورفعوا أيديهم فصادفوا بدهم والمصير وكان الامير في البستان خارج البلد فاخذوا ما وجدوا له من أسلحة وعدد وركبوا خيله وقتلوا من وجدوا من الا كابر قبله فاجتمع عليهم اهل البلد وأرسلوا الى الامير فادركهم بالمدد فتراكم عليهم البلاء باطنا وظاهرا فلم يجدوا لهم سوى الاستسلام ناصرا فقال له أصحابه لقد القينا بأنفسنا الى حقيقة الهلاك من هذا المجاز فقال لا عليكم في مثل هذه المواطن يمتحن الرجل ويراز فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا واندفعوا نحو باب المدينة يدا واحدة زحفا حاطمين على العدو من غير توان ولا هدو فاني أظن أنه لا يثبت لكم شئ ولا يقف امامكم حي فامتثلوا أمره ورفعوا الصوت وقصدوا الباب خائضين غمار الموت وهجموا على العسا كر هجوم الليث واندفقوا اندفاق الغيث ففتح لهم عند دفعهم الباب لامر يريده مسبب الاسباب فلم يلوا امامهم أحد على أحد ولا نفعه ما هو فيه من العدد والعدد ثم انثنوا الى مكانهم سالمين ولم يزالوا على ذلك عائثين فاغرين واجتمع عليهم أصحابهم وانحاز اليهم في الفساد أضرابهم فصار وانحوا من ثلاثمائه وممن يتحيز اليهم من أهل الشرفته فارسل اليهم السلطان عسكرا غيره كثرت بهم فكسروه واستولوا على حصن من الحصون فجعلوه معقلا لكل ما ادخروه شعر

لا تحقرن شأن العدو وكيده ❊ فلربما صرع الاسود الثعلب

(وقيل) ❊ ان البعوضة تدمي مقلة الاسد ❊

(وقيل) ❊ ولربما قرت بالبيدق الشاه ❊

❊ذكر من أسرفي فتنة ذلك الجاف واستعبده من أحرار ملوك الاطراف❊

وأرسل تيمور الى ولاة بلخشان وكانت الولاة بها الاخوين وهما بها مستقلان تلقيا

ذلك من أبيهما وكان السلطان نزعهما من أيديهما ثم أقرهما فيهما على ان يكونا من تحت أمره واسترهن أولادهما عنده فصار أسيرى قهره فلما راسلهما تيمور على طاعته أجاباه ودخلا تحت كلمته

﴿ذكر نهوض المغل على السلطان وكيف تضعضعت منه الاركان﴾

ثم ان المغول نهضت من جهة المشرق على السلطان حسين فاستقدلهم وقطع جيحون ورقع الحرب بين الجهتين فانكسر السلطان فراسلهم أيضا ذلك الجان واسمهم حاكمهم قمر الدين خان فأجابوا مراده واقتفوا ما أراده وسلطوه على السلطان ليستخلص من يده بلاده وواعدوه بمظاهرتهم وأمدوه بمظاهرتهم ورجعوا الى بلادهم وقد أسلموه زمام قيادهم فقويت بذلك شوكته وسكنت القلوب هيبته فلم يسع السلطان الا بذل الجهد والامكان فى اطفاء نائرته وقطع دابرته فجعله نصب عينيه وتوجه بنفسه اليه بعسكر جرار كالبحر الزخار حتى انتهى الى مكان يسمى قاغلغار وهو صدفان بينهما مضيق هو الجادة العظمى والطريق يسمى المارق ذلك مقدار ساعة وفى وسط الدرب باب اذا أغلق وأحمى فلا شئ مثله فى المناعة وهو البه جبال كل منهما فى فنه قد شمخ وقدمه قد غاص ثبوتا ورسخ فصح ان يقال فيه أنف فى السماء واست فى الماء فأخذ العسكر فم ذلك الدربند من جهة سمرقند وتيمور على الجانب الآخر وهو كالضايق والحاصر

﴿ذكر الحيلة التى صنعها والخديعة التى ابتدعها﴾

فقال تيمور لأصحابه انى أعرف ههنا جادة خفية ما سلكها أبيه لا تطأها الخطا ولا يهتدى اليها القطا فهلم نسرى ليلنا ونقود فى السرى خيلنا فنصبحهم من ورائهم وهم آمنون فان أدركناهم ليلا فنحن الفائزون فأجابوه الى ذلك وشرعوا فى قطع تلك الوعور والمسالك وسار واليلهم أجمع وبلغ الفجر المطلع فأدركهم الصباح ولم يدركوا الجيش فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش ولم يمكنهم الرجوع وأذنت الشمس بالطلوع فوصلوا الى العسكر وقد أخذ فى التحميل وعزم على الرحيل فقال أصحابه بئس الرأى فعلنا فى قبضة العدو جعلنا لقد وقعنا فى الاشراك وألقينا بأيدينا أنفسنا الى الهلاك فقال تيمور

لاضرر توجهوا نحو العسكر وانزلوا بمرأى منهم على خيلكم واتركوها ترعى واقضوا من وزد النوم والراحة مافاتكم في ليلكم فتراموا عن خيلهم كأنهم صرعى وتركوا خيولهم ترعى شعر

واذا السعادة لاحظتك عيونها ❊ نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل ❊ واقتد بها الجوزاء فهى عنان

فجعل العسكر يرمقهم ويخالهم من أحزابهم حتى اذا استراحوا ركبوا خيولهم وصاحوا ووضعوا السيوف في أعدائهم راكبين أكتافهم من ورائهم فقتلوهم قتلاذريعا وغادروهم جريحا وصريعا وهم الخطب المدلهم ولم يعلم أحد البلاء كيف دهم واتصل الخبر بالسلطان وقد خرج التلافي من حيز الامكان فهرب الى بلخ وقد أسلخ من المملكة أى سلخ وشرع تيمور في النهب والغارات والسلب ثم ضبط الاثقال وجمع الاموال ولم يراع الناس والمداره وأطاعوه وهم مابين راض وكاره واستولى على ممالك ماوراء النهر وتسلط على العباد بالغلبة والقهر وأخذ في ترتيب الجنود والعساكر واستخلاص الحصون والدساكر وكان نائب سمرقند واحد الاركان شخصا يدعى على شير من جهة السلطان فكاتبه تيمور على أن تكون الممالك بينهما نصفين ويكون معه على السلطان حسين فرضى على شير بذلك وقاسمه الولايات والممالك وتوجه اليه وتمثل بين يديه فزاد في اكرامه وبالغ في احترامه

❊ذكر توجهه الى بلخشان واستنصاره بمن فيها على السلطان❊

ثم انه ترك على شير بعدما ركن اليه وقصد بلخشان فاستقبله ملكاها وتمثلا بين يديه وأتحفاه بالهدايا والخدم وأمداه بالجيوش والحشم فسار وهما معه من بلخشان قاصدين بلخ لمحاصرة السلطان فتحصن منهم فأحاطوا به من كل مكان فأخرج أولادهما الذين كانوا عنده في الرهان فضرب أعناقهم بمرأى من أبويهم ولم يرق لهم ولا من عليهم ثم انه ضعف حاله وقل عنه خيله ورجاله فنزل مستسلما للقضاء والقدر راضيا بما ذهب في قضاء الله عاجلا ومر فقبض عليه تيمور وضبط الامور ثم رد أميرى بلخشان اليها مكرمين وتوجه الى سمرقند ومعه السلطان حسين

وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين بعد ما خلا من الهجرة سبعمائة سنين ووصل الى سمرقند واتخذها دار ملكه وشرع في تمهيد قواعد الملك ونظمها في نظام سياسته وسلكه ثم انه قتل السلطان وأقام من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من ذرية جنكيزخان وقبيلة جنكيزخان المتفردين باسم الخان والسلطان لانهم هم قريش الترك لا يقدر أحد أن يتقدم عليهم ولا يمكن أحد من انتزاع ذلك الشرف من أيديهم ولو قدر أحد على ذلك لكان تيمور الذي استخلص الممالك وسلك المسالك فرفع سيورغاتمش دفعا للطاعن وقطعا للسان سنان كل طاعن واغا القب تيمور الامير الكبير وان كان في أمره كل مأمورهم وأمير والخان في أسره كالحمار في الطين وشبيه الخلفاء بالنسبة في هذا الزمان الى السلاطين واستمر على شيرنا ثباتي سمرقند وكان يكرمه ويستشيره في أموره ويقدمه

﴿ذكر وثوب توقتاميش خان سلطان الدشت وتركستان﴾

ثم ان توقتاميش خان سلطان الدشت والتتار راى ما جرى بين تيمور والسلطان فاردم قلبه وغار وذلك لاجل النسب والجوار وهيأ العسكر الجرار والجيش الزخار وتوجه الى مصاف تيمور من جهة سغناق واترار فخرج اليه تيمور من سمرقند وتلاقيا باطراف تركستان قريبا من نهر خجند وهو نهر سيحون وسمرقند بين نهرى سيحون وجيحون فقامت بين العسكرين سوق المحاربة ولم ينفق بينهم فيها سوى معاملات المضاربة ولازالت رحى الحرب تدور الى أن انطحن عسكر تيمور فبينما عسكره قد فل وعقد جنوده انحل وادبر جل يقال له السيد بركة قد أقبل فقال له تيمور وهو في غاية الضرر ياسيدى السيد جيشى انكسر فقال له السيد لا تخف ثم نزل السيد عن فرسه ووقف وأخذ كفا من الحصبا وركب فرسه الشهبا ونفخها في وجه عدوهم المردى وصاح بقوله ياغي قاجدى وصرخ بها تيمور تابعا ذلك الشيخ النجدى وكان هائل الصوت فكانه دعى الابل الظمأى بجوت جوت فعطفت عساكره عطفة البقر على أولادها وأخذت في المجالدة مع اضدادها وانداها ولم يبق في عسكره من جذع ولا قارح الا وهو بقوله ياغي قاجدى صائح ثم انهم كروا كرة واحدة بهمة متعاقدة وتهمة متعاضدة

فرجع جيش توقتاميش منهزمين وولوا على أعقابهم مدبرين فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف وسقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف وغنموا الاموال والمواشي وأسروا وساط الرؤس والحواشي ثم رجع تيمور الى سمرقند وقد ضبط أمور تركستان وبلاد نهر خجند وعظم لديه السيد بركه وحكمه في جميع ما استولى عليه وملكه وهذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا بمصر جاما فذهب الى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره وتسامى ومن قائل انه كان من أهل المدينة الشريفة ومنهم من يقول انه من أهل مكة المنيفة وعلى كل حال فانه كان من أكابر الأعيان في بلاد ما وراء النهر وخراسان لاسيما وقد أمد تيمور بهذه النجدة وخاصة بهذه الطيفة المصادفة للقضاء والقدر في هذه الشدة فقال تيمور تمن علي واحتكم لدي فقال له يامولانا الامير ان أوقاف الحرمين الشريفين في الاقاليم كثير ومن جملة ذلك اندخوى من عمالات خراسان وأنا وأولادي من جملة مستحقي ذلك الاحسان واذا أقيم أصل ذلك وخصه وعلم دقه وخفيه وضبطت أوقافه ومصارف ذلك ومصارفه ما كانت حصتي وحصة أولادي أقل من هذه القصبة في هذا الوادي فأطعني اياها فأقطعه اياها مع مضافاتها واعمالها وقراها وهي الى الآن في يد بني أولاده وأسباطه وأحفاده

(ذكر على شير مع تيمور وما وقع بينهما من المخالفة والشرور)

ثم ان تيمور وقع بينه وبين على شير مخالفه وانحاز الى كل منهما طائفة فاغتاله تيمور وختله ثم قبض عليه وقتله فصفت الولايات والممالك لتيمور بعض الصفا وهرول الى طاعته من الناس كل وجه ورأس كانا في التأبي وقفا

(ذكر ماجرى لدعار سمرقند والشطار مع تيمور وكيف أحلهم دار البوار)

وكان في سمرقند طائفة من الدعار كثيرون وهم أنواع فنهم مصارعون ومناقفون وملاكمون ومعالجون وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن والعداوة والمقاتلة بينهم قائمة على مر الزمن ولكل طائفة منهم رؤس وظهور واعضاد وضروس وكان تيمور مع ابهته يخافهم لما كان يظهر له عنادهم وخلافهم فكان اذا قصد جانبا أقام له في سمرقند نائبا فاذا بعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة

نقضوا النائب أو خرجوا اسم النائب وأظهروا المخالفة فإذا رجع تيمور الاوقد انفرد نظامه وتخبطت أموره وتشوش مقامه فيحتاج الى تجديد وتمهيد وتخريب وتشييد فيقتل ويعزل ويعطي ويجزل ثم يتوجه الى تمهيد ممالكه وتوطيد مسالكه فيعودون الى مكرهم ويؤوبون الى خداعهم ومكرهم وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار فضاق تيمور ذرعا بالاشرار والدعار فأعمل الحيلة في اغتيالهم وكف اذاهم واستئصالهم فصنع سورا ودعا اليه الخلائق كبيرا وصغيرا وصنف الناس أصنافا وجعل كل ذي عمل الى عامله مضافا وميز أولئك الدعار مع رؤسائهم على حدة وفعل معهم ما فعله انوشروان بن كيقباد بالاحدة وأرصد له في أحد الاطراف أنصارا وقرر معهم ان كل من أرسله اليهم يولونه دمارا ويكون ارساله اليهم على قتله شعارا ثم انه جعل يدعو رؤس الناس ويسقيهم بيده الكاس ويخلع عليهم أنفس اللباس واذا أفضت النوبة من أولئك الدعار الى أحد سقاه كاسه وخلع عليه وأشار أن يتوجه به الى نحو الرصد فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل ثوب الحياة وتملكوه وسكبوا عسجد قالبه في بوتقة الفناء فسبكوه الى أن أتى على آخرهم واستوفى بذلك قطع دابرهم ومحا آثارهم واطفأ نارهم فصفت له المشارع وخلا مملكته من مجاذب ومنازع ولم يبق له فيما وراء النهر عائق ولا مدافع

(فصل في تفصيل ممالك سمرقند وما بين نهري بلخشان وخجند)

فمن ذلك سمرقند وولاياتها وهي سبعة تومانات وأند كان وجهاتها وهي تسعة تومانات والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف مقاتل وفيما وراء النهر من المدن المشهورة والاماكن المعتبرة المذكورة سمرقند وسورها قد عمل على ما زعموا اثنا عشر فرسخا وكان ذلك على عهد السلطان جلال الدين قبل جنكيزخان ورأيت جدسورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور وسماها دمشق ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي فيسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة (ومن مدن) ماوراء النهر مرغينان وهي التخت كانت قديما وبها كان ايلك خان ومنها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية رحمه الله وخجند

وهى على ساحل سيحون وترمذ وهى على ساحل جيحون ونخشب وهى قرشى المذكورة والكش وبخارى واندكان وهى اماكن مشهورة وغير ذلك (ومن الولايات) بلخشان وممالك خوارزم واقليم صغانيان الى غير ذلك من الاطراف الواسعة والاكناف الشاسعة وفى عرفهم ما وراء النهر الى جهة الشرق توران وما كان فى هذا الطرف الى جهة الغرب ايران ولما اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد كانت توران لافراسياب وايران لكيكاوس بن كيقباد وعراق هو مغرب ايران

﴿ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر بعد استقضائه ممالك ما وراء النهر﴾

ولما صفت له ممالك ما وراء النهر وذلت لاوامره صوامح الدهر شرع فى استخلاص البلاد واسترقاق العباد وجعل ينسج بانامل الحيل الاشراك والاوهاق ليصطاد بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين الآفاق فاول ما صاهر المغول وصافاهم وهادنهم وهاداهم وتزوج ببنت قمر الدين ملكهم وصار آمنا من تبعتهم ودركهم وهم جيرانه من جهة الشرق ولا تباين بينه وبينهم ولا فرق اذ الملة وهى الجنسية والمصاهرة والمجاورة حاصلة للجهتين والملة وهى التوراة الجنكيزخانية فاشية فى كلا الدولتين فامن شرهم وكفى كيدهم وضرهم

﴿ذكر تصميمه العزم وقصده جمع الاطراف واولا ممالك خوارزم﴾

فحين امن مكرهم وسد بالمصالحة ثغرهم صمم العزم على التوجه الى ممالك خوارزم وهم مجاوره غربا بالشام ومباينوه بتشبيه قواعد الاسلام وتختهم مدينة جرجان وهى من اعظم البلدان وهذه المملكة ذات مدن عظيمة وولايات جسيمة تختها مجمع الفضلاء ومحط رحال العلماء ومقر الظرفاء والشعراء ومورد الادباء والكبراء ومعدن جبال الاعتزال وينبوع بحار اهل التحقيق من ارباب الهدى والضلال نعمها كثيرة وخيراتها غزيرة ووجوه فضائلها مستنيرة واسم سلطانها حسين صوفى وهو من الاعتقادات الباطلة قد عوفى ومدن ما وراء النهر وضع بعضها قريب من بعض لانها كلها مبنية باللبن والآجر على الارض واهل خوارزم كاهل سمرقند فى اللطافة وافضل من اهل سمرقند فى الحشمة والظرافة

يتعاطون المشاعرة والادب ولهم فى فنون الفضل والمحاسن أشياء عجب خصوصا فى معرفة الموسيقى والانغام ويشترك فى ذلك منهم الخاص والعام ومما هو مشهور عنهم أن الطفل فى المهد منهم اذا بكى أو قال آه فان ذلك يكون فى شعبة دوكاه فلما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين صوفى قد مات فنهب حواليها وما وصلت يده اليه منها ولم يقدر عليها فلم يكترث بها ولا التفت اليها ثم لم أطراف حاشيته وعاد الى ممالكه

(ذكر عوده ثانيا الى خوارزم)

ثم انه شد حزام الحزم وكر ثانيا الى خوارزم باستعداد تام وجيش طام وكان سلطانها أيضا غائبا وأقام لجمله بكرها خاطبا فحاصرها وضاجرها وشدد على أعناق مسالكها التلابيب وكاد أن يتشبث باذيالها منه المخاليب فخرج اليه رجل من أعيانها وكان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها يقال له حسن سوريج والتمس أن يرفع عنهم ذلك الامر المريج وأن يبذل له ما طلب فى مقابلة ما يريد من أسير وسلب فطلب منه حمل مائتى بغل فضة ترفع الى خزائنه نضه فلم يزل يراجعه ويلاطفه ويعانده حتى صالحه على ربع سؤاله وقام المصالح بذلك من ماله وصلب حاله ووزن له ذلك فى الحال وأخذ تيمور فى الترحال وكف عن الاذى شياطين جنده وعزم على التوجه الى سمرقنده

(ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراه الذى خلصه من الصلب وراوده فيه أباه)

ثم انه راسل سلطان هراه ملك غياث الدين الذى كان مغيثه عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه وطلب منه الدخول فى ربقة الطاعه وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه والاقصد دياره وبلغه دماره فأرسل ملك غياث الدين يقول صحبة الرسول أما كنت خادمك وأحسنت اليك وأسبلت ذيل احسانى ونعمتى عليك فخليت وقتلت وفتكت وفعلت وفعلت فعلتك التى فعلت وذلك بعد أن نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا تعرف الاحسان فكن كالكلب فعبر جيحون وتوجه اليه فلم يكن لغياث الدين قوة الوقوف بين يديه فارسل الى حشمه

وسكان هراه فاجتمعوا هم ومواشيهم حول هراه وحفر خندقا حول البساتين محيطا بالرماع وضعفة المساكين وحصر نفسه فى القلعة وحسب أن يكون له بذلك منعه وذلك لركاكة رأيه أولا وآخرا وجمود قريحته وقلة عقله وانعكاس فكره ودولته قال شعر

من لم يصادف سعده تقديره * يخطفه فى تدبيره تدميره

فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار ولكن أحاطت به العساكر دائرا ما دار ومكث تيمور فى الامن والدعه وعدوه فى الضيق بعد السعه فاضطربت الرؤس والحواشى ومارت الانعام والمواشى وغص البلد بالزحام وهلكت الخواص والعوام وأضناهم السغب وعلاهم الصراخ والصخب فأرسل اليه السلطان يطلب منه الامان وعلم أنه اختنق بسببه وأنه أعانه أولا فبلى به فذكره سابقة العرفان وما أسداه اليه من احسان وطلب منه تأكيد الأمان بالايمان فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم وأن لا يراق له دم ولا يمزق له أديم فخرج اليه ودخل عليه وتمثل بين يديه فدخل تيمور الى المدينة وصعد الى قلعتها الحصينه وصحبته السلطان وقد أحاطت به جنود هراة والاعوان فأشار واحد من أبطال صاحب هراه على السلطان أن يقتل تيمور ويجعل نفسه فداه وقال له ما معناه أنا أفدى المسلمين بنفسى ومالى وأقتل هذا الأعرج ولا أبالى فلم يجبه الى اشارته واستسلم لقضاء الله تعالى وارادته وقال ان لله تعالى تصريفا فى عباده ولا بد أن ينفذ فيهم سهم مراده ولا مفر من القضا ولا مجير مما قدر الله تعالى وقضى شعر

واذا أتاك من الامور مقدر * وفررت منه فنحوه تتوجه

وهذا امر لابد من ظهوره فلا تبحث عن حقيقة أموره فرغالب القضاء غالب ومن ناهب الزمان سلب ومن قاوى تيار المقدور غرق ومن استلذ بالغفلة فى مشارب اللهو شرق وذكر فى ذلك الوقت مقالة أبيه له واطلع على تحقيقه ولكن السهم خرج فما أمكن رده الى فوقه

﴿ذكر اجتماع ذلك الجافى بالشيخ زين الدين أبى بكر الخوافى﴾

وكان فى بعض قدمائه خراسان سمع أن فى قصبة خواف رجلا قد منحه الله تعالى

الالطاف عالما عاملا كبيرا فاضلا ذا كرامات ظاهره وولايات باهره وكمالات زاهره ومقامات طاهره ومكاشفات صادقه ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقه يدعى الشيخ زين الدين أبابكر الطائر اجتهاده فى حظيرة القدس أعلى ركن فقصد تيمور رؤيته وتوجه اليه وجماعته فقالوا للشيخ ان تيمور قادم عليك وواصل اليك يقصد رؤيتك ويرجو بركتك فلم يفه الشيخ بلفظه ولا رفع لذلك لحظه فوصل تيمور اليه ونزل عن فرسه ودخل عليه والشيخ مشغولا بحاله على عادته جالس فى فكره على سجادته فلما انتهى اليه قام الشيخ فحدردب تيمور منكبا على رجليه فوضع الشيخ على ظهره يديه وقال تيمور لولا أن الشيخ رفع يديه عن ظهرى بسرعة لخلته انقض ولقد تصورت أن السماء وقعت على الارض وأنا بينهما رضضت أشد رض ثم انه جلس بين يدى ذلك المنتخب على ركبتى الادب وقال له بالملاطفة فى المحاوره على سبيل الاستفهام لا المناظره ياسيدى الشيخ لم لا تأمرون ملوككم بالعدل والانصاف وأن لا يميلوا الى الجور والاعتساف فقال له الشيخ أمرناهم وتقدمنا بذلك اليهم فلم يأتمروا فسلطناك عليهم فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبه وقال ملكت الدنيا ورب الكعبه وهذا الشيخ هو الموعود بذكره ثم ان تيمور قبض على ملك هراه واحتاط على ما ملكت يداه وضبط ولاياتها جانبا جانبا وقرر لكل جانب نائبا وتوجه الى سمرقند قافلا عابأمكنه وحبس السلطان فى المدينه وأرصد عليه بابها ووكل بحفظه أصحابها وأضاف اليهم أسده الحفاظ الزبانية الشداد الغلاظ وذلك لحلفه أن لا يريق دمه وأن يحفظ له ذممه فلم يرق له دما ولكنه قتله فى الحبس جوعا وظما

﴿ذكر عوده الى خراسان وتخريبه ولايات سجستان﴾

ثم عاد الى خراسان وقد عزم على الانتقام من سجستان فخرج اليه أهلوها طالبين الصلح والصلاح فأجابهم الى ذلك على أن يعدوه بالسلاح فأخرجوا اليه ما عندهم من عدده ورجوا بذلك الفرج من تلك الشده فحلفهم وكتب عليهم قسامات بالفه ان مدينتهم غدت من السلاح فارغه فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم

فأضاف بهم جنود المنايا عن بكرة أبيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر
ومحاها فلم يبن لها عين ولا أثر ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب وما فعل ذلك بهم
الا لانه أولا منهم أصيب وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن
أبي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة الجقمقية في سنة ثلاث وثلاثين
وثمانمائة ان الذين تخلصوا من القتل من أهل سجستان بهزيمة أو غيبة أو بنوع
لطيفة من الله تعالى المنان لما تراجعوا اليها بعد رجوع تيمور عنها أرادوا أن
يجمعوا بها فأضلوا يوم الجمعة وما اهتدوا اليه حتى أرسلوا الى كرمان من دلهم عليه

(ذكر قصد ذلك الغدار ممالك سبزوار وانقيادها اليه وقدوم واليها عليه)

ثم لما أثار بسجستان ما أثار قصد بعساكره مدينة سبزوار وكان واليها يدعى حسن
الجوري مستقلا بالامارة وهو رافضي فما أمكنه الا الاطاعه واستقباله من
الهدايا بالخدم بما استطاعه فأقره على ولايته وزاد في رعايته

(فصل) وكان من عادة تيمور ومكره انه كان في أول أمره اذا نزل بأحد
مستضيفا استنسبه وحفظ اسمه ونسبه وقال له اذا بلغك أني استوليت وعلى
الممالك استقليت فأتني بعلامة كذا فاني أكافيك اذا فلما انتشر ذكره وشاع
أمره وفشا في الدنيا خيره وخبره هرعت الناس بالعلائم اليه ووفدت من كل فج
عميق عليه وكان ينزل كل أحد منزلته ويحله مرتبته

(ذكر ما جرى لذلك الداعر في سبزوار مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار)

وكان في مدينة سبزوار رجل شريف من الشطار يدعى السيد محمد السربدال معه
جماعة من الرجال كلهم دعار يسمون السربدالية يعني الشطار وكان هذا السيد
رجلا مشهورا بالمآثر والفضائل مذكورا فقال تيمور علي به فاني ما جئت
الا بسببه وقد كنت متشوقا اليه ومتشوفا لعلم ما لديه فدعوه له فدخل عليه
فقام اليه واعتنقه وقابله ببشرة منطلقه وأكرمه وأدناه وقال في جملة نجواه
يا سيدي السيد قل لي كيف أستخلص ممالك خراسان واحويها واني أحوزها
أدانيها وأقاصيها وماذا أفعل حتى يتم لي هذا الامر وارتقي هذا المسلك الصعب
الوعر فقال له السيد يا مولانا الامير أنا رجل فقير وقير من آل الرسول من أين

أنا وهذا الفضول وانى وان قيل لى شريف رجل عاجز ضعيف لا طاقة لى بوارد الملك ومن أنا حتى أتشاوف اصالح الملك ومن داخل الملوك أو خارجهم أو عارضهم فى أمورهم أو مازجهم كان كالهائم فى مجمع البحرين وكالجاثم فى منتطح الكبشين والخارج فى لغته لحان وشتان ما بين المأمون والطحان فقال لا بد ان تدلنى على هذه الطريقة وتخبرنى من المجاز الى هذه الحقيقة ولولا انى تفرست فيك ذلك وتكهنت ان برأيك تقتدى المسالك ولولا انك أهل لهذه المعرفة ما فهت لك ببنت شفه ولا استغنيت عنك استغناء التفه عن الرفه فان فراساتى اياسيه وقضاياى كلها قياسيه فقال ذلك المشير أيها الامير أوتسمع فى هذا مقالتى وتتبع اشارتى فقال ما استشرتك الا لا تبعك ولا جاريتك الا لامشى معك فقال ان أردت ان يصفو لك المشرب وتنال الممالك من غير ان تتعب فعليك بخواجه على ابن المؤيد الطوسى قطب فلك هذه الممالك ومركز دائرة هذه المسالك فان أقبل عليك بظاهره لم يكن بباطنه الا معك وان ولى عنك بوجهه فلن يفيدك غيره وان ينفعك فكن على استجلاب خاطره وحضوره اليك أبلغ جاهد فانه رجل صاب وظاهره وباطنه واحد وان طاعة الناس منوطة بطاعته وأفعال الكل مربوطة باشارته فاذا فعل فعلوا فان حط حطوا وان رحل رحلوا وكان هذا الرجل أعنى خواجه على المذكور رجلا شيعيا هو والياعليا يضرب السكة باسم الاثنى عشر اماما ويخطب باسمائهم وكان شهما اهماما ثم قال السيد يا أمير ادع خواجه على فان لبى دعوتك وحضر حضرتك فلا تترك من أنواع الاحترام والتوقير والاكرام والتكبير شيأ الا وأوصله اياه فانه يحفظ لك ذلك ويراعاه وأنزله منزلة الملوك العظام فى التعظيم والتوقير والاحترام ولا تدع معه شيأ عايليق بحشمتك فان ذلك كله عائد الى حرمتك وعظمتك ثم خرج السيد من عند تيمور وجهز قاصده الى الخواجه على المذكور يقول له انه قد مهد له الامور فان جاءه قاصده فلا يتوقف عن الطاعه ولا يقعد عن التوجه اليه ولا ساعه ويكون منشرح البال آمنا سطواته فى الحال والمال فاستعد خواجه على لقدوم الوارد وورود القاصد وهيأ الخدمات والتقادم والحولات وضرب باسمه واسم متولاه الدرهم والدينار وخطب باسمهما فى جوامع الامصار وقعد لامره منجزا وأقام للطلب مستوفزا واذا بقاصد تيمور

جاءه منه بكتاب فيه من ألطف كلام وألين خطاب يستدعيه مع انشراح الصدر وتوفير التوقير وتكثير البر فنهض من ساعته ملبيا بلسان طاعته ولم يلبث غير مسافة الطريق وقدم بأمل فسيح وعهد وثيق فلما أخبر بوفوده جهز لاستقباله اساورة جنوده وسر سرورا شديدا وكانه استأنف ملكا جديدا فلما وصل قدم هدايا فاخره وتحفا متكاثره وظرائف ملوكيه وذخائر كسرويه فعظمه تعظيما بالغا واولاه انعاما سائغا واسبل قامة رجائه من خلع اعزازه واكرامه ذيلا سائغا واستقر به على ولايته وزاد في بره وكرامته فلم يبق في خراسان أمير مدينه ولا نائب قلعة مكينه ولا من يشار اليه الا وقصد تيمور واقبل عليه فمن أكابرهم أمير محمد حاكم باورد وأمير عبد الله حاكم سرخس وانتشرت هيبته في الآفاق وبلغت سطوته مازندران وكيلان وبلاد الري والعراق وامتلأت منه القلوب والاسماع وخافه القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع وكل هذا في مدة قصيرة وأيام قلائل يسيره نحو من سنتين بعد قتله السلطان حسين

﴿ذكر مراسلة ذلك الشجاع سلطان عراق العجم أبا الفوارس شاه شجاع﴾

ولما صفت له بلاد خراسان وأذعن لطاعته كل قاص ودان راسل شاه شجاع سلطان شيراز وعراق العجم يطلب منه الطاعة والانقياد وارسال الاموال والخدم ومن جملة كتابه وفحوى خطابه ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام والجائرين من ملوك الانام ورفعني على من باراني ونصرني على من خالفني وعاداني وقد رأيت وسمعت فان أجبت وأطعت فبها ونعمت والا فاعلم ان في قدمي ثلاثة أشياء الخراب والقحط والوباء واثم كل ذلك عائد عليك ومنسوب اليك فلم يسع شاه شجاع الا مهادنته ومهاداته ومصاهرته ومصافاته وزوج ابنته بابن تيمور ولم يتم ذلك السرور لحدوث الشرور فانقضت تلك الماسطة بواسطة افساد الواسطة وتقريب الخطابة وتخريب الماشطة قلت بديها فقلنا ❊ شعر

اذا انتخبت لامر عز واسطة ❊ فاحذر دهاه وكن منه على وجل

واعلم بان طباع الانس قد جبلت ❊ من الجفاء ومن مكر ومن دخل

فلا تثق منهم يوما بواسطة ❊ واشرع بنفسك فيه غير متكل

فاعمار جل الدنيا واحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل

ومتعنان الكلام فى هذا المقام يخرجنا من المرام ولكن عمت رياض المحبة زاهره وأرباض المودة عامره وفعول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائره واستمر واهلى ذلك من غير نزاع الى أن توفى شاه شجاع وكان شاه شجاع هذا رجلا عالما فاضلا يقرر الكشاف تقريرا شافيا كاملا وله شعر رائق وأدب فائق فمن شعره العربى على ماقيل شعر

الاان عهدى فى الغرام يطول * وأسباب صبرى لاتزال تزول

أصون هواها كالماذر شارق * ولكن بما بى قد نمم نحول

ومن لم يذق صرف الصبابة فى الصبا * علمت يقينا انه لجهول

ومن شعره الفارسى

أى بكام عاشقان حسنت جميل * كى كزينم ديكرى برتو بديل

كر زيادت غافلم عيشم حرام * ورزجورت دم زنم خونم سبيل

هركسى تدبير كارى ميكند * مارها كرديم بانعم الوكيل

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر وكان أبوه من أفراد الناس ومن أهل البر يسكن ضواحى يزد وابرقوه ذا بأس شديد يخافه القريب والبعيد ويرجوه وكان قد نبغ بين يزد وشيراز عربى من آل خفاجة سد على سالكى الطريقة حقيقة المجاز يدعى جمال لوك أفقر الغنى وأباد الصعلوك لا يبالى بالرجال قلت أو كثرت ولا بكثرت بكواكب النبال اذا الكواكب على رأسه انتثرت فاباد طائفة من البلاد وأهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد فكمن له أبو شاه شجاع فى بعض وهد أو بقاع ثم قابله مواجهه وكافحه مشافهه ونازله فصرعه وقطع رأسه وانتزعه فقصد برأسه السلطان فقدمه على سائر الاعوان وأقطعه أماكن عدة وقربه وجعله عدة لكل شدة وكان له عدة أولاد وأقارب واحفاد كل منهم رئيس مطاع فمن أولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه شجاع فصار كل منهم ذا كلمة نافذه ويد مطيعة آخذه ولم يكن للسلطان ولد يبقى وراءه فى أمور الملك أو يعقب فلما أقبل عليه رائد المنية أجابه وولى مدبرا ولم يعقب وكان اذ ذاك قد ثبتت أوتاد محمد بن مظفر وتقدم فى السلطنة ومن سواه تأخر فصار فى ممالك عراق العجم الملك المطاع واستقل

من غير تشاق ونزاع وتصرف في الممالك كيف يشاء ورداه الله خلعة قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ومات في حياته ولده شاه مظفر المشهور وخلف ولده شاه منصور ثم جرى بين شاه شجاع وبين أبيه من النزاع والشرور ما الاخير فيه وقبض على أبيه وقهره وفقأه بكريمتيه وأعدمه بصره وتمكن من السلطنة واستقر وكان به مرض جوع البقر بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا في السفر ولا في الحضر وكان كثيرا ما يدعو الله الغفور أن لا يجمع بينه وبين تيمور فلما أدركه الاجل وطوى فراش الموت منه بساط الامل أحضر ماله من الاقارب والاولاد وقسم عليهم الممالك والبلاد فولى ابنه لصلبه زين العابدين شيراز وهي كرسي الملك ومقصد الوافدين وأقطع أخاه السلطان أحمد ولايات كرمان وأعطى ابن أخيه شاه يحيي يزد وابن أخيه شاه منصور أصفهان وأسند وصيته بذلك الى تيمور وخلد ذلك في رق منشور وأشهد على ذلك من حضر مجمعه فكان كمن سلم الرمح لا بي زوبعه ولما أدرج الموت ثوب عمر شاه شجاع انتشرت بين أقاربه شقق الشقاق والنزاع فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه واستولى على شيراز وفقأه بكريمتيه وخالف عمه ونقض حبل عهده وفعل مع أبيه ما فعله أبو جده وحبل هذه القصة ممدود والاشتغال بنقضه وابرامه يخرج عن المقصود فاغتص تيمور وامتعض وتجرع الغصص وارتمض ولكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص

(ذكر توجه تيمور مرة ثالثه الى خوارزم بالعساكر العابثة العاثيه)

ثم ان تيمور جدد الحزم وصمم العزم على التوجه الى خوارزم فتوجه الى تلك البلاد من خراسان على طريق استراباد وكان سلطانها أيضا غائبا فاراد ان يولي عليهم من جهته نائبا فخرج اليه حسن المذكور وصالحه واشترى منه الشرور والمقابحه وقال له يا مولانا الامير كلنا عندك أسير ولكن سلطاننا غائب واذا أقيم علينا من جهتك نائب ثم رجع الينا السلطان فلابد أن يقع بينهما شنآن واذا كان الامر كذا فربما يصل الي منه أذى فيكون ذلك سبب تأكيد العداوه ويزداد بينكما الجفا والقساوه فيفيض حنقك على المسلمين ويقع فساد والله لا يحب المفسدين وهب أن حسين صوفي صار نائبك فكل الخلق يجب عليه ان يراعي خدمتك وجانبك ورأيك أعلى واتباع مرسومك أولى فسمع تيمور كلامه وقبل

قوله وفوض للرحيل خيامه وكان لحسن المذكور ابن غير فالح له عمل غير صالح فكانه فتك بحظية من حظايا السلطان وذاع ذلك فى المكان وفاح ذفره فى أنف الزمان فلم يتقيد بذلك الفعل القبيح حسن وقال ان لى على السلطان منناوأى منن حيث حميت بلده من كل ظلوم كفار وبذلت فى ذلك مالى وجاهى ثلاث مرار فلابد أن يقابل هذه المصالحه بالعفو عن جريمة ولدى والمسامحه فلما آب السلطان من سفره واطلع على حقيقة الامر وخبره قبض على حسن وولده وقتلهما وألقاهما بين يدى أشد قهره فأكلهما وخرب ديارهما ونقل الى خزائنه شعارهما ودثارهما ثم لم يلبث حسين صوفى ان توفى وولى بعده ولده يوسف صوفى وكان تيمور قبل ذلك قد صاهرهم وناصرهم على مخالفيهم وظاهرهم وزوج ابنا له يدعى جهان كير عقيلة منهم ذات قدر كبير وأصل خطير ووجه مستنير أحسن من شيرين وأظرف من ولاده واسمها من بنات الملوك كانت تدعى خانزاده فولدت له محمد سلطان وكان فى نجابته واقباله ساطع البرهان فلما شاهد تيمور فى شمائله مخائل السعاده وقد فاق فى النجابة أولاده وأحفاده أقبل دون الكل عليه وعهد مع وجود أعمامه اليه لكن عاند الدهر ذلك الظلوم فتوفى قبله فى آق شهر من بلاد الروم وسيأتى ذكر ذلك

(ذكر توجه ذلك الباقعه الى خوارزم مرة رابعه)

فلما سمع تيمور ماجرى على حسن من الشرور تحنق وشد دالازم ووجه ركاب الغضب الى خوارزم فأخذها وقتل سلطانها وهدم أركانها وخرب بنيانها وولى على مابقى منها نائبا من عنده ونقل جميع ما أمكنه نقله منها الى ممالك سمرقنده وتاريخ خراب خوارزم عذاب كما ان تاريخ خراب دمشق خراب

(ذكر ما كان ذلك الجان راسل به شاه ولى أمير ممالك مازندران)

ثم انه لما كان توجه الى خراسان راسل شاه ولى أمير ممالك مازندران وكاتب الامراء المستقلين بذلك المكان فنهم اسكندر الجلابى وارشيوند وابراهيم القمى واستدعاهم الى حضرته كما هو جارى عادته فأجابه بالضر ورة ابراهيم وارشيوند واسكندر وتأبى عليه شاه ولى ذلك الغضنفر فلم يلتفت الى خطابه وخشن له فى جوابه

(ذكر مراسلة شاه ولى سلاطين العراق وما وقع فى ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق)

ثم أرسل شاه ولى الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان والى السلطان أحمد بن الشيخ أويس متولى عراق العرب واذربيجان يخبرهما بورود خطابه وصدور جوابه ثم قال أنا ثغركما وان انتظم أمرى انتظم أمركما وان نزل بى منه بائقه فانه بعد السكما لاحقه فان ساعدتمانى بعدد كفيتكما هذا النكد والاقتصر ان كما قيل شعر

من حلقت لحية جار له * فليسكب الماء على لحيته

فأما شاه شجاع فاطرح قوله ورماه وهادن تيمور كما ذكرو هاداه وأما السلطان أحمد فأجاب بجواب مهمل وقال هذا الاشل الاعرج الجغتائى ما عساه أن يفعل ومن أين ومن أين للاعرج الجغتائى أن يطأ العراقين وان بينه وبين هذه البلاد لخرط القتاد ولكم بين مكان ومكان فلا يخل العراق بخراسان ولئن عقدت على التوجه الى ديارنا نيته لنحان به منيته ولترحلن عنه أمنيته فانا قوم لنا الباس والشده والعدة والعده والدولة والنجده ولنا يصلح التشامخ والتأبى حتى كأنه قال فينا المتنبى نحن قوم ملجن فى زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال فلما علم ذلك منهم شاه ولى وأيقن أن كلا منهما عن شجوه خلى قال أما أنا فوالله لا وافقه بعزم صادق ونفس مطمئنه فلئن ظفرت به لانذرن بكما فى الامصار ولاجعلنكما عبرة لاولى الابصار وان ظفر بى فلا على ما يصل اليكما فلينزلن القضاء الطام والبلاء العام عليكما ثم استعد للقائه واستسلم لقدر الله تعالى وقضائه ولما تراآى الجمعان واتصلت المراشقة بالضرب والطعان ثبت شاه ولى ساعة لما نابه من شره وضره ثم ولى الدبر لما لاحظ ما رأى من كره وفره وتبع السنة فى الفرار عالايطاق وتوجه الى الرى اذ ما أمكنه التوجه الى العراق وكان بها أمير مستقل يدعى محمد جوكار متصرفا بحكومته فى تلك القرى والامصار وكان كريما شجاعا وملكا مطاعا ومع ذلك فانه دارى تيمور وراعى منه بعض الامور وخاف سطوته وبأسه فقتل شاه ولى وأرسل الى تيمور رأسه.

(ذكر ما جرى لابي بكر الشاسبانى من الوقائع مع ذلك الجانى)

وكان فى بعض ولايات مازندران رجل يسمى أبا بكر من قرية تدعى شاسبان وكان فى الحروب كالاسد الغضوب وكان قد أباد وأبار الجم الغفير من عساكر التتار اذا التقى فى المجال لا تثبت له الرجال واذا وضع العمامة أقام فيهم القيامه ولا زال يكمن بين الروابى والجبال ويجندل الجنود والابطال حتى صارت تضرب به الامثال وترعد منه الفرائص ولو فى طيف الخيال فكان القائل منهم يقول لمركوبه اذا عاق عليه أو سقاه فتأخر عن الماء أو جفل من الخلاء كان أبا بكر الشاسبانى فى الماء أو بين العليق تراه وقيل لم يتضرر عسكر تيمور فى مدة استيلائه مع كثرة حروبه ومصافاته وابلائه الامن ثلاثة أنفار أضروا به وبعساكره غاية الاضرار وأوردوا كثيرا منهم موارد النار * أحدهم أبو بكر الشاسبانى وثانيهم سيدى على الكردى وثالثهم أمة التركمانى فأما أبو بكر هذا فذكروا انه فى بعض مضائق مازندران تغلب عليه الجغتاى من كل مكان وسدوا عليه وجه المخلاص وشدوا حبل المقنص فألجأه الى جرف مقابله جرف مقدار ثمانية أذرع ما بين الجرف الى الجرف كان مقره جب النقير أو وادى قعر السعير فنزل أبو بكر عن جواده المقمر وطفر من أحد الجرفين الى الآخر بما عليه من السلاح والمغفر ولم ينل منهم ضرا أو نجا كما نجا تأبط شرا ثم اتصل بحاشيته وأبادهم ونقل الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصادهم ثم ما أدرى أمره الى ماذا آل وكيف تقلبت به الاحوال * وأما سيدى على الكردى فانه كان أميرا فى بلاد الكرد معه طائفة من الخيل الجرد والرجال غير المرد فى جبال عاصيه وأماكن وعرة متقاصيه فكان يخرج هو وجماعته ومن شملته طاعته ويترك على فم المضائق من هو به واثق ثم يشن على عساكر تيمور الغارات ويدرك فيهم للمسلمين الثارات ويقتطع من حواشيهم وما يمكنه من مواشيهم ثم يرجع الى أوكاره بما قضى من أوطاره ولم يزل على ذلك الثبات فى حياة تيمور وبعد ان مات الى أن أدركته الوفاة ففات * وأما أمة التركمانى فانه كان من تراكمة قرا ياغ وله ابنان قد وضع كل منهما على قلب تيمور أى داغ وكانت الحروب والنزال بينهم وبين أميران شاه وعساكر الجغتاى لا تزال وفنوا من جماعتهم عددا لا يحصى وجانبا فات الاستقصا الى

ان

ان غدر واحد من المنتسبين اليهم فطاب غرتهم ودل عسكر امیران شاه عليهم فبيتوهم ليلا وأراقوا من دمهم سيلا فاستشهد الثلاثة فى سبيل الله رحمهم الله قلت شعر

وأصعب فتنة تشميت الاعدا * وأنكى منه تخذيل الموالى

﴿وقيل شعر﴾

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

﴿وقيل شعر﴾

اذا كان هذا بالاقارب فعلكم * فماذا الذى أبقيتم للاباعد

(ذكر توجه تيمور الى عراق العجم وخوض شاه منصور غمار ذلك البحر الخضم)

ولما توفى شاه شجاع ووقع بين أهله كما مر نزاع واستقر أمر عراق العجم على شاه منصور وخلصت ممالك مازندران وولايتها لتيمور وكان شاه شجاع قد أوصى الى تيمور بولده زين العابدين كما ذكر ووكل أمره اليه وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله مع ابن عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه فاستقد شاه منصور أقاربه فكلهم صار محاربه وعاد مجاذبه ومجانبه وأقام كل منهم بحفظ جانبه فتهيأ لملاقاته وحده بنحو ألفى فارس كاملى العده بعدان حصن المدينه وحوطها بالاهبة المكينه ورتب خيلها ورجالها وحرض على التصبر والتربص أهلها فقال له أكابر أعيانها والرؤس من سكانها كانا بك فى المقتحم وسدا الحرب قد التحم وقد منعناه من الوصول الينا ودافعناه عن الهجوم علينا وربما جندلنا له رجالا وابطلنا من عسكره ابطالا ثم بماذا تصنع انت بألفى راكب مع هذا الغمام المتراكب وربما يحل عقدك أو يفل جندك فلا ترى لنفسك فى الهيجاء الا طلب الخلاص والنجاه وتترك الحماة على وضم بعدان زلت بنا معهم القدم ولا ينفعنا بعد تأكيد العداوة الندم ولا يجبر منا اذ ذاك هذا الكسر الا بالقتل والنهب والاسر فوضع يده على دبوسه شاه منصور وقال هذا الالف فى الكاف السادسة من أم من يفر من تيمور أما انا فأقاتل وجندى فان خذلنى جندى قاتلت وحدى وبذلت فى ذلك جدى وجهدى وعانيت عليه وكدى وكدى فان نصرت نلت قصدى وان قتلت فلا على من بقى بعدى وكانى أنا كنت الحاضر

والخاطر فى خاطر الشاعر حين قال

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه وأراد بذلك حفظ مدنه فضاع فى ضياعه ثم جمع رؤساء شيراز وأجنادها وأفلاذ كبدها وأولادها وقال ان هذا عدو ثقيل وهو وان كان خارجيا فهو فى بلادنا دخيل فالرأى أنى لا أنحصر معه فى مكان ولا أقابله بضرب أو طعان بل أنتقل فى الجوانب وأتسلط أنا ورعاياى عليه من كل جانب فنصفع أكتافهم ونقطع أطرافهم ونواظبه بالنهار ونراقبه بالليل ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل وكلما وجدنا منه غرة كسرنا منه القفا والغرة فتارة نلطمه وأخرى نرجمه وكرة نجدعه ومرة نجرحه ونسلبه الهجوع ونمنعه الرجوع فتشتد عليه المضائق وتنسد عليه الطرق والطرائق غير أن القصد منكم يا أحرار ويا غور القفار ونسور النقار أن تحتفظوا بضبط الاسوار ولا تغفلوا عنها آناء الليل وأطراف النهار فانى مادمت بعيدا عنكم لا يدنو أحد منهم منكم وان حاصركم ففيكم كفايه واستودعكم الله وهو نعم الوقاية وغاية ما تكونون فى هذه البوسا مقدار ما وعد الله تعالى نبيه موسى ولله هذا الرأى ما كان أمتنه ووجه هذا القصد ما كان أحسنه ثم انه خرج ذاهبا وقصد جانبا

﴿ذكر دقيقة قصدت فخلت ونقضت ما ابرمه شاه منصور من عقد حين حلت﴾

فبينما هو عند باب المدينة جائز نظرته سعلاة من مشومات العجائز فبدرته بالملام وآذته بالكلام ونادت بلسان الاعجام انظروا الى هذا تركش بحرام رعى أموالنا وتحكم فى دمائنا وفارقنا أحوج ما نحن اليه فى مخاليب أعدائنا جعل الله حمل السلاح عليه حراما ولا أنجح له قصدا ولا أسعف له مراما فقدحت زناده وخرجت فؤاده وتأججت نيران غضبه وأحرق اكداس تدبيره شواظ لهبه وثارت نفسه الابيه وأخذته حمية الجاهليه حتى ذهب لب ذلك الرجل الحازم وغلط فأمسى وهو اغلاطه ملازم فثنى عنان عزمه وكر اسنان ازمه واقسم لا يبرح عن المقاومه ولا يرجع فى مجلس قضاء الحرب عن ملازمة المصادمه ويجعل ذلك دأبه صباحا ومساء وعشاء الى أن يعطى الله النصر لمن يشاء ثم قابل ورتب ابطاله

وقاتل وكان في عسكر شاه منصور أمير خراساني مباطن لتيمور يدعى محمد بن
زين الدين من الفجرة المعتدين وجل العساكر كان معه فسار الى تيمور وأكثر
الجند تبعه فلم يبق منهم الا دون الالف فاذا واحد منهم من الزحف فثبت
شاه منصور بعد ان تضعضعت منه الامور فلم تزل نيران الهيجاء تتقطع وزناد
الحرب تورى اذ تنقدح وشرار السهام تتطاير وثمار الرؤس عن ناحل السيوف
تقطف فتتناثر حتى أقبل جيش الليل وشمر للهزيمة جند النهار الذيل فراجع
كل منهم الى وكره واعمل شاه منصور فكره في مكره

*(ذكر ما نقل عن شاه منصور مما أوقع بعسكر تيمور
من الحرب والويل تحت جنح الليل)*

فعمد الى فرس جفول من بين الخيول أجمح من دهر رمح وارمح من عصر جمح
وأتى بها عسكر العدو وقد أخذ الليل في الهدو ثم ربط في ذنبها قدرا من النحاس
ملفوفة في قطعة بلاس وشدها أشد أحكم وثاقها وصوب رأسها نحو العدو وساقها
فجالت الفرس في العسكر واضطربت واختلطت الناس واحتربت وانسابت
جداول السيوف في بطون تلك النحور وانسربت حتى كأن الساعة اقتربت أو
السماء عليهم بالشهب انقلبت والارض بهم اهتزت وربت وشاه منصور واقف
حواليهم كالبازي المطل عليهم يقتل من شذ ويبيد من ند وصاروا كما قيل

شعر
الليل داج والكباش تنتطح * نطاح جد ما أراها تصطلح
فقائم وقاعد ومنبطح * فمن نجا برأسه فقد ربح

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فني نحو من عشرة آلاف نفس فلما قوض الليل
خيامه ورفع النهار أعلامه علموا البلاء كيف دهاهم ورايت الليل لم يكن فارق
ذراهم ثم ان شاه منصور أصبح وقد قل ناصره وفل موازره فانتخب من جماعته
فئة نحوا من خمسمائة فجعل يصول بهم صولة الاسد ويخوض بهم غمار الموت
فلا يلوى امامهم أحد على أحد ويميل يسرة ويمنة وينتسب ويصيح أنا شاه منصور
الصابر المحتسب فتراهم بين يديه حمرا مستنفرة فرت من قسورة وقصد مكانا فيه
تيمور فهرب منه ودخل بين النساء واختفى بينهن وغطى بكساء فبادرنه وقلن

نحو حرم وأشرن الى طائفة من العسكر المصطدم وقلن هنالك بغيتك وبين
أولئك طلبتك فألوى راجعا وتركهن مخادعها وقصد حيث أشرن اليه وقد
أحاطت به جموع العساكر وحلقت عليه قلت بديها شعر

وما جز أعناق الرجال سوى النسا * وأى بلاء ما الحسن به أبلى
وكم نار شر أحرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها أصلا

وكان على فرس فاقت خصالا فضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا وفرسه السبوح
كانت تقاتل معه وتصدم وتكدم من يقرب منها فى تلك الملحمه وكانه ينشد معنى
ما قلته فى مرآة الادب شعر

يد الله فوقى فعلت يداهم * وهذى يدى فيهم بسيفين تضرب

فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال افترقت أمامه يمينا وشمالا وان كانوا كلهم من
أهل الشمال ولكن شعر

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

حتى أنهكته الحرب وكلت يداه من الطعن والضرب وخذلت أبطاله وقتلت خيله
ورجاله وتغيرت من كل جهة أحواله وسدت طرائقه وسدت مضائقه وخرست
شقاشقه وضرست فيالقه وخمدت بوارقه وهمدت بيادقه وحص جناحه
وقص جناحه وخف مراحه وأثقلته جراحه وسكتت همهمته وسكنت غمغمته
فانفرد عن أصحابه وقد آذاه الجراح وأودى به ولم يبق معه فى ذلك البحر سوى
نفرين أحدهما يدعى توكل والآخر مهتر نخر وأخذه الدهش وغلب عليه العطش
ونشف الرهج والوهج كبده وطلب شربة ماء فما وجده ولو وجد ما يبل به ريقه ما قدر
أحد أن يقطع عليه طريقه فرأى الاولى أن يطرح نفسه بين القتلى فأطرح بينهم
نفسه ورمى أهبته وسيب فرسه وقتل توكل ونجا فخر الدين وبه من الجراح نحو
من سبعين وعمر بعد ذلك حتى بلغ تسعين وكان من الابطال والمصارعين فتراجع
جيش تيمور وتضام وانتعش بعد أن بلغ موارد الحمام وذلك بعد ان قتل منهم
ما لا يعد وأفنى ليلا ونهارا ما لا يحصى ولا يحد وطفق تيمور فى القلق والضجر
والارق لفقد شاه منصور وعدم الوقوف على حال ذلك الاسد الهصور أهو فى
الاحياء فيخشى فكره أم انتقل الى دار الفناء فيؤمن مكره فأمر بتفتيش الجرحى

والتنقيب عنه بين القتلى والطرحى الى أن كانت الشمس تتوارى بالحجاب ويغمد حسام الضياء من الظلام فى قراب فعند ما ضم دينار البيضاء تحت ذيل ملاءة الضياء ومد نساج القدرة فى جو الفضاء سدا والليل اذا سجى ونثر على سطح هذا الاديم المسا دراهم كواكبه الزهراء واتسع الظلام واتسق عثر واحد من الجغتاى على شاه منصور وبه أدنى رمق فتشبث شاه منصور بذلك الانسان بل الشيطان الخوان وناداه الامان الامان أنا شاه منصور فأكتم عنى هذه الامور وخذ منى هذه الجواهر وخافت فى قضيتى ولا تجاهر وكانى لا رأيتك ولا رأيتنى ولا عرفتك ولا عرفتنى وان أخفيت مكانى ونقلتنى الى اخوانى وأعوانى كنت كمن أعتقنى بعد ما اشترانى ومن بعد ما أماتنى أحيانى وكنت ترى مكافاتى ونغم مصادقتى ثم أخرج له من الجواهر ما يكفيه وذريته الى اليوم الآخر فكان فى قصته واستكشاف غصته كالمستغيث بعمرو عند كربته فما تم أن وثب على شاه منصور وحز رأسه وأتى به الى تيمور وحكى له ما جرى بتخبير المشترى فما صدقه ولا فى كلامه استوثقه بل أخرج من قبائله وشعوبه من عرفه به فعرفوه بشامة كانت على وجهه علامه فلما علم أنه شاه منصور بعينه وتميز له صدق ذلك الرجل من مينه تحنق وتحيف وتحرق لقتل شاه منصور وتأسف ثم سأل ذلك الرجل عن محتده ومن والده وولده ومن قبيلته وذويه ومخدومه ومربيه فلما استوضح أخباره وعلم نجاره وجاره أرسل مرسومه الى متولى تلك الداره فقتل أهله وأولاده وأعوانه وأنصاره وآله وأحفاده وأختانه وأصهاره وقتله شر قتلة ومحا آثاره وصادر مخدومه وقتله وخرب دياره ثم أرسل الى اطراف ممالكه مطالعات يذكر فيها صورة تلك المصافات والمواقعات وما شاهد من ثبات شاه منصور وثباته وغشيانه غمرات الحرب وضرباته وما حصل فى واقعة القتال على الحديد فى صف مراسلاته وكيف زلزلت العاديات وولولت النساء فى فتح حجراته بعبارات هائلة وكلمات فى ميادين الفصاحة والبلاغة جائله وهذه المطالعات تقرأ فى المحافل والمشاهد وتتلى فى المصادر والموارد ويستمد منها ذوو الآداب ويعتنى بحفظها الكتاب والصبيان فى الكتاب رايت فى أخبار بعض المتقنين انه فى شوال سنة خمس وتسعين ورد رسول صاحب بسطام يؤذن سلطان مصر

بالاعلام ان تيمور قتل شاه منصور وانه تولى على شيراز وسائر البلاد وأرسل رأسه الى حاكم بغداد وأمره بالطاعه هو ومن معه من الجماعه وأرسل اليه خلعه وأن يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك فى الجمعه فلبس خلعته وائتمر ممتثلا كما به أمر وانه علق رأس شاه منصور بعد ما طافوا به على السور وما أظن لذلك صحة

﴿ذكر ما وقع من الامور والشرور بعد واقعة شاه منصور﴾

فاستولى تيمور على ممالك فارس وأرض عراق العجم وأرسل من داناه من أقارب شاه شجاع وملوك الامم واستمال الخواطر وأمن البادى والحاضر ورحل الى مدينة شيراز وضبط أحوالها وقرر فيها خيالها ورجالها ونادى بالامان للقاصى والدان فلبت دعوته ملوك البلاد ولم يسعهم معه الا الاطاعة والانقياد فوصل اليه سلطان أحمد من كرمان وشاه يحيى من يزد ومعى سلطان أبو اسحاق فى شيرجان فأنعم وخلع على من أطاعه وانقاد ولم يتعرض لمن أظهر العناد ولم يشق بينه وبين مخالفيه العصا وأكرم من أطاعه ليوقع بذلك من عصى وطرح على شيراز وسائر البلدان بالامان وأقام فى كل بلدة من جهته نائبا وتوجه الى اصبهان وأحسن الى زين العابدين الذى هو وصيه من أبيه ووظف له من الجوامك والادرارات ما يكفيه وذويه

﴿ذكر ما صنع الزمان عند حلوله باصبهان﴾

فلما وصل الى أصبهان وكانت من أكبر البلدان مملوءة بالافاضل محشوة بالاماثل وبها شخص من علماء الاسلام والسادة الاعلام قد بلغ فى العلم الغايه وفى العمل والاجتهاد النهايه أفعاله مبروره وكراماته مشهوره ومآثره مذكوره ومحاسنه على جبهة الايام مسطوره وهو معتقد المسلمين وكان اسمه امام الدين وكان أهل أصبهان يذكرون له تيمور ويحذرون من شره أى محذور فيقول لهم مادمت فيكم حيا لا يضركم كيده شيا فان وفانى الاجل فكونوا من أذاه على وجل اتفق انه فى وصول تيمور توفى الشيخ المذكور فاصبحت أصبهان ظلمات بعضها فوق بعض بعد ان كانت نورا على نور فتضاعفت حسرتهم وترادفت كسرتهم فوقعوا فى الحيره وصاروا كابى هريره رضى الله عنه حيث يقول

للناس هم ولى فى اليوم همان ❊ فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان
فخرجوا اليه وصالحوه على حمل أموال فارسل اليهم لاستخلاصها الرجال فوزعوها
على الجهات وفرضوها على الحارات والمحلات وتفرق فيهم المستخلصون فكانوا
يعيثون فيهم ويعبثون واستطالوا عليهم فجعلوهم كالخدم وتوصلوا الى أن مدوا
أيديهم الى الحرم فاشتكوا منهم أى شكايه فرفع أهل أصبهان الى رئيسهم الشكايه
وكثرت منهم الشكيه وهم قوم لهم حميه وقالوا الموت على هذه الحاله خير من
الحياة مع هذه الاستطاله فقال لهم رئيسهم اذا أقبل المساء فانى أضرب الطبل
لكن لا تحت كساء فاذا سمعتم الطبل قد دق والقول قد حق فليقبض كل
منكم على نزيله وليحتكم فيه بسيف رأيه وهزيله فاتفقوا على هذا الرأى المعكوس
والامر المنكوس فى الطالع المنحوس وقصروا أيدى انظارهم السقيمه عن
قصارى هذه الأمور الوخيمه ولما تعرى العنان من ثوب نوره وأبدل الجوارق
بسموره ومضى هزيع من الليل ضرب الرئيس الطبل فخل بالمستخلصين الويل
فقتلوهم وكانوا نحوا من ستة آلاف فأصبحوا وقد غرسوا فى دوح العصيان أغصان
الخلاف فاثمر ذلك لهم الحور بعد الكور وبان لهم البور فأصبحوا بورا بهذا البور
ولما سل الفجر حسامه وحسر النهار لثامه بلغ تيمور ذلك الصنع المشؤم فنفخ
الشيطان منه فى الخيشوم فارتحل من فوره واستل قضب غضبه ونثل جعبة
جوره وتوجه الى المدينة مزمجرا متكلبا متأسدا متنمرا فوصل اليها وأخنى
عليها وأمر بالدماء أن تسفك وبالحرمات أن تهتك وبالارواح أن تسلب
وبالاموال أن تنهب وبالعمارات أن تخرب وبالزروع أن تحرق وبالفروع
أن تخرق وبالاطفال أن تطرح وبالاجساد أن تجرح وبالاعراض أن تثلم
وبالذمم أن تثلم ولا تسلم وان يطوى بساط الرحمه وينشر مسح النقمه فلا يرحم كبير
لكبيره ولا صغير لصغيره ولا يوقر عالم لعلمه ولا ذو أدب لفضله وحلمه ولا شريف
لنسبه ولا منيف لحسبه ولا غريب لغربته ولا قريب لقرابته وقربته ولا مسلم
لاسلامه ولا ذمى لذمامه ولا ضعيف لضعفه ولا جاهل لركاكة رأيه وسخفه
وبالجملة فلا يبقى على أحد ممن هو داخل البلد وأما أهل المدينة فعلموا أنه ليس
للجدال مجال فضلا عن ضراب وقتال وأن قبول الاعذار محال وأنه ليس ينجيهم من

ريب المنون مال ولا بنون ولا يقبل منهم في تلك الساعة ولا ينفعهم عدل ولا شفاعة فتحصنوا بحصون الاصطبار وتدرعوا دروع الاعتبار وتلقوا سهام القضاء من جنايا المنايا بمجن تسليم المراد واستقبلوا ضربات القدر من سيوف الحتوف بأعناق التفويض والانقياد فاطلق في ميادين رقابهم عنان الحسام البتار وجعل مقابرهم بطون الذئاب والضباع وحواصل الاطيار ولا زالت عواصف الفناء تجتاحهم من أشجار الوجود حتى حصر واعدد القتلى فكان نحو ست مرار من أمة يونس بن متى فاستغاث بعض العلماء بواحد من رؤس الامراء وقال التقية في البقية والرعاية في الرعية فقال ذلك الامير للسائل الفقير أجمعوا بعض الاطفال عند بعض التلال فلعل أن يلين منه عند رؤيتهم شيأ ما قسى واعتل فامتثلوا ما به أمر وجمعوا اشرذمة من الاطفال منه على الممر ثم ركب ذلك الامير مع تيمور وأخذ به على تلك الاطفال ومر ثم قال انظر يا مخدوم نظر الراحم الى المرحوم فقال ما هؤلاء الطرحاء الاشقياء فقال أطفال معصومون وأيتام مرحومون ومحرومون استحر القتل بوالديهم وحل غضب مولانا الامير على أكابرهم وذويهم وهم يسترحمون بعواطفك الملوكية وصغرهم ويستشفعون اليك بذلهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم وكسرهم أن ترحم ذلهم وتبقي على من بقي لهم فلم يجب جوابا ولا أبدى خطابا ثم مال بعنان فرسه عليهم ولم يظهر انه بصر بهم ولا نظر اليهم ومالت معه تلك الجنود والعساكر حتى أتى منهم على الاول والآخر فجعلهم طعمة للسنابك ودقة تحت أقدام أولئك ثم جمع الاموال وأوسق الاحمال ومال راجعا الى سمرقند وقد نال وكم بين هذه الامور والقضايا من دواه وبلايا وأخبار وحكايات وتجهيز سرايا وتولية وعزل وابراز هزل في صورة جد وجد في صورة هزل وبناء وهد وصد وورد وتعمير خامر وتخريب عامر وتهان وتعاز وانحراف وتواز ومباحثات مع علماء ومناظرات مع كبراء ورفع وضعاء ووضع شرفاء وتمهيد قواعد وتقريب أباعد وتبعيد أداني وبروز مراسيم الى كل قاص وداني الى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر ولا ينضبط بديوان ولا دفتر

* (ذكر ضبطه طرف المغل والختا وما صدر منه في تلك الاماكن واتى) *

ولما وصل الى سمرقند أرسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير مع سيف الدين
الامير الى أقصى ما تبلغ اليه مملكته وتنفذ فيه كلمته وهو وراء سيحون شرقا سوا
آخذ في جوز ممالك المغل والجتا والخطا نحو من مسيرة شهر من ممالك ماوراء النهر
فمهدوا هنالك الوهد والبقاع وبنوا فيه جملة من القلاع وأقصاها بلد يسمى اشباره
فبنوا فيه حصنا حصينا معدا للنهب والغاره وخطب من بنات الملوك ملكة أخرى
وكانت الاولى تدعى الملكة الكبرى والاخرى الملكة الصغرى فأجابهم ملكهم الى
ما سأل وأناب الى ما طلبه منه بالاطاعة وبذل وارتجت منه أقاليم المغل والخطا
وذلك لما بلغهم مما فتك في كل طرف وبتك من بلاد الاسلام وسطا وكان السفير
في ذلك الله داد أخو سيف الدين المذكور وهو الذي استخلص أموال دمشق ونزل
في دار ابن مشكور وأمر تيمور ببناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب
وعقد اليها جسرا على متن النهر بالمراسي والمراكب وسماها شاهرخيه وهي في أماكن
رحيبه وسبب تسمية ابنه شاه رخ بهذا الاسم ووسم هذه المدينة بهذا الوسم
انه كان على عادته مشغولا بلعب الشطرنج مع بعض حاشيته وقد أمر ببناء هذه
المدينة على هذا الساحل وكانت احدى حظاياه معه وهي حامل فرمى على خصمه
شاه رخا فذبل خصمه لذلك وارتخى وبينما خصمه قد وقع في الاين اذا ببشيرين
جا آخبرين أحدهما يبشر بولد والآخر يبشره بتمام عمارة البلد فسماهما بهذين
الاسمين ووسمهما بهذين الوسمين

*(ذكر عوده لذلك الافعوان الى ممالك فارس وخراسان
وتملكه لملوك عراق العجم واستصفائه تلك الولايات والامم)*

ثم عاد بعد تمهيد البلاد وتوطيد قواعد ممالك تركستان الى بلاد خراسان فاستقبله
الملوك والامراء والسلاطين والوزراء وسارعوا اليه من كل جانب ما بين راجل
وراكب ملبين دعوته حاذرين سطوته مغتنمين خدمته وسلموا الانجاد والاغوار
والاطواد والقفار والقرى وسكانها والذرى وقطانها والقلاع العاصيه وربطوا
بذيل أمره كل ناصيه ممتثلي أوامره مجتنبي زواجره عاقدي نطاق عبوديته
بأنامل الاخلاص تابعي رائد مرضاته على نجائب الولاء والاختصاص فمنهم جميع

من مرز كره من المطيعين ومن كانوا في الشواهق ممتنعين منيعين ومن جملتهم اسكندر الجلابي أحد ملوك مازندران وارشيوند الفارسكوهي ذلك الاسد الغضبان صاحب الجبال الشوامخ العاصية القلال وابراهيم القمي صاحب النجده والعدد لكل شده وأطاعه السلطان أبو اسحاق من شيرجان فاجتمع عنده من ملوك عراق العجم سبعة عشر نفرا ما بين سلطان وابن سلطان وابن أخي سلطان كلهم في ممالكهم مطاع مثل سلطان أحمد أخي شاه شجاع وشاه يحيي ابن أخي شاه شجاع سوى ملوك مازندران وسوى أرشيوند وابراهيم وملوك خراسان ولما سلك السلطان أبو اسحاق غط أقاربه في الطاعة وعمل على ذلك الطرز خلف ببلده شيرجان نائبا يقال له كودرز فاتفق في بعض الايام انه اجتمع عند تيمور هؤلاء الملوك العظام فكانوا عنده في خيمة له وهو بينهم وحده فأشار واحد منهم الى شاه يحيي وقد أمكنت الفرصه أن يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصه فأجابه بعض وامتنع بعض وقال لمن رضي بذلك من لم يرض ان لم تكفوا وعن هذا المقال تعفوا أخبرته بهذه المقاله وأطلعته على هذه الحاله فامتنعوا عن هذا الراي المتين والفكر الرصين لاختلافهم ولا يزالون مختلفين وكأنه طالع أحوالهم أو تفرس أقوالهم فاسرها في نفسه ولم يبدها لهم ثم مكث أياما وجلس للناس جلوسا عاما وقد لبس ثيابا حمرا ودعا هؤلاء الملوك السبعة عشر طرا ثم أمر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة صبرا ثم لما أبادهم ضبط بلادهم وجمع طريفهم وتلادهم وقتل أولادهم وأحفادهم وأقام في ممالكهم أولاده وامراءه وأحفاده واسباطه واجناده وسبب قتل هؤلاء الملوك وفتكه وتمزيقه ستر حياتهم وهتكه ان بلاد العجم كانت لا تخلو عن الملوك الاكابر ومن ورث الملك والسلطنة كابرا عن كابر وهي ممالك واسعه اطرافها شاسعه مدنها وافره وقراها متكثره وأوتادها وتادها راسخه وعرانين أطوادها شامخه ومخدرات قلاعها ناشزه ومضمرات مكامنها ومعادنها غير بارزه وكواسر آكامها كاسره ونواشر جوارحها اللظهور ناشره وغور دمارها طامره وببور شطارها طافره وثعابين أبطالها في جداول الجدال ظاهره وتماسيح اقبالها في بحار الضراب قاهره فنظر تيمور بعين بصيرته في وذيلة تأمله ومرآة فكرته فرأى أنه لا يزكو له ورد عارضها من شوكة معارض ولا يصفو ورد

ثغر فائضها من شارب معارض ولا يثبت له في بنيان عالكها اساس محكم ولا ينبت له في بستان عالكها غراس ينعم وكان قصده ابقاء مبانيها واجراء أموره على بما اقتضته التوراة الجنكيزخانية فيها فلم عكن عمل فلاحة السلطنة في بسيط أرضها وسوق أنهار أوامره في ضرائب عالكها طولها وعرضها الا بقلع ملاليق أنياب أكابرها وكسر قوادم أخشاب أحساب أكامرها فسعى في استيصال فرعهم وأصلهم واجتهد في اهلاك حرثهم ونسلهم وجعل لا يسمع لهم ببزرة نطفة في أرض رحم الا قلعها ولا يشم منهم رائحة زهرة في كم كمين الا قطعها وقيل انه كان في مجلس فيه اسكندر الجلابي وكانه كان مجلس نشاط ومقام انشراح وانبساط فسأل اسكندر في ذلك المحضر وقال ان حكم القضاء بافساد بنيتي من تراه يتعرض لاولادي وذريتي فأجابه وهو في حالة الشطح وقد حلت عليه دماغه ووضع سراج العقل منها فوق السطح أول من ينازع أولادك المشائيم أنا وارشيوند وابراهيم فان نجا من مخاليبي منهم أحد فانه لا يخلص من أنياب ابراهيم الاسد وان أفلت أحد منهم من ذلك البند فانه لا مخرج له من شرك أرشيوند وكان أرشيوند وابراهيم غائبين فلم يتعرض تيمور لاسكندر بضر وشين واراد بالابقاء عليه وقوعه مع صاحبيه فلما أفاق اسكندر لم على ما قال فقال لا مفر من قضاء الله ولا مجال ولا عتب في ذلك على انطقني بذلك الله الذي أنطق كل شئ ثم ان اسكندر وابراهيم هربا فقبض على ارشيوند والقاه في النازعات فصار نبا وهتك حريم عمره اذجرعه أول الرعد وأقراه آخر نوح وسبا ثم ان اسكندر لم ير له أثر ولا سمع عنه الى يومنا هذا خبر وكان كبير الهامه طويل القامه اذا مشى بين الناس كأنه علامه حتى قيل ان مدى ذلك القصر المشيد كان نحوا من ثلاثة اذرع ونصف بالحديد وابراهيم القمى استمر على انكماشه ثم مات على فراشه فكان ذلك سبب ابادة الملوك وأبنائهم المهالك

فصل ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة شيرجان وقال ان مخدومي شاه منصور موجود الى الآن وكان هذا الكلام فاشيا في الخاص والعام فكان كودرز يتوقع ظهوره ويزجي على ذلك أعوامه وشهوره فحاصر تيمور قلعة شيرجان فلم يطل له عليها سلطان فوجه اليها عساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان

واضاف اليهم عساكر سجستان وذلك بعد ان شملها العمران وكان نائبها يدعى
شاه أبا الفتح فحاصروها نحوا من عشر سنين وهم ما بين ظاعنين منها وعليها مقيمين
وهي بكر لا تفتح لطالبها بابا وعانس لا يملك خاطبها منها خطابا وكان تيمور ولى
كرمان شخصا يدعى ايدكو من اخوات السلطان فكان هو المشار اليه ومن
العسكر هو المعول عليه ولما تحقق كودر زمن شاه منصور وفاته وخذله الانصار
وأعجزه الانتصار وفاته وكان أبو الفتح يراسله كل ساعه ويتكفل له عند تيمور
بالشفاعه أذعن للصلح واستعمل لذلك أبا الفتح ونزل مترامياً عليهم وسلم الحصن
اليهم فخنق ايدكو عليه لكون عقد الصلح لم ينحل على يديه فقتله من ساعته ولم
يلتفت الى أبي الفتح وشفاعته فأخبر تيمور بذلك وكان في بعض الممالك فغضب
عليه غضبا شديدا ولكن فات التدارك

﴿فصل﴾ مما يحكى عن ايدكو هذا متولي كرمان أنه كان بها للسلطان أحمد
أخي شاه شجاع ولدان صغيران أحدهما يدعى سلطان مهدي والآخر سليمان خان
وكان سليمان خان في غاية الحسن واللطافه حاويا معاني الملاحة والظرافه معنى
بالكمال مربي بالدلال ألفاظه رائقه وألحاظه راشقه والارواح اليه شائقه
وأرباب الالباب له عاشقه حركاته في القلوب ساكنه وافتتانه للخلق فاتنه كما
قيل شعر

نسيم عبير في غلالة ماء * وتمثال نور في أديم هواء

وعمره اذ ذاك ستة أعوام ولكن مفتتن به الخاص والعام فعزم ايدكو على اتلافهما
والحاقهما بأسلافهما ولم يكتف من تلك الدرة بأنها صارت يتيمه ولا رق لأمهما
التي خربت ديارها الكون المخدرة كريمه ولم يكن لهما مدافع ولا عنهما ممانع
فطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه فلم تطب نفس أحد أن تمد يده بمكروه اليه
ومضى على ذلك مده والخلق بسبب هذه القضيه في ضيق وشده حتى وجدوا عبدا
أسود كأنه للبلاء مرصد وكان الشياطين له عبده والعفاريت له جنود وحفده
وثوب ليل القهر من سواد سواده انتسج وأصل الشجرة التي طلعها كأنه رؤوس
الشياطين من حبة فؤاده نبت فنتج يستلذ عند صدى صوته خوار الثيران ويستحسن
عند خيال صورته مشاهدة الغيلان قلت شعر

زبانية النيران تنكره وجوه * وحين تراه تستعيذ جهنم

قد نزع الله من قلبه الرحمه وجبل فؤاده على المأثمه فارغبوه فى أن ذبحهما ويقتلهما وكانت عين سليمان خان رمدا وقد سكن فى حجر دابته وتمددا فدخل عليه ذلك الظالم من ساعته واغتاله وهو راقد فى حجر دابته فضربه فى جنبه بخنجر أنفذه من الجنب الآخر فارتفع الضجيج والولوله ووقع العجيج فى الناس والزلزله وعم المأتم أمه الوالهة وأهلها وطفق الناس يبكون عليها وأهلها والظاهر ان هذه الامور كانت باشارة تيمور وعسكر ذلك الظلوم الكفار ما كان يخلو من مثل هذه الشرور والاشرار ولو كان قاهله من غيرهم لكن لعلة المصاحبة والمرافقة كان يسير بسيرهم

﴿حكاية﴾ لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيره كان مع واحد منهم أسيره قد كشف أيدى النوائب قناع عصمتها ولطمتها وعلى يدها بنت لها رضيع ففطمتها فلما قربوا الى حماه جعلت البنت تئن أنين الاواه والام مما من المضض المنكى تتنكد وتبكى ومعهم جمال من بغداد منطوع على الفساد محتو على النكاد مجبول على الغلاظة والقساوه معمول من الفظاظة والغباوه ممتلئ من البذا متضلع من الاذى لم يخلق الله تعالى فى قلبه من الرحمة شيأ فينتزع ولم يودع لسانه لفظا من الخير فيستمع فأخذ تلك البنت من أمها فدارى وهم انه انما أخذها ليخفف عنها من همها وكانت راكبة على جمل ثم انقطع ساعة عن الثقل ثم وصل ويده خاليه ورقبته عاليه فاستكشفت أمها حالها فقال مالى ومالها فهوى عقلها وهى فطرحت نفسها ونحت نحوها فأخذتها انقلبت وأتت بها وركبت فتناولها منها امرأة أخرى على أن لا يسومها ضررا ثم غاب عنها ورجع وقد صنع كما صنع فألقت نفسها ثانيه وعدت اليها ثانيه وجاءت وهى عانيه وقطوف حتوفها دانيه فركبت وأخذتها ووضعتها على كبدها التى منها فلذتها فأخذها منها امرأة ثالثه بنية فى الفساد عابثه وحلف لها يمينا حانثه انه يحملها ويذوه ولا يمسها بسوء فحملها ساعة ثم خرج عن سنة الجادة ورمى بها فى بعض البطاح ومثل بها ما فعله اليهودى بصاحبة الاوضاح وجاء ويده الدامغه بالاثم ملأى ومن البنت فارغه وقد سلبها اسلابها وجلب الى أمها جلابها فأطرحت نفسها باكيه

ورامت الرجوع اليه فقال لها لا تتعبي كفيتك همًّا فارجعي واركبي فبكت وصاحت وأنّت وناحت ووقعت في العناء وان كانت استراحت والناس على دين ملوكهم سالكون طرائق سلوكهم

﴿سبب دخوله الى عراق العرب وان كان ابدًا لا يحتاج الى علة وسبب﴾

ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم ودانت له الملوك والامم وانتهت مراسيمه الى حدود عراق العرب غضب السلطان أحمد صاحب بغداد واضطرب فجهز جيشًا عرمرمًا وجعل رئيسهم أميرًا مقدامًا مقدمًا يدعى سنتاقي فتوجه الجيش نحو الجغتاي فبلغ تيمور خبر الجيش وخبره فسر بذلك قلبه وانشرح صدره فجعل ذلك سببًا لمحاربته وذريعة لمحاربة ملك العراق ومناوشته وأنفذ جيشًا كرارًا بل بحرًا زخارًا فتلاقيا بصدق نية على مدينة سلطانية فصدق كل منهما صاحبه الضرب وسدد لنحره ألسنة الاسنة وسهام الحرب واستمد بحر الجغتاي من أمواج أمواجه واصطدم فانكسر في قساطله قنيات جند سنتاقي فانهزم ووصل كلهم الى بغداد وتشتتوا في البلاد فألبس السلطان أحمد سنتاقي المقنعه وأشهره في بغداد بعد أن ضربه وأوجعه وكف تيمور عن عناده وقفل متوجها الى بلاده

﴿ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر وهدوء ذلك البحر المائر
لتطمئن منه الاطراف فيحطمها كما يدير به الدوائر﴾

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها وجعل ينتقل في جوانبها ونواحيها وبنى حواليها قصبات سماهن بأسماء كبار المدن والامهات وقد صفت له سمرقند وولاياتها وممالك ما وراء النهر وجهاتها وتركستان وما فيها من البلاد ونائبها من جهته يدعى خدايداد وخوارزم التي بها انكه وسطا وكشغر وهي في حيز ممالك انكطا وبطشان وهي ممالك على حده من ممالك سمرقند متباعده وأقاليم خراسان وغالب ممالك مازندران ورستمدار وزاولستان وطبرستان والري وغزنة واستراباد وسلطانية وسائر تلك البلاد وجبال الغور المنيعه وعراق العجم وفارس الشاسعة الرفيعه وكل ذلك من غير منازع ولا مجادل ولا ممانع وله في كل مملكة من هذه الممالك ولد أو ولد ولد أو نائب معتمد

(أنموذج مما كان يغور ذلك الظلوم الكفور من عساكره في بحور ويغوص على أمور ثم يفور بشرور ومن جملة ذلك غوصه ما وراء النهر وخروجه من بلاد اللور)

ثم انه مع اتساع ممالكه وانتشار هيبته وصولته وشيوع أراجيفه في الأقطار وبلوغ تخاويفه الاقاليم والامصار وثقل أثقاله وعدم اختفاء توجهه الى جهة وانتقاله كان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من ابن آدم ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد قلت شعر

يصوب عينه ويصيب يسره * وينوي جهة والقصد غيره

بينما يكون له في المشارق بيارق فيالق اذ لمع له في الغرب بوارق بوائق وبينما نغمات طبوله وضربات أعواده تقرع في حصار العراق واصبهان وشيراز واذا برنات أوتاره وبوقات أبواقه تسمع في مخالف الروم ومقام الرهاوي وركب الحجاز فمن ذلك انه مكث في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين وعمارة القصور وقد أمنت منه البلاد واطمأنت الثغور فلما انتهت أموره وبلغ الكمال قصوره أمر بجمع جنده الى سمرقند ثم أمرهم أن يصنعوا لهم قلانس ابتدعها وعلى صورة من التركيب والتضريب اخترعها فيلبسونها ويسيرون وما بين الى أين يصيرون ليكون ذلك لهم شعارا وقد كان أرسل له في كل جهة من ممالكه جشارا ثم رحل عن سمرقند وأشاع انه قاصد بجند وبلاد الترك وجند ثم انه اندمس في دردور عسكره وانغمس كأنه في لجة بحر انغمس ولم يشعر أحد أين عطف ولا أنى قصد المختطف ولازال في تأويب وإساد وجوب بلاد بعد بلاد يجري جري الراكب ويسير سير الكواكب ويطرح كلما وقف من نجائب الجنائب حتى نبغ من بلاد اللور ولم يكن لأحد به شعور وهي بلاد عامره خيراتها متكاثره وفوا كهها وافره اسم قلعتها نابر وجدودها كهاعز الدين العباسي وقلعتها وان كانت في الحضيض لكن كانت تسامي بمناعتها حصون الجبال الرواسي وهي مجاورة همذان ومناظرة عراق العرب كاذربيجان فأحاط بالقلعة وما حواليها وحاصر ملكها المتولي عليها ولما كان صاحبها بلا عدد ولا عدد ولا أهبة ولا مدد وكان في صورة

المتوكل المحتسب وأتاه البلاء من حيث لا يحتسب لم يسعه الا طلب الامان والانقياد له والاذعان فنزل اليه وسلمه قياده فقبض عليه وضبط بلاده ثم أرسله الى سمرقند وحبسه وضيق عليه نفسه ونفسه ثم بعد ذلك بمدة حلفه ورفع عنه ما نابه وصالحه على جمل من الخيل والبغال ورده الى بلاده واستنابه ولما استخلص ذلك الكفور ولايات تلك الكفور واصل السير الى همذان فى أقرب زمان فوصل اليها وأهلها غافلون فجاءها البأس بياتا أو وهم قائلون فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مجتبى وكان عند الملوك مصطفى ولديهم مرتضى فشفع فيهم فشفعه على أن يبذلوا مال الامان ويشتروا بأموالهم ما من عليهم به من الارواح والابدان فامتثلوا أمره وفعلوا ووزعوا ذلك فجمعوه والى خزائنه نقلوا فدعته نفسه الجانيه أن طرح عليهم المال مرة ثانيه فخرج اليه ذلك الرجل الجليل ووقف فى مقام الشفاعة مقام البائس الذليل فقبل شفاعته ووهبه جماعته ثم انه سدك بمكانه وجثم حتى تلاحق به عسكره والتأم

﴿ابتداء تخريب ذلك الحزب أذربيجان وممالك عراق العرب﴾

ولما بلغ السلطان أحمد ابن الشيخ اويس مافعله بغضم رعايا جيرانه اللور وهمذان ذلك الاويس علم انه لا بدله من قصد مملكته ودياره لانه هو ناداه بالشر وطرح على شراره طائر شراره وان عسكره وان كان كالسيل الهامر فانه لا مقاومة له ببحره وتياره وانه اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى ولا مقابلة لسحرة فرعون مع عصا موسى قلت شعر

السيل يقلع ما يلقاه من شجر * بين الجبال ومنه الصخر ينفطر
حتى يوافى عباب البحر تنظره * قد اضمحل فلا يبقى له أثر

فاستعد للبلاء قبل نزوله وتأهب له قبل حلوله فشمر للهزيمه وعلم أن الاياب سالما نصف الغنيمه واقتصر من بسيط فقه المقاتله والمقابلة على الوجيز وصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق وتبريز وقال لنفسه النجاه النجاه وحمل ما يخاف عليه صحبة ابنه السلطان طاهر الى قلعة النجاه وأرسل الى تيمور الاشعار والشيباه فى ذلك ما ترجمته وهو شعر

لئن كانت يدى فى الحرب شلا * فرجلى فى الهزيمه غير عرجا

ثم قصد البلاد الشاميه وذلك فى سنة خمس وتسعين وسبعمائه فى حياة الملك الظاهر أبى سعيد برقوق رحمه الله تعالى فوصل تيمور الى تبريز ونهب بها الذليل والعزيز ووجه الى قلعة النجاه العساكر لانها كانت معقل السلطان أحمد وبها ولده وزوجته والذخائر وتوجه هو الى بغداد ونهبها ولم يخربها ولكن سلبها سلبها وكان الوالى بالنجاه رجلا شديد الباس يدعى التون عند السلطان أحمد مأمون وله اليه ركون ومعه جماعة من أهل النجده وأولى البأس والشده نحوا من ثلاثمائة رجل فى العده فكان ينزل بهم التون اذا أخذ الليل فى السكون ويشن الغارة على تلك العساكر والمكان المسكون فوهن أمر العسكر فأبلغوا تيمور هذا الخبر فأمدهم بنحو أربعين ألف مقاتل مشهور مع أربعة أمراء كبيرهم يدعى قبلغ تيمور فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التون فيها وكان قد خرج النا س للغارة على من فى ضواحيها فبينما هو راجع اذا بالنقع ساطع فلما اطلع طلع الخبر قال أين المفر فقيل كلا لا وزر فعلم انه لا ملجأ من الله الا اليه فثبت جأشه وحاشيته وتوكل عليه وقال ان الروس فى مثل هذا المقام انما يكونون تحت الاعلام فاحطموا نحو قلب هؤلاء اللئام فاما أن تبلغوا المرام أو ترتقوا على ظهر الخيل وأنتم كرام اذ لا ينجيكم من هذا الكرب سوى الطعن الصادق والضرب قلت شعر

كر عامت والامت لئيما * فما والله بعد الموت موت

فتعاضدوا بهمة صادقه وعزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى واثقه وقد أحاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكه وصاروا فى وسطهم كالغزل فى الفلكه وقصدوا الراية وحامليها ومن يليها وذويها فساعدهم ساعد سعد اللحيان بنصرته وحل منهم القيض الداخل انكيس عقاته فأسالوا على راياتهم ذات البياض من الدماء حمره وفتحت لجماعتهم طريق الى عقبة النصره فلاح لهم فلاح ونجح لهم نجاح فنجوا من الشرور وحصل لهم السرور بعد ان قتلوا من العسكر أميرين أحدهما قبلغ تيمور ولما وصل هذا الخبر اليه اسودت الدنيا فى عينيه بل انقلب الكون والمكان عليه ثم نهض اليها بنفسه وراض عليها بحرسه وأحاط بجوانبها والقم

الحرس أفواه مضاربها

صفة قلعة النجاه

وهذه القلعة أمنع من العقاب وأرفع من السحاب يناجي السماك سماكها
ويباهي الافلاك استعلاؤها كأن الشمس في شرفها ترس من الابريز على
بعض شرفها وكأن الثريا في انتصابها قنديل معلق على بابها لا يحوم طائر الوهم
عليها فأنى يصل طائش السهم اليها ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال خيال
وافتكار فضلا عن أن يعلق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة سوار وكان
التون قد تربى في ترائب ترابها وأهل مكة أخبر بشعابها فصار كأنه جني الليل
الساحم وأرصد استراق الشياطين عيونه الرواجم هبط من تلك القلال وسرى
سرى طيف الخيال ودب دبيب الشحم في اللحم والماء في العود والنار في الفحم
من درب لم تتوهمه الظنون بعون من لا تراه العيون بحيث لا يشعر به الحرس
ولا يبصره العسس ولا يزال يتلو عليهم آيات الاغفاء وينفث بطلسماته الاستخفاء
ويتقرب ويترقب حتى يلوح له في الحي مضرب فيقتل ويسلب وينهب ويهرب
فيكر سالما ويفر غانما فلم يزل ذلك دأبهم ودأبه حتى أعجز تيمور وأصحابه فلم ير
تيمور أوفق من الارتحال لضيق المجال وعسر المنال فارتحل عنها بعد أن رتب
عليها الحصار البليغ واستمر الحصار مدة طويلة والقضاء يقول له أصبر فانها لن تحرك
قيل انها مكثت في الحصار اثنتي عشر سنة وسبب أخذها أن التون المذكور كان له
أخ بالفسق مشهور فحصل بينه وبين أم السلطان طاهر خيانة أوجبت عليهما ما يجب
على العاهر فاطلع على ذلك طاهر ابن السلطان أحمد فقبض عليهما وقتلهما وسالك
في ذلك الرأي الاحمد وكان اذ ذاك التون عن القلعة غائبا قد خرج منها وقصد
للغارة جانبا فلما رجع التون أغلقوا باب القلعة عليه ورموا بأخيه من فوق السور
اليه وأخبروه خبره وبجره وبجره فقال جزاكم الله أحسن الجزاء وجعل
حظكم من الخيرات أوفر الاجزاء لو كنت عالما بفعله أو حاضرا قتله لعاملته بما
هو اهله وفعلت به ما يجب فعله ويحل به من الزمان داهيه ولا يتكم العبرقيه
ولا شريه في خلق الله تعالى وبريته ونادت عليه هذا جزاء من يخون ولي نعمته ثم

طلب الدخول فقطعوه عن الوصول فقال اما أخى فانه جنى فذاق ثمرة ما جناه وأما انا فانى على الوفاء بعهدكم من الازل والى حين الوفاه ولم أزل موالى وليكم ومعادى عدوكم فان طردتمونى فالى أين أذهب وان رددتم رغبتى فيكم ففيمن أرغب فقالوا ارجع بما أدركتك الخيبه ولحقتك المصيبه فتذكرت اخاك وتنكرت شدتك بعد رخائك فنقمت وانتقمت واعوججت بعد ما استقمت وتكدر منك ماصفا وناهيك قصة الاخوين مع ذات الصفا وقلت شعر

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه * ولكنه يبقى به عقدة الربط

فانشالهم أيمانا واثقه ان كلماته وعهوده صادقه فقالوا له لا تطل فما جئت مالك عندنا مقيل ولا مبيت فارجع من حيث جئت وهذا آخر العهد منك غضبت أم رضيت فأخذ يذم دهره ويعض يديه ندامة وحسره على انه أنفذ عمره فى طاعة من لم يعرف قدره ثم دنى فتدلى وعبس وتولى وسيب فرسه وماله وفرق خيله ورجاله ولما لم يكن له ملجا سوى قلعة النجا وقد خرجت من يده وألقت النار فى كبده ضرب أخماس الأسداس فيمن يقصده من الناس ثم أورى برأيه الزند أن يقصد مدينة مرند وكانت تحت حكم تيمور وفيها أوامر دعور فسالها وقصد حاكمها لاباس البدا وتاركا مالا وولدا ولما اتصل بحاكمها الخبر أحاط به الجبن والخور فاضطرب واقشعر واضطرم واعتكر واخذ الحذر ورام المفر فقيل انه وحده من غير رجال وعده فرجع عقله اليه ودخل التون عليه فأخذ فى التفتيش عن أموره ثم قطع رأسه وأرسله الى تيموره فتحرق لذلك وانتكى وتأسف عليه وبكى وأرسل الى قاتله فعزله ثم صادره وقتله ثم ان السلطان طاهرا لما أحدث هذا الحدث وتنجس بهذه الخبائث والخبث لم يمكنه الاقامة فاذن بالرحيل وأم بجماعته قبله التحويل اذا شمرت عنه مخدرات القلعة فعجز عن احصان تحصينها ودخل فى اقتضاض أبكارها وعونها وقل جيشه وانفل فسل متاعه منها وانسل فذل لتيمور صعابها وفتح له من غير معالجة بابها فولى فيها من يثق به من الاعوان ووصى به لعلة المجاورة الشيخ ابراهيم حاكم شروان ثم ثنى عنان الفساد الى صوب بغداد فهرب السلطان أحمد كاذكر الى الشام فى فئه وذلك فى خمس وشوال سنة تسعين وسبعمائه فوصل اليها حادى عشرية يوم السبت فكبنها

ومن حواليها أى كبت ثم صدره وقبيله من ولاية بغداد قاصدين ديار بكر وأرزنجان

﴿ذكر أخبار صاحب بغداد وأسماء آبائه والاجداد﴾
(وكيفية دخوله الى هذه البلاد)

وهو السلطان مغيث الدين أحمد ابن الشيخ أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا بن ايدكان صاحب بغداد وأذربيجان وما أضيف الى ذلك من ولايات ممالك وايدكان جده الاعلى ابن الخان الكبير المجيد شرف الدين سبط الخان ارغون ابن أبي سعيد كان والده الشيخ أويس من أهل الديانة والكيس ملكا عادلا واماما شجاعا فاضلا مؤيدا منصورا صارما مشكورا قليل الشر كثير البر صورته كسيرته حسنه وكانت دولته تسع عشرة سنه وكان محبا الفقراء معتقدا العلماء والكبراء وكان قد أبصر فى منامه لوقت موافاة حمامه فاستعد لحلول فوته ورصد نزول موته وخلع من الملك يده وولاه حسينا ولده وهو أكبر بنيه والافضل من أهله وذويه ونبذ دانيه ودنياه وأقبل على طاعة مولاه واستعطفه الى الرضى والعفو عما مضى ولازم صلاته وصيامه وزكاته وقيامه ولازال يصلى ويصوم حتى أدركه ذلك الوقت المعلوم فاظهر سره المصون وتلا اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدرج على هذه الطريقة الحسنه وقد جاوز نيفا وثلاثين سنه ومن مقرب تبريز اول قره وفى سنة ست وسبعين وسبعمائة وصل الى الشام خبره واستقر ولده جلال الدين حسين مكانه وأفاض على رعيته فضله واحسانه وكان كريم الشمائل جسيم الفضائل وافر الشهامه ظاهر الكرامه أراد أن يمشى على سنن والده ويحيي ما دثر من رسوم آثاره ومعاهده فخذلته الاقدار وخالطت صفو مساعيه الاكدار وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وصل من قصاده الى الشام فئة وهم القاضى زين الدين على بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين سليمان العبايقى الشافعى قاضى بغداد وتبريز والصاحب شرف الدين بن الحاج عز الدين الحسين الواسطى وزير السلطان وغيرهما ثم فى جمادى الآخرة من هذه السنة وثب السلطان أحمد على أخيه المشار اليه فقتله وقام ابتصر الملك والدين مكانه

نخذله فلا حفن حياته من الفنا سنه وعمره اذذاك نيف وعشرون سنه ولما استولى السلطان على ممالك العراق مد يد تعديه وضم جناح الشفقة والارفاق وشرع يظلم نفسه ورعيته ويذهب فى الجور والفساد يومه وليلته ثم بالغ فى الفسق والفجور فتجاهر بالمعاصى وتظاهر بالشرور واتخذ سفك الدماء الى سلب الاقراض وثلم الاعراض سلما فقيل ان أهل بغداد هجوه واستغاثوا بتيمور فأغيثوا باسمه كاهل يشوى الوجوه فلم يشعر الا والتتار قد همته وعساكر الجغتاى خيلا ورجلا حطمته وذلك يوم السبت المذكور من الشهر المشهور فاقتحموا بخيلهم رجله وقصدوا الأسوار ولم يمنعهم ذلك البحر التيار ورماهم أهل البلد بالسهام ولم أجد انه لا ينجيه الا الانهزام فخرج فيمن يثق به قاصدا الشام فتبعه من الجغتاى طائفة لئام فجعل يكر عليهم ويردعهم ويفرمنهم فيطمعهم وحصل بينهم قتال شديد وقتل من الطائفتين عدد عديد حتى وصل الى الحله فعبر من جسرها هو ورجاله ثم قطع الجسر وتجامن ورطة الامر واسرعت التتار فى عقبه تكاد انوفها تدخل فى ذنبه فوصلوا الى الجسر ووجدوه مقطوعا فتراموا فى الماء وخرجوا من الجانب الآخر ولم يزالوا تابعا ومتبوعا ففاتهم ووصل الى مشهد الامام وبينه وبين بغداد ثلاثة أيام

﴿ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر فى بلاد أرزنجان وديار بكر﴾

فوصل الى ديار بكر واستخلصها ومن أيدى ولاتها خلصها فعصت عليه قلعة تكريت فتسلط عليها من عساكره كل عفريت وذلك يوم الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة وقد ارتجت منه البلاد أشد رجه فحاصرها وأخذها فى صفر بالامان ونزل اليه متوليها حسن بن بولتمور متدرع الاكفان وفى حضنه وعلى عاتقه أطفاله وقد ودعه أهله وماله واسلمه خيله ورجاله وذلك بعد أن عاهده أن لا يريق دمه فارسله الى حائط فقضه عليه وردمه وقتل من بها من رجال وسبى النساء وأسر الاطفال وجعل يعيث ويستأصل ويقطع فى البلاد ويوصل حتى أناخ يوم الجمعة حادى عشر صفر سنة ست وتسعين الى الموصل فأخربها وكسرها ثم أتى رأس عين ونهبها وأسرها ثم الى الرها تحول ودخلها يوم الاحد عشر شهر ربيع الاول فزاد عبثا

وفسادا وجارى فيما عاند عود وعادا وخرج من تلك البلد ثانى عشريه يوم الاحد ثم اختار من نسورقومه طائفه على ورد الدماء حائمه وعلى قتل المسلمين عاكفه فأخذهم واندعر وفى ممالك ديار بكر انغمر ولم يزالوا بها عابثين ولاذاها قاصدين وعليها ظالمين وفيها ماردين فقصدها بتلك العقاريب المصاليت وواصل السير اليها فوصل فى خمسة أيام من تكريت ومسافة ما بينهما للمجد اثنى عشر يوما ان لم تزد وكان سلطانها الملك الطاهر تحقق انه لا يفر من التجاء اليه وقدم فى ثوب الطاعة عليه فما وسعه الا التشبث بذيل ذمه والانتظام فى سلك خدمه

ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الطاهر من المحنة والبلاء من ذلك الغادر الماكر

لكنه خاف غائلته فجمع حاشيته وصاغيته وقال انى ذاهب الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد فان ردنى حسب ما أريد فهو المراد وان طالبنى بالقلعة فكونوا أنتم على التأبى والمنعه واياكم أن تسلموها اليه أو تعتمدوا فى الكلام عليه وان دار الامر بين تسليم القلعة وبين اتلافى فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافى فى تلافى فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم وأتى بالهلاك على أولكم وآخركم وخسرتم شعاركم ودثاركم وغبنتم أنفسكم ودياركم واذا كان كذلك فانا أجعل نفسى فداكم وأكفيكم برحى عادها كم وبعض الشر أهون من بعض وها انا أجس لكم النبض ثم قصد ذلك الكالح المفسد الطالح بعد ما استخلف ابن أخيه الملك الصالح شهاب الدين أحمد ابن الملك السعيد اسكندر ابن الملك الصالح الشهيد ونزل يوم الاربعاء خامس عشرى شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسبعمائة واجتمع به فى سلخه بمكان يسمى الهلالية فقابله بشنعه وقبض عليه بسرعه وطلب منه تسليم القلعه فقال القلعة عند أربابها وبيد أصحابها وأنا أملك الانفسى فقد قدمتها اليك وقدمت بها عليك فلا تحملنى فوق طاقتى ولا تكلفنى غير استطاعتى فاتى به القلعة وطلبها منهم فأبوا فقدمه اليهم ليضرب عنقه أو يسلموه فنادوا فطلب منه فى مقابلة الامان من الدراهم الفضية مائة تومان كل

تومان ستون ألفا خارجاعما يتقرب به اليه زلفا ثم انه شد وثاقه وسدعليه لذهب عنه ما به من قوة كل باب وطاقة وشمر للفساد ذيله وجعل يرجح رجله ويمين خيله ويتفوق كاسات فساده ويعربد على عباد الله وبلاده واستمر على ذلك لا يبقى ولا يفيق ويتردد ما بين الفردوس الحرمل ونصيبين والموصل العتيق ثم أمر عساكره في جمادى الآخرة أن يغزوا قاصدين ويقصدوا ماردين فسابقوا الطير ولاحقوا السير وجاوزوا بالنهار الانهار وبالليل السيل فقطعوا القفار القفار قطع الهندى وعلوا في تلك الجبال والقلال عاقاله الكندى وهو

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فوصلوا اليها على غفلة واحتووا عليها من غير مهلة وذلك يوم الثلاثاء ثاني عشره وقد سل الصبح حسام فجره وطار غراب الدجى عن وكره فصاروا اسوارهم تلك الاسوار وأحلوا الدمار هاتيك الديار فعموها رجفا وساموها خسفا ودقوها رضفا ودكوها دكا وتعلقوا بأهداب أرجائها وتسلقوا بالسلالم من أرضها الى سمائها وكان متسلقهم على الاسوار من القبلة رابية اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المنشار فأخذوا المدينة عنوة وقهرا وملؤها فسقا وكفرا وترفع أهل المدينة الى القلعة ولم يكن لاحد سواهم علو المنزلة والرفعة واكوهدوا ملتجين الى قوادمها وخوافيها وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها فقتلوا من ظفروا به ذكرا وأنثى صغيرا وكبيرا ولم يرتضوا عما فيها انتهابا ومن فيها أسيرا فجالد بعض الناس وأظهر لهم بعض الجلادة وأراد بتثبيته لهم أن يقيم الجهاد الى الشهادة ولازالت آيات القتال عليهم تتلى حتى امتلأت المدينة من الجرحى والقتلى واستمر ذلك من قبل طلوع الشمس الى أن صار اليوم أمس وحين التقى على وجنتي السكون عارض الليل واستوفى أولئك المطففون من ظلمهم وتعديهم الميزان والكيل وبادر نون الظلام يونس الشمس بالالتقام طرأ على تلك الحركات السكون فتراجعوا ونزل العسكر مقابل ماردين وقد قتل من العسكرين ما سبق العدد وأكثرهم كان من أهل البلد فباتوا يعدون السلاح ويثقفونه وينتظرون الصباح ويستبطؤنه الى أن شق الليل مكتوم جيبه وأظهر الظلام مكنون غيبه وأمر السكون وجه النهار أن يضرب على جنبي الآفاق أطراف شيبه بكروا بكور

الخراب وبدروا الى الخراب والخراب وعمروا أهل المدينة وحاصروها أشد حصر وهدموها وأسوارها من الظهور فمحوا آثارها بعد العمر ثم باؤا بالآثام وقد انتشر كظلمهم الظلام .

﴿ايضاح ما أخفاه من الحيله وصلود زند تلك الافكار الوبيله﴾

ولما آب ليله بالخيبه ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبه شحذ فكرا وسدد مكرا وتاب من المقابحه وثاب الى المصالحه فودع ذلك الخسيس في نهار ذلك الخميس وأرسل اليهم يقول ضمن كتاب مع الرسول نعلم أهل قلعة ماردين والضعفاء والعجزة المساكين أننا قد عفونا عنهم وأعطيناهم الامان على نفوسهم ودمائهم فيأمنوا وايضا دفوا الينا الادعيه وهذه الرسالة نقلتها كما وجدتها فما استتب كيده ولا انجع قصده لان رصدها كانوا غير راقدين وشياطين حرسها كانوا كمين ماردين فارتحل ذلك البليه بكرة السبت الى البشريه وأرسل الى آمد الجنود مع أمير يدعى سلطان محمود فتوجه بجيش طام وحاصرها خمسة أيام وأرسل يستقدمه عليها فتوجه بنفسه اليها وأحلوا الهوان فطلبوا الامان فأمن البواب ففتح له الباب فدخل من باب التل ووضع السيف في الكل فأباد الجميع العاصى منهم والمطيع وأسروا الصغار وهتكوا أستار الحرم وحرم الاستار وأذاقوا الناس لباس الباس والتجى بعض الناس الى الجامع فقتلوا منهم نحوا الفى ساجد وراكع ثم حرقوا الجامع ورحلوا وتركوها بلاقع فهداه ابليس الى أخذ قلعة أرجيس ثم بادر بالتحريك وحط على قلعة أرنيك وفيها مصر بن قرا محمد أمير التركمان فحاصرها وأخذها بالامان وذلك في سنة ست وتسعين وسبعمائة بعد عيد رمضان ثم قتل كل من كان بها من الجند وصير مصر الى سمرقند

﴿فصل﴾ ثم استصحب الملك الطاهر بسوء نيه ورحل سابع ذى القعدة سنة ست وسبعين وسبعمائة وحبسه في مدينة سلطانيه وحبس عنده من أمرائه الامير ركن الدين وعز الدين السليمانى واستبوفا وضياء الدين وضيق عليه بأن يقطع عن أهله خبره بحيث لا يدرى أحد عجره وبجره ولما أثخنه شد الوثاق قصد التوجه الى دشت قبجاق فأجرى نحوها ما أقام من الفتنة على قدم وساق ومكث

الملك الظاهر سنه لا يدرى أحد خبره فى يقظة ولا سنه ثم وفدت الملكة الكبرى الى سلطانيه وخففت عنه مابه من ضيق وبليه وفسحت له فى مراسلة جماعته وحرضته على طلب الدخول فى رضى تيمور وطاعته زاعمة أنها ناصحة له وطالبة مصلحته وكان ذلك من مكائد تيمور وباشارته ثم رجع تيمور من الدشت فى شعبان سنة ثمان وتسعين فمكث بسلطانيه ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى همذان ومكث بها الى ثالث عشر شهر رمضان ثم استدعى من سلطانية الملك الظاهر باكرام تام وانشراح صدر وخاطر ففك واقيوده وقيود متعلقيه وعظموه غاية التعظيم مع ذويه وتوجه اليه يوم الخميس خامس عشره ودخل عليه يوم السبت سابع عشره فتلقاه بالاحترام واعتنقه واذهب عنه دهشه وقلقه وقبله فى وجهه مرارا واعتذر اليه مما فعله معه جهارا وقال له انك لله ولى ورفيع القدر كابى بكر وعلى وتحال منه مما صدر فى حقه عنه واضافه ستة آيام وخلع عليه خلع الملوك العظام وأحله محلا جميلا وأعطاه عطاء جزيلا من ذلك مائة فرس وعشرة بغال وستون ألف دينار كبكية وستة جمال وخلعا مزركشة مكالة وانعامات وافرة مكمله ولواء يخفق على رأسه منصورا وستة وخمسين منشورا كل منشور بتولية بلد وأن لا ينازعه فيه أحد أول ذلك الرها الى آخر ديار بكر الى حدود أذربيجان وأرمينية وكل ذلك من الدهاء والمكر وان جميع حكام تلك البلاد يكونون تحت طاعته معدودين فى جملة خدمه وجماعته يحملون اليه الخراج والخدم ولا ينقلون الا عن أمره قدما عن قدم بحيث يكون شخص كل من يجاوريه مما أفاء الله عليهم اظله فيأ ويبقى هو فلا يحمل الى تيمور ولا الى غيره شيأ وهذا وان كان فى الظاهر كالاكرام فانه فيما يؤل اليه وبال عليه وانتقام وفيه كما ترى مافيه والقاء العداوة بينه وبين مجاوريه وينجر ذلك الى أن يلتجى اليه ويعول فى كل اموره عليه ويدخل لكثرة الاعداء تحت ضبنه فيصل اذذاك منه الى سضنه ثم انه شرط عليه أنه كلما طلبه جاء اليه ثم عانقه وودعه وأمر أمراءه بتشييعه فخرج من الضيق الى السعه لثالث عشرى شهر رمضان ليلة الجمعه سنة ثمان وتسعين وسبعمائه فوصل الى سلطانيه فى عيشة رضية وحالة هنيه ثم عزم على تبريز فى جحفل نفيس عزيز واجتمع بامیران شاه فزاد فى اكرامه وعطاياه وشيعه فى أحسن هيئة

وأمين طور فجاء على وسطان وبدليس وارزن الى الصور ووصل خبره الى قبائله والعشائر فابتهج الناس ودقت البشائر يوم الجمعة حادى عشرى شوال وخرج أهل المدينة والاكابر لاستقبال وسبق الناس رلى عهده الملك الصالح فدخل المدينة بفال سعيد وأمر ناجح وتوجه الى مدرسة حسام الدين وزار والده وأمواته الماضين وعزم على ترك التخت المنيف والتوجه الى الحجاز الشريف فلم يتركه الناس خاصة وعامه وتراموا عليه وقبلوا أقدامه فصعد الى محل كرامته واستقر فى كرسى مملكته وسيأتى لهذا الشأن مزيد بيان وماجرى من الأمور عند قدوم تيمور وحلول عسكره الشام ماردين بعد خرابه ممالك الشام قيل لما استقر الملك الطاهر فى مملكته اجتمع عنده جماعة من أدباء قدماء حضرته فاقترح عليهم أن يقولوا فى ذلك شيأ فقال أولا بدر الدين حسن بن طيفور شعر

طغى عمر واستأصل الناس ظلمه * وشاعت له الخافقين الكبائر
لقد زاد بغيا فافرحوا بزواله * لان على الباغى تدور الدوائر

فقال زكن الدين حسين بن الاصغر أحد الموقعين ثانيا شعر

كن من رجال اذا ما الخطب نابهم * ردوا الامور الى الرحمن واعتمدوا
فسلموا الأمر لما أن رأوا خطرا * لذى الجلال فلما سلموا سلموا

فقال القاضى صدر الدين بن ظهير الدين الحنفى السمرقندى ثالثا شعر

طويل حياة المرء كاليوم فى غد * نخيرته أن لا يزيد على الحد
ولا بد من نقص لكل زيادة * وان شديد البطش ينقص للعبد

ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصنى أحد الموقعين رابعا دوبيت شعر

لا تحزن فالذى قضى الله يكون * والامر موكل الى كن فيكون
مابين تحرك لحظ وسكون * الحالة تنقضى وذا الامر يهون

فأعجبه ذلك وأجازه خمسة آلاف درهم وصرفه والله أعلم

(ذكر رجوعه من ديار بكر والعراق وتوجهه الى مواهبه فحاق
ووصف ملوكها وممالكها وبيان ضياعها ومسالكها)

ثم انه رجع من عراقى العرب والعجم وقد ثبتت له فى ممالكها آيه قدم وذلك بعد

أن قدم عليه الشيخ ابراهيم وسلمه مقاليد ما بيده من الاقاليم فتقلد طوق عبوديته ووقف فى مواقف خدمته وانتظم فى سلك عبيده وأحله محل ولده وسنذكر كيف تعرف عليه ومن أى طريق تقرب اليه فقصد دشت قبجاق وجدّ فى الوخد والاعناق وهو ملك فسيح يحتوى على مهامه فيح وسلطانها توقتاميش الذى كان فى حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجاليش اذ هو أول من بالعداوة بارزه وفى بلاد تركستان واقفه وناجزه وأنجده فى ذلك كما مر السيد بركه وبلاد الدشت تدعى بلاد قبجاق ودشت بركه والدشت باللغة الفارسية اسم للبريه وبركة المضاف اليه هو أول سلطان أسلم ونشر بها رايات الملة الاسلاميه وانما كانوا عباد أوثان وأهل شرك لا يعرفون الاسلام والايمان ومنهم بقية يعبدون الاصنام الى هذا الاوان فتوجه الى ذلك الاقليم من طريق الدربند الجارى تحت حكم الشيخ ابراهيم وهو سلطان مملكة شروان ونسبه متصل بالملك كسرى أنوشروان وله قاض يدعى أبا يزيد يفضل على جميع أركان دولته بالقرب اليه ويزيد هو دستور مملكته وقطب فلك سلطنته فاستشاره فى أمور تيمور وما يفعله أيعطيه أم يتحصن منه أم يفر أم يقاتله فقال له الفرار فى رأيى أصوب والتحصن فى الجبال الشواهق أوثق عندى وأنسب فقال ليس هذا برأى مصيب أنجو أنا وأترك رعيتى ليوم عصيب وماذا أجيب يوم القيامة رب البريه اذا رعيت أمورهم وأضعت الرعيه ولا عزمت أن أقاتله وبالحرب والضرب أقابله ولكنى أتوجه اليه سريعا وأتمثل بين يديه سامعا الامر مطيعا فان ردنى الى مكانتى وقررنى فى ولايتى فهو قصدى وغايتى وان آذانى أو عزلنى أو حبسنى أو قتلنى فتكفى الرعية مؤنة القتل والنهب والاسار فيولى اذ ذاك عليهم وعلى البلاد من يختار ثم أمر بالاقامات فجمعت وأذن للجيوش فتفرقت وتنعت وعين الولايات أن تتزين وتتزوق وبسكانها براو بحرا أن تأمن فتتعامل وتتأنق وبالخطب أن تقرأ فوق المنابر باسمه وبالدنانير والدراهم أن تضرب برسمه ورسمه ثم حمل التقادم والخدم وتوجه اليه بأطيب جاش وأثبت قدم ولما وفد عليه وتمثل بين يديه قدم الهدايا والتحف وأنواع الغرائب والطرف وعادة الجغتاى فى تقديمهم الخدم أن يقدموا من كل جنس تسعه لينالوا بذلك عند المهدى اليه الكرامة والرفعه فقدم

الشيخ ابراهيم من كل جنس من أصناف ماقدمه تسعه ومن المماليك ثمانيه فقال له المتسلمون لذلك وأين تاسع المماليك فقال التاسع نفسي العانيه فاعجب تيمور هذا الكلام ووقع من قلبه بمكان ومقام وقال له بل أنت ولدي وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي وخلع عليه خلعة سنيه ورده الى مملكته مستبشرا ببلوغ الامنيه ثم فرقت تلك الاقامات وتوزعت الفواكه والطعامات ففضل منها أمثال الجبال عن ذلك العسكر الذي هو كالحصا والرمال ثم تركه وسار الى بلاد الشمال والتتار وسبب آخر لقصده تلك الممالك وان كان لا يحتاج الى ذلك ان الامير ايدكو كان عنده توقتاميش أحد رؤس أمراء الميسره والاعيان المتخذين في النائبات لدفعها وأرباب الرأي والمشوره وقبيلته تدعى قوبكومات وقبائل الترك كقبائل العرب واللغات كاللغات وكان أيدكو اذ أحس من مخدومه تغير خاطر خاف منه على نفسه وكان توقتاميش شديد البأس تخشى منه حلول بأسه فلم يزل منه متحرزا وللفرار اذا رأى منه ما يقتضي ذلك مستوفزا وجعل يراقبه ويراقيه ويداريه ويداريه ففي بعض ليال السرور ونجوم الكاسات في أفلاك الطرب تدور وسلطان الخمره قد أنفذ في أسير العقل أمره طفح أن قال توقتاميش لايدكو ونور البصيرة يخبو ويذكو ان لي ولك يوما يسومك الخسف سوما ويوليك من موائد الحياة صوما وعلا عين بقائك من سنة الفناء نوما فغالطه أيدكو وباسطه وقال أعيذ مولانا الخاقان ان يحقد على عبد ما خان وان يذوي غراسا هو أنشاه أو يهوي أساسا هو بناه ثم أظهر التذلل والخشوع والتمسكن والخنوع وتحقق ما كان ظنه وأعمل في وجه الخلاص ذهنه واستعمل في ذلك الذكاء والفطنه وعلم أنه ان أهمل أمره أو أمهله أنه فمكث قليلا واشتغل السلطان ثم انسلت من بين الحواشي والاعوان وخرج في حاجه كانه يريد قضاء حاجه وأتى اصطبل توقتاميش بجاش يجيش ولا يطيش وعمد الى فرس مسرجه نجيبة نجيبه أعدت معده لكل شده وقال لبعض حاشيته المؤتمن على سره من قاشيته من أراد أن يوافيني فعند تيمور يلاقيني ولا تفش هذه الاسرار الا بعد أن تحقق أني قطعت القفار ثم ركبه وسار فلم يشعر به الا وقد سبق وركب طبقا عن طبق وقطع على أنوال السير أطول الشقق فلم يدركوا منه آثار ولا لحقوا منه ولا الغبار فوصل الى تيمور وقبل يديه وعرض

حكاياته وأخباره كما جرت عليه وقال أنت تطلب البلاد الشاحطه والاماكن الوعرة
الساقطه وتركب في ذلك الاخطار وتقطع قفار القفار وتملوا اسفار الاسفار وهذا
الغنم البارد نصب عينيك تدركه هنيئا مريئا بيمينك ويمينك فقيم التواني والتناعس
وعلام التقاعد والتقاعس فانهض بعزم صميم فانا لك به زعيم فلا قلعة تمنعك
ولا منعة تقلعك ولا قاطع يدفعك ولا دافع يقطعك ولا مقابل يقابلك ولا مقاتل
يقاتلك فما هو الا أوشاب وأوباش وأموال تساق وخرشن بارجلها مواش ولا زال
يحرضه على ذلك ويطالب ويفتل منه في الذروة والغارب كما فعل مع عثمان قرا
أيلوك حين جاء الى تبريز بوسواسه وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان
برهان الدين احمد ومحاصرة سيواسه كما يذكر فتهيأ تيمور باوفي حركة الى
استخلاص دشت بركه وكانت بلادا بالتتار خاصه وبأنواع المواشي وقبائل الترك
غاصه محفوظة الاطراف معمورة الاكناف فسيحة الارجاء صحيحة الماء والهواء
حشمها رجاله وخردها نباله أفصح الاتراك لهجه وأزكاهم مهجه وأجملهم
جبهه وأكملهم بهجه نساؤهم شموس ورجالهم بدور وملوكهم رؤس واغنياؤهم
صدور لازور فيهم ولا تدليس ولا مكر بينهم ولا تلبيس دأبهم الترحال على العجل
مع آمان لايدانيه وجل مدنها قليله ومراحلها طويله وحد بلاد الدشت من
القبلة بحر قلزم الظلوم الغشوم وبحر مصر المنقلب اليهم من بلاد الروم وهذان
البحران كادا يلتقيان لولا أن جبل الجركس بينهما برزخ لا يبغيان ومن الشرق
تخوم ممالك خوارزم واترار وسغناق الى غير ذلك من البلاد والآفاق آخذا الى
تركستان وبلاد الجتا متوغلا الى حدود الصين من ممالك المغول والخطا ومن
الشمال مواضع وبرار وقفار ورمال كالجبال وكم في ذلك من تيه تحير الطير
والوحش فيه وهو كرضى آكابر الزمان غاية لا تدرك ونهاية لا تسلك ومن الغرب
تخوم بلاد الروس والبلغار وممالك النصارى والاشرار ويتصل بتلك التخوم
ماهو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك الروم وكانت القوافل تخرج من خوارزم
وتسير بالعجل وهم آمنون من غير ريب ولا وجل والى قريم طولا ومسيرة ذلك نحو
من ثلاثة أشهر وأما عرضا فاه وبحر من الرمل أمده سبعة أبحر لا يهتدى فيه
الخريت ولا يقربه من الدعاميص كل عفريت فكانت القافلة لا تحمل زادا ولا

علىقا ولا يصحبون معهم رفيقا وذلك لكثرة الأمم ووفور الامن والمأكل والمشرب من الخشم فلا يصدرون الا عن قبيله ولا ينزلون الا عند من يكرم نزيله وانه قيل فيهم شعر

مكتنفي جنبي عكاظ كليهما * يدعو وليدهم بها عرعار

واما اليوم فليس بتلك الاماكن من خوارزم الى قريم من تلك الأمم والخشم متحرك ولا ساكن وليس فيها من أنيس الا اليعافير والا العيس وتحت الدشت سراى وهى مدينة اسلامية البنيات بديعة الاركان وبأتى وصفها وكان السلطان بركه رحمه الله لما أسلم بناها واتخذها دار الملك واصطفاها وحمل أمم الدشت على الدخول فى حمى الاسلام ورعاها فلذلك كانت محل كل خير وبركه وأضيفت بعد اضافتها الى قفجاق والى بركه أنشدنى لنفسه مولانا وسيدنا الخواجا عصام الدين ابن المرحوم مولانا وسيدنا الخواجا عبد الملك وهو من أولاد الشيخ الجليل برهان الدين المرغينانى رحمه الله فى حاجى ترخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة أربع عشرة وثمانمائة وفى يومنا هذا أعنى سنة أربعين وثمانمائة انتهت اليه الرياسة فى سمرقند قوله وقد قاسى فى درب الدشت أنواع النكال شعر

قد كنت أسمع أن الخير يوجد فى * صحراء تعزى الى سلطانها بركه

بركت ناقة ترحالى بجانبها * فما رأيت بها فى واحد بركه

وأنشدنى أيضا لنفسه معرضا عن مولانا وسيدنا وشيخنا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد الكردى البزازى تغمده الله تعالى برحمته فى الزمان والمكان المذكورين شعر

متى تحفظ الناس فى بلدة * مصالحها فى يدى حافظ

لحافظها صار سلطانها * وسلطانها ليس بالحافظ

ولما تشرف بركه خان بخلعة الاسلام ورفع فى أطراف الدشت للدين الحنيفى الاعلام استدعى العلماء من الاطراف والمشايخ من الآفاق والاكناف ليوقفوا الناس على معالم دينهم ويبصروهم طرائق توحيدهم ويقينهم وبذل فى ذلك الرغبات وأفاض على الوافدين منهم بحار الهبات وأقام حرمة العلم والعلماء وعظم شعائر الله تعالى وشعائر الانبياء وكان عنده فى ذلك الزمان وعند أوزبيك بعده

وجانى بيك خان مولانا قطب الدين العلامة الرازى والشيخ سعد الدين التفتازانى والسيد جلال الدين شارح الحاجبية وغيرهم من فضلاء الحنفية والشافعية ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازى ومولانا أحمد الجندى رحمهم الله فصارت سراى بواسطة هؤلاء السادات مجمع العلم ومعدن السعادات واجتمع فيها من العلماء والفضلاء والادباء والظرفاء والنبلاء ومن كل صاحب فضيلة وخصلة نبيلة جميلة فى مدة قليلة مالم يجتمع فى سواها ولا فى جامع مصر ولا قراها وبين بنيان سراى وخرابها مابها من الامكنه ثلاث وستون سنة وكانت من أعظم المدن وضعا وأكثرها للخلق جمعا حكى أن رجلا من أعيانها هرب له رقيق وسكن فى مكان منحى عن الطريق وفتح له حانوتا يتسبب فيه ويحصل له قوتا واستمر ذلك المهين نحوا من عشر سنين لم يصادفه فيه مولاه ولا اجتمع به ولا رآه وذلك لعظمها وكثرة اهلها وهى على شط نهر متشعب من نهر آتل الذى أجمع السياحون والمؤرخون وقطاع المناهل أنه لم يكن فى الانهر الجارية والمياه العذبة النامية أكبر منه وهو يأتى من بلاد الروس وليس له فائدة سوى اغتيال النفوس ويصب فى بحر القلزم وكذلك جيحون وسائر أنهار العجم مع ان بحر القلزم محصور وعليه بعض ممالك العجم تدور مثل كيلات ومازندران واستراباد وشروان واسم نهر سراى سنكلا ولا يقطع أيضا الا بالمراكب ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب وكم فرق تتفرق من ذلك البحر العريض الطويل وكل فرق أعظم من الفرات والنيل

﴿ذكر وصول ذلك الطوفان وبجمة أمم الدشت بعد كسره توقتاميش خان﴾

فوصل تيمور الى تلك الداره بالعساكر الجراره بل بالبحار الزخاره ذوى السهام الطياره والسيوف البتاره والرماح الخطاره والاسود الهصاره والنمور الكراره من كل شان الغاره مدرك فى العدو ثاره حام حقيقته وجاره ومرينه ووجاره وفريسته وتجاره وابح من بحر الحرب غماره مقاوم أمواجه وتياره فارسل توقتاميش الى زعماء حشمه وعظماء أممه وسكان أحقافه وقطان أطرافه ورؤس أسرته وضروس ميمنته وميسرته فاستدعاهم والى المقابلة والمقاتلة دعاهم فاتوا فى ثوب طاعته يرفلون وهم من كل حدب ينسلون واجتمعوا شعوبا وقبائل

مابين فارس وراجل وضارب ونابل ومقبل وقابل ومقاتل وقاتل ع-رهف وذابل وهم قوم نبال النبال ونضال النضال لايطيشون سهماوهم من جي ثعل أرمى اذا عقدوا الاوتار أصابوا الاوتار وان قصدوا الاوطار وجدوا المقصد حتم أوطار ثم نهض للمصادمه واستعد للمفاتحة والمقاومه بعساكر كالرمال كثره وكالجبال كره

﴿ذكر ماوقع من الخلاف من عسكر توقتاميش وقت المصاف﴾

وحين توقف الصفان وتناقف الزحفان برز من عسكر توقتاميش أحد رؤس الميمنه لعدم على أحد الامراء فطلبه منه وفي قتله استأذنه فقال له لينهم بالك وليجب سؤالك قلت شعر

لكن ترى ماقد طرى ✽ على الورى وماجرى

فأمهلنا حتى اذا انفصلنا وعلى المراد حصلنا أعطيتك غرضك ونازلتك خصيلك فأدرك منه ثارك واقض أوطارك قال لا أولا تكن الساعه والا فلا سمع لك ولا طاعه فقال نحن في كرب مهم ومن مرامك أهم وخطب مدلهم ومن مصابك أغم فاصبر ولا تعجل واطمئن ولا توجل فما يذهب لاحد حق ولا يضيع مستحق فلا تلجئ الاعمى الى الجرف ولا تكن ممن يعبد الله على حرف فكانك بليل الشده وقد أدبر وبصباح الفلاح وقد أسفر فالزم مكانك ونازل أقرانك وتقدم ولا تتأخر واصدع بما تؤمر فانجر ذلك الامير بجمع كثير واتبعه كل باغ وغاو وقبيلته كايا واسه القتاو وانطلق يروم ممالك الروم فوصل هو وحشمه الى ضواحي أدرنه واستوطن تلك الامكنه فاختل لذلك عسكر توقتاميش وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش ولم يربدا من اللقاء وصدق الملتقى فثبت جاشه وجيشه وهزم وقاره وطيشه وقدم من اجلابه الابطال ورتب الخياله والرجال وقوى القلب والجناح وسدد النبل والصفاح

﴿فصل﴾ وأما جيش تيمور فانه مستغن عن هذه الامور لان أمره معلوم ووصفه مفهوم وسطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم ثم تدانى الجيشان واصطدما واصطليا بنار الحرب واصطلما والتفت الاقران بالاقران وامتدت الاعناق

للضراب وشرعت النحور للطعان واكفهرت الوجوه واغبرت وكشرت ذئابه
للضراب وأهرت وتمارشت غور الشرور واسبطرت وتهاوشت أسود الجنود وأزبأرت
واكتست بريش النبال الجلود فاقشعرت وهوت جباه الجباه ورؤس الرؤس
في محراب الحرب للسجود فخرت وثار الغبار وقام القتام وخاض بحار الدماء
كل خاض وعام وصارت نجوم السهام في ظلام القتام لشياطين الاساطين رجوما
رواشق ولوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقا وصواعق
ولا زالت سلاهب المنايا تجوب وتجول وضراغم السرايا تصوب وتصول ونقع
السنابك الى الجو راقيا ونجيع السوافك على الدوجاريا حتى غدت الارض سما
والسموات كالبحار ثمانيا واستمر هذا الكدو والصدام نحوا من ثلاثة أيام ثم انجلى
الغبار عن انهزام جيش توقتاميش وولى الادبار وفرت عساكره وانذعرت
وانتشرت جنود تيمور في ممالك الدشت واستعرت واستولى على قبائلها وأتى على
ضبط أواخرها وأوائلها واحتوى على الناطق فمازه وعلى الصامت فحازه وجمع
الغنائم وفرق المغانم وأباح النهب والاسر وأذاع القهر والقسر وأطفأ أفتائلهم
واكفأ مقاولهم وغير الاوضاع وحمل ما استطاع من الاموال والاسرى والمتاع
ووصلت طراشته الى أزاق وهدم سراى وسرايجوق وحاجي ترخان وتلك الآفاق
وعظمت منزلة ايدكو عنده ثم قفل قاصدا سمرقنده وصحب ايدكو معه ورام
أمنه أن يتبعه

(ذكر ايدكو وما صنعه وكيف خلب تيمور وخدعه)

فأرسل ايدكو قاصدا الى أقاربه وجيرانه وقبائل الميسرة كلهم من أصحابه وأخدانه من
غير ان يكون لتيمور بذلك شعور أن يرحلوا عن مكانهم ويتشمروا عن أوطانهم وأن
ينحو جهة عينها وأماكن بينها صعبة المسالك كثيرة المهالك وان أمكنهم أن
لا يقيموا في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك فانه ان ظفر بهم تيمور بدد شملهم
وأبادهم كلهم فامتثلوا مارسم به ايدكو وارتحلوا ولم يلووا ولما علم ايدكو أن
جماعته فوزوا وحشمه لتيمور أعجزوا قال له يا مولانا الامير ان لي من الاقارب
والحشم الجم الغفير وانهم عضدي وجناحي وبصلاح معايشهم صلاحي ولا آمن

عليهم أن يلقوا بعدى من توقتاميش الجور والتعدى بل لا أشك أنه يفنيهم ويبيدهم عن بكرة أبيهم وحيث يتنمر عليه بجاه جنابك جانبى ينتقم لسوء ظنه من حشمى وأقاربى لان سداه هذه الملاحم أنا ألحمته وفى مضائق البلاء ومآزق الانكسار أنا أقحمته وعلى كل حال فلا يطيب على قلبى ان يساكنوه وكيف يهنأ لى العيش واسعدوا في بجاوروه فان اقتضت الآراء المنيره ارسال قاصد الى تلك الاماكن والقبائل الكثيره صحبة مرسوم شريف وأمر عال منيف باستمالة خواطرهم وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم والامر بترحالهم وترفيع حالهم فيكونون جميعا تحت الظل الشريف فى روض عيش وريق وريف ونتخلص من هذا الدشت الخالق الدست ونقتضى ما مضى من الاعمار ونقضى الباقى فى جنات تجرى من تحتها الانهار فالرأى الشريف أعلى واتباع ما يبديه بالممالك أولى فقال له تيمور أنت عذيقها المرجب وجذيلها المحكك ومع وجودك أنت من يسلك هذا المسلك فقال كل الانام بيدك وتابع مرادك ومريدك ومن تراه لشئ أهلا كان كل حزن عليه سهلا فقال بل أنت أولى بهذا الامر فكن ضمينه ادلابقى ومالك فى المدينه فقال أضف الى واحدا من الامراء ليكون لى عليهم وزراء مع مراسيم شريفه بما تقتضيه الآراء المنيفه فأجابه وقضى مراده وأضاف اليه من أراده فقضيا مآربهما وتجهزا ونحو مطالبهما تحيزا ولما انفصل ايدكو عن تيمور استدرك فارطه وعلم ان ايدكو خلبه عقله وغالطه فأنفذ اليه قاصدا أن يكون اليه عائدا لامر قد سنح ورأى قد جنح فلما قدم القاصد عليه وبلغ ما أرسل به اليه قال له وللامير الذى معه وقد خشى كل منهما ان يتبعه اقضيا مآربكما والقاصاحبكما وقبلا يديه وابلغاه ان امدا جتماعنا هذا منتهاه وانى برى منه انى أخاف الله ولم يمكنهما مخاشنته ولا وسعهما فى تلك المضايقة الشديدة الامعاينته فودعاه وانصرفا وانحرفا وما وقفا ولما بلغ تيمور ذلك تضرر وتغيرم وتبرح وتبرم وحرق عليه الازم وتندم ولات حين مندم وكاد يقتل نفسه حنقا عليه وتجرع كاسات يوم يعض الظالم على يديه ولم يمكنه التقييد به فلم يتحرك له بحركه وتوجه الى ممالكه ثم الى سمرقند وتركه فكان هذا آخر امره من دشت بركه قيل انه لم يخدع تيمور ويدهيه ويخلبه قولا وفعلا ويطفيه سوى ايدكو المار

ذكره أقول وسمى قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكى الآتى حكايته وأمره

(تتمة ما جرى فى نواحى الشمال بين توقتاميش وايدكو من الجدال والقتال الى ان تغير أمر كل منهما وحال)

ولما انفصل تيمور بما حصل واستقر فى مملكته بعد ما وصل واتصل ايدكو بحاشيته وابتهج بصاغيته وغاشيته أخذ فى التفتيش من أمور توقتاميش وتحفظ منه وتحرز ولما رآه انتصب وتجهز اذ لم يمكنه رتق ما فتقه ولا رقع ما خرقه وأيضا ما أمكنه الاستقلال بادعاء السلطنه اذ لو أمكن ذلك لادعاه تيمور الذى ملك الممالك فنصب من جهته سلطانا وشيد فى دار الملك خانا ودعا رؤس الميسرة ووجوه قبائلها اليه فلبوا دعوته وأقبلوا عليه اذ كانوا أقوى من غيرهم آمنين من ضرر الجغتاى وضيرهم فقوى بذلك سلطانه وعمر بقفول الجنود خانه وثبت فى دار الملك أساسه وعلت أركانه وأما توقتاميش فبعد أن تراجع وهله واستقر فى دماغه عقله ورحل عدوه وحصل هدوه جمع عساكره واستنجد قومه وناصره فلا زالت ضروب الضراب لحراب الحروب بينه وبين ايدكو قائمه وعيون السكون بجفون الزمان المتعامى عن صلحهما نائمه الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مره يدال هذا على ذاك تارة وذاك على هذا كره فأخذ أمر قبائل الدشت فى التنقص والشتات وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا فى الانبثاث والانبتات لاسيما وقد تناوشهما أسدان وأظل عليهما مانكدان وقد كان حلوم ذهب مع تيمور وأمسى وهو فى أمره محصور وفى حصره مأسور فانفلذت منهم طائفة لا تحصى ولا تحصر ولا يمكن ضبطها بديوان ولا دفتر وانحازت الى الروم والروس وذلك لطالعهم المشؤم وجدهم المعكوس فصار وا بين مشركين نصارى ومسلمين أسارى كما فعله جبلة بنى غسان واسم هذه الطائفة قرابوغدان فبواسطة هذه الاسباب آل عامر الدشت الى الخلاء والخراب والتفرق والتباب والانفلات والانقلاب وصارت بحيث لو سلكها أحد من غير دليل ورصد فانه يهلك على الحقيقه لاضاعته فى المجاز طريقه اما صيفا فلان الرياح لا رمال تسفى فتخفى الطريق على

المارة وتهفى واماشتاءه لأن الثلج النازل فيها يترا كم عليها فيغطيها اذ كل ارضها مجاهل ومنازلها مناهل ومراحلها مهامه ومناهل فعلى كل تقدير سلوكها مهلك عسير فكانت الوقعة الخامسة عشر على ايدكو فتشتت وتشرد وتبذر وتبدد وغرق هو ونحو من خمسة ثم رجل من أخصائه في بحر الرمل فلم يشعر به أحد واستبد توقتاميش بالمملكه وصفاله دشت بركه وكان مع هذا متشوفا الاخبار ايدكو وأحواله متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه في رماله ومر على ذلك نحو من نصف سنه وانقطع اثره من الاعين وخبره عن الالسنه وايدكو كان دعيص تلك الاقعاص والاحقاف وعن قطع بسير أقدامه أديم تلك النعال والاخفاف فصار يتربص ويتبصر ويتفكر معنى ماقلته ويتدبره وهو شعر

ارقب الامر وانتظر فرجا * وانتهز وقتا اذا ماجا
وامزج الصبر بالحجى فبه * ورق التوت صار ديباجا

فلما تيقن أن توقتاميش ايسه وتحقق ان ليث المنايا افترسه شرع يتجسس أخباره ويتتبع ويستشرف آثاره ويتطلع الى أن تحقق من الخبر أنه في متنزه منفرد عن العسكر فامتطى جناح الخيل وارتدى جنوح الليل ووصل السير بالسرى واستبدل السهر بالكرى فارا الى الهضاب فروع الحباب مقروعا من الربى اقراع الندى حتى وصل اليه تيمور وهو لا يعلم وانقض عليه كالقضاء المبرم فلم يبق الا ان البلايا احتوشته وأسود المنايا انتوشته وثعابين الرماح وأفاعي السهام نهشته فحاولهم قليلا وجاولهم طويلا ثم انجدل قتيلا وكانت هذه المرة من الوقعات السادسة عشر خاتمة التلاق وحاكمة الفراق فاستقر أمر الدشت على متولى ايدكو وصار القاصى والدانى والكبير والصغير الى مراسيمه يصغو وتفرقت أولاد توقتاميش فى الآفاق جلال الدين وكريم بردى فى الروس وكوبال وباقى اخوته فى سغناق واستمر أمر الناس على مراسيم ايدكو يولى السلطنة من شاء ويعزله منها اذا شاء ويأمر فلا يخالفه أحد ويحد فلا يجاوز ذلك الحد فمن ولاه قوبليغ تيمور خان وأخوه شادى بيك خان ثم فولاد خان بن قوتليغ تيمور ثم اخوه تيمورخان وفى أيامه تخبطت الامور فلم يسلم لايدكو زمامه وقال لاعزله ولا كرامه أنا الكبش المطاع فانى أكون مطيعا والثور المتبوع فكيف أصير تبيعا فانحسم بينهما

الشقاق ونجم من ذوى الضغينة نجو النفاق وجرت شرور ومحن وحروب واحن وبنا ظلمات الفتن احتبكت ونجوم الشر ورفى دياجى الدشت بين الفريقين اشتبكت واذا ببدر الدولة الجلالية من مشارق السلالة التوقتاميشيه بزغ متهللا وفرع من بلاد الروس مقبلا وكانت هذه القضية فى شهور سنة اربع عشرة وثمانمائة فتعاظمت الأمور وتفاقت الشرور وضعف حال أيدكو وقتله تيمور واستقر النفاق والشقاق بين ملوك ممالك قبجاق الى أن مات ايدكو غريقا جريحا وأخرجوه من نهر سيحون بسرايجوق وألقوه طريحا رحمه الله تعالى وله حكايات عجيبه واخبار ونوادر غريبه وسهام ذراه فى أعدائه مصيبه وأفكار مكائد وواقعات مصائد وله فى أصول فقه السياسة نقود وردود البحث فيها يخرج عن محصول المقصود وكان أسمر شديد السمرة ربعه مستمسك البدن شجاعا مهابا ذا رفعه جوادا حسن الابتسامه ذا رأى مصيب وشهامه محبا العلماء والفضلاء مقربا للصلحاء والفقراء يداعبهم بألطف عباره وأظرف اشاره وكان صواما وبالليل قواما متعلقا باذيال الشريعه قد جعل الكتاب والسنة وأقوال العلماء بينه وبين الله تعالى ذريعه له نحو من عشرين ولدا كل منهم ملك مطاع وله ولايات على حده وجنود واتباع وكان فى جماعات الدشت اماما نحو من عشرين عاما وأيامه فى جبين الدهر غره ولياليه دولته على وجه العصر طره

﴿رجعنا الى ما كنا فيه من أمور تيمور ودواهيه﴾

ولما وصل تيمور الى أذربيجان وابث عسكره فى ممالك سلطانية وهمذان واستدعى الملك الطاهر سلطان ماردين وأطلقه وأنعم عليه كما ذكر واستوثقه وولاه ما بين الشام والعراق وأحكم تلك الممالك عاوسه من المكر والنفاق ولم يمكنه الاقامة على ك العجم لما معه من الدشت من أمر جه عنان قصده الى ممالك سمرقند فنفض فيها أوطابه وفرغ عما كن ملأبه من الدشت جرابه ثم خرج من غير توان وقطع جيحون بالطوفان ووصل الى خراسان وواصل السير الى أذربيجان وتوجه اليه طهرتن حاكم اذربيجان متلقيا طوق مراسيمه بجيد الاطاعة والاذعان وأهل آمد رمادين وتناساها ولم يتعرض الى ما يتعلق بامن مدنها وقراها

﴿ابتداء ثوران ذلك القتام فيما يتعلق بممالك الشام﴾

ثم انه قصد الرها ورام نهبها فخرج اليه شخص من أعيانها ورؤسا قطانها يقال له الحاج عثمان بن الشكشك فصالحه واشتراها بجمل من الاموال وحملها اليه وأداها فعند ذلك أرسل الى القاضي برهان الدين أبي العباس أحمد الحاكم بقيصرية وتوقات وسيواس من الرسل عدة ومن الكتب شدة يبرق فيها ويرعد ويرغي في بحرها ويزبد ويقيم بفحاويها ويقعد ومن جملة فحواه ومضمون ذلك وما حواه أن يخطبوا باسم محمود خان أوسيورغاتمش خان وباسمه ويضربوا السكة على طرز ذلك ورسمه كما هو دابه ويحمله رسوله وكتابه فلم يؤمن له السلطان برسول ولا بكتاب ولا تقيد له بجوابه عن خطاب بل قطع رؤس الروس من قصاده وعلقها في أعناق الباقين وأشهرهم في بلاده ثم جعلهم شطرين وقسمهم نصفين وأرسلهم الى جهتين للسلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق منهم جزء مقسوم والجزء الآخر الى السلطان أبي يزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم وأخبرهما بالقضية عن جليه وما ورد عليه من خطاب تيمور الممقوت وانه جعل في ذلك جوابه السكوت وقتل قاصديه نكاية ولم يزد على هذه الحكاية وانما فعل ذلك برسله وقصاده استهزانا به واستعظاما لما فعل بعباد الله تعالى وبلاده ثم قال القاضي اعلما أني جاركما ودياري دياركما وأنا ذرة من غبار كما وقطرة من بحاركما وما فعلت معه هذا مع ضعف حالي وقلة مالي ورجالي وضيق دائرتي وبلادي ورقة حاشية طريفي وتلادي الا اعتمادا على مظاهرتكما واتكالا على مناصرتكما واقامة لاعلام حرمة دولتكما ونشرا لرايات هيبة صولتكما فاني جنة ثغركما ووقاية نحركما وشاويش جنودكما وجاليش بنودكما وربيئة طلائعكما وطليعة وقائعكما والآن أين لي مقاومته وأني تيسر لي مصادمته وقد علمتم أحواله وعرفتم مشاهدته وافعاله فكم من جيش كسر وقبيل أسر وممالك ملك وملك أهلك وستر هتك ونفس سفك وحصن فتح وفتح منح ومال نهب وعز سلب وصعب أذل وخطب أحل ومعقل أزل وفهم أخل وخيل هزم وأس هدم وسؤال قطع وقصد منع وطود قلع وطفل جمع ورأس شدخ وطود فضخ وعقد فسخ ونار أشب وريح اهب وماء أفار ورهج أثار وقلب شوى وكبد كوى وجند قصم وطرف أعمى وسمع أصم وأنى لي ملاطمة سيل العرم

ومصادمة الفيل المغتلم فان تجدد في وجدتني وان خذلتني بذاتي ويكفيكما هيبة وشوره وناهيكما بهمة ونصره ان من خدامكما وقدامكما من كفاكما مادهاكما وان أصابني والعياذ بالله منه ضرر أرتطاير الي عاليكي من جمرات شرره شرر وعاقبة تعدي ذلك الفعل بواسطة الحوادث الي مفعول به وثان وثالث قلت شعر

والشر كالنار يبدو حين تقدحه * شراره فاذا بادرته خمدا

وان توانيت عن اطفائه كسلا * أورى فتائل تشوى القلب والكبدا

فلو تجمع أهل الارض كلهم * لما أفادوك في اطفائها أبدا

وانما أهملت خطابه وأهملت جوابه لترميما فاتقي وتأمرا فاكتفي وتوسما فأبني عليه وتجاوبا فيصل ذلك كذلك مني اليه

(ذكر ما أجاب به السلطان أبو يزيد بن عثمان للقاضي برهان الدين أبي العباس سلطان ممالك سيواس)

فأما السلطان أبو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل أعجبه ونغم هذا القول أطربه واستحسن هذا الحكم من القاضي واستصوبه وأرسل اليه يقول ان ارتدع تيمور منه وانتهى والا فلنأتينه بجنود لا قبل له بها فليقابله بعين قريره وليثبت له بحسن البصيره واخلاص السريره ولا يجزع من جنوده الغزيره فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيره وان اقتضت آراؤه السديده وأحكامه السعيده توجه بنفسه اليه وقدم بالغزاة والمجاهدين عليه ليرفع أعلامه وينفذ أحكامه ويكون لسيفه يدا ولجناحه عضدا ثم أرسل كتابه وانتظر جوابه وأما الملك الظاهر فما رأيت له كتابا ولا حققت منه له جوابا والظاهر أن جواب الملك الظاهر أبي سعيد كان شقيق جواب السلطان الغازي أبي يزيد اذ أفعالهما وأقوالهما في الباطن والظاهر كانت من باب توارد الخاطر ثم اني رأيت كتابا يتضمن خطابا وجوابا وذكر ان الخطاب من ذلك الغادر والجواب من الملك الظاهر وكلاهما سوى آي الكتاب غير زاه ولا زاهر أما صورة الخطاب فهو قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه

يختلفون اعلموا أنا جند الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من حل عليه غضبه
لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل كل الويل
لمن لم يمتثل أمورنا فانا قد خربنا البلاد وأهلكنا العباد وأظهرنا في الارض
الفساد قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال خيولنا سوابق ورماحنا خوارق
ملكنا لا يرام وجارنا لا يضام فان أنتم قبلتم شرطنا وأصلحتم أمرنا كان لكم
مالنا وعليكم ما علينا وان أنتم خالفتم وأبيتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلومون الا
انفسكم فالحصون منا لا تمنع والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع ودعاؤكم علينا
لا يستجاب ولا يسمع لانكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع فابشروا بالذلة والجزع
فاليوم تجزون عذاب الهون وقد زعمتم أننا كفره فقد ثبت عندنا أنكم فجره وقد
سلطنا عليكم من بيده أمور مقدره وأحكام مدبره كثيركم عندنا قليل وعزيزكم
عندنا ذليل قد ملكنا الارض شرقا وغربا وأخذنا منها كل سفينة غصبا وأرسلنا
اليكم هذا الكتاب فأسرعوا في رد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء ولم يبق
لكم باقية فينادي عليكم منادي الفناء هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا
وقد نصفناكم اذ راسلناكم ونثرنا جواهر هذا الكلام عليكم والسلام وهذه
سورة الجواب وقيل هو انشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله وما أظن لذلك صحة
وهو بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير حصل
الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الايلخانيه والسدة العظيمة الكبيرة السلطانية
قولكم (انا مخلوقون من سخطه مسلطون على من حل عليه غضبه لا نرق لشاك
ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبكم) فهذا من أكبر عيوبكم وهذا
من أقبح ما وصفتم به أنفسكم ويكفيكم بهذه الشهادة واعظا اذا اتعظتم قل يا أيها
الكافرون لا أعبد ما تعبدون ففي كل كتاب ذكرتم وبكل قبيح وصفتم وزعمتم
أنكم كافرون ألا لعنة الله على الكافرين من تشبه بالاصول لا يبالي بالفروع
نحن المؤمنون حقا لا يصدنا عيب ولا يداخلنا ريب القرآن علينا نزل وهو رحيم
بنا لم يزل وقد عمنا ببركة تأويله وقد خصنا بفضل تنزيله انما النار لكم
خلقت ولجلودكم أضرمت اذا السماء انفطرت ومن العجب العجاب تهديد

الليوث بالليوث والسباع بالضباع والكماة بالكراع نحن خيولنا عربيه وهممنا عليه والقنا شديدة المضارب ذكرها في المشارق والمغارب ان قتلنا كم فنعم البضاعه وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعه ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وقولكم (قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال) فالجزار لا يبالي بكثرة الغنم وكثير من الحطب يكفيه قليل من الضرم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين الفرار لا من الرزايا نحن من المنيه في غاية الامنيه ان عشنا عشنا سعدا وان متنا متنا شهدا ألا ان حزب الله هم الغالبون أبعد أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطلبون منا طاعه لا سمع لكم ولا طاعه وطلبتم ان نوضح لكم أمرنا فهذا الكلام في نظمه تركيك وفي سلكه تفكيك لو كشف لبان قبل التبيان أ كفر بعد ايمان أم اتخذتم ربا ثان لقد جئتم شيئا ادًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا قل لكاتبك الذي رصع رسالته ووصف مقالته حصل الوقوف على كتاب كصرير باب أو طنين ذباب وسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدّا وما لكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى ثم اني وجدت في نسخة شحامة الدهور بتقادمه مدادها وبيض كر العصور على وجه الزمان من شيبها اسوادها صورة هذا الكتاب وهيئة هذا الخطاب من انشاء نصير الدين الطوسي على لسان هلاكو التتري مرسلا ذلك الى سلطان مصر وصورة الجواب بعينه انشاء من كان في ذلك العصر

﴿فصـــل﴾ ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق ورتق بجناحي الغضب وفار دم قلبه ورنق وغص غضبا وكاد من الغيظ أن يختنق ولكن علم ان في الزوايا خبايا وللاسلام جنودا وسرايا وفي عزيز الدين من ليوث المسلمين بقايا وان امامه اسودا هواصر وجوارح كواسر فتصبر للزمان ورجع القهقرى وتربص بهم الدوائر

﴿ذكر توجه العساكر الشاميه لدفع تلك الداهيه﴾

ثم ان ملك الامراء بالشام هو تنم خرج بالعساكر الى ارزنجان ورجع وهو مغتنم

ولم يروا في ذلك ضيرا وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وعاد من جيش الاسلام كل أسد هصور وقد اصطاد من كراكي ماضاهى صورته وجاء نورا على نور

﴿ذكر رجوع ذلك الكنود وقصده استخلاص بلاد الهنود﴾

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروزشاه انتقل من زحمة الدنيا الى رحمة الله ولم يكن له ولد يكون له خليفه فهم تيمور لان يتولى بحكم الوقاد والشعور تلك الوظيفه ولما فاض صاحب الهند صارت الناس فوضى ومرج بحرام الهند وماج فجعل كل يخوض خوضا فعز بعض الناس وبعضهم ذلوا ثم اتفقوا على تولية وزير اسمه ملو فرأب من أمر الناس ما انصدع ورفع من استحق الرفع وخفض من بغير استحقاق ارتفع فعصى عليه أخو دشارنك خان متولى مدينة ملتان ووقع بينهم التخالف وافترق ملأ الهنود فرقا وطوائف فكان اختلافهم لتيمور أحسن مساعد وأقوى عضد وساعد قلت شعر

وتشتت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب

وحين وصل تيمور الى ملتان عصى عليه شارنك خان فاقام يحاصرها وقعد يضاجرها وكنت صاكرها جه ولياله كأنها السود دهماه حتى قيل ان من جملة عسكرها الثقيل كان ثمانمائة فيل مع ان كل أمير من أطراف الهند ورئيس من أكناف السند كان قد اقتفى أذياله واعملو رحاله ورجاله وضبط لخواجه اثقاله وربط لخواجه أفياله واستمر ذلك اللدد والخصام نحوا من ثلثى عام الى ان استخلصها ومن يده خلصها

﴿فصل﴾ ولما استولى مدة واستقر أمر الهند عليه وبلغه توجه تيمور اليه جد واجتهد واعد العدد والعدد واستعد الامداد والمدد وأهل ما لا لبد وحسب أن لن يقدر عليه أحد وفرق الاموال وجمع الخيل والرجال واحضر ما في مملكته من الافيال ثم حصن مدائنه ومكن كمائنه وشيد على الافيال للمقاتلة أبراجا واحكم في تحرير المناصله طريقة فقه فيها اذهب ومنهاجا وجد تيمور في السير حتى كاد يسبق الطير اذ لم يكن له في ذلك الارث مريحبه ولا في هسا كرسلطان الهند من

بقربه فلما بلغ الهنود بالجنود برزت اليه بالجنود الهنود وقدموا الفيول لتقى الخيول وقد بنوا على كل فيل من الاتراس برجا وعبوا فى كل برج من المقاتلين من يمشى فى المضائق ويرجى بعد ما جعلوها من أكبر كستوانات فى حصار وعلقوا عليها من القلاقل والاجراس الهائلة ما يدعو العفاريت الى الفرار وشدوا فى خراطيمها سيوفا يصلح أن يقال انها سيوف الهند تدعو الرؤس شعلة لحيها فتخر لها ساجدة فيحق أن يقال لها فار السند وهذا خارج عما لتلك الافيلة من الانياب التى هى فى الحروب كالحراب اذ هى فى أداء ما وجب عليها نصاب كامل وسهامها التى هى مصيبة فى نحور من يقابلها تقصم كل نابل وذابل فكانت تلك الافيال فى وصف القتال كأنها فيل بأسودها ماشيه أو صياص بجنودها جاريه وأطواد بنمورها عاديه أو بحار بأفواج أمواجها راكبة جاثيه أو ظلال من الغمام بصواعقها هاميه أو ليالى الفراق بنوائبها السود ساريه وخلفها من الهنود فوارس الحرب وأبطال الطعن والضرب سود الاسود وطلس الذئاب وغش الفهود بالذابل الخطى والصارم الهندى والنبل الخلنجى مع قلب زكى وجنان جرى وعزم قوى وصبر رضى

﴿ذكر ما فعله ذلك المحتال من الخديعة فى أجفال الافيال﴾

وحين اطلع تيمور على هذه الحال وتحقق أن شقة عساكر الهند نسجت على هذا المنوال أعمل المكيده فى قلع هذه المصيده ومرق لهم عرقة قد رطحوا أخثر من العصيده فبدأ أولا فى الاحتيال بدفع مكيدة الافيال فاستعمل الفكر الحديد فى اصطناع شوكات من حديد مثلثة الاطراف مستبدعة الاوصاف كأنها فى شكلها الخبيث طرق القائلين بالتثليث أو رضع أصحاب الاوفاق أعدادها المنسوبة الى الوفاق فصنعوا له من ذلك الالوف ثم عمد الى مجال الفيول فى الصفوف فنشر ذلك لها ليلا وطلب لاهلها حربا وويلا ورقم لذلك حدا ورسم أن فعل ذلك الحد لا يعتدى ثم ركب اطلابه وأبطاله ورتب أسوده وأشباله وهذب خيله وشذب رجاله وأرصد شمالا ويمينا من عسكره للعدو كمينا وحين بث سلطان السيارة فى جوانب الآفاق خيله وضم جيش الظلام رجالة أنجمه وشمر للهزيمة ذيله

مشى عسكره الى ذلك الحذر و بادى وصل اليه ولما تراآى الجمعان نكص على عقبيه ثم نكب بالخيول على طريق الفيول فتصوروا أن خيوله جفلت وشمس نصرته انكسفت وكواكب جيشه أفلت فاقلعوا واقلاع الفيول فانهزمت انهزام السيول وساقوها خلف عساكره سوقا على ذلك الشوك الملقى واتبع الفيالة من الهنود الرجالة والخيالة فلما وصلت سيول الفيول من مطارح الشوك الى المقاصم وأخذ ذلك الشوك فى تقبيل أيديها وأرجلها وتشبث بتلك المناسم وأحست قوائمها بشوكها رجعت القهقرى بل ولت الادبار لعدم عقلها فنهنهوها وزجروها عن التولى فلم يفدها النهى والنهنهه وصارت فى التقدم الى جهة العدو كفيل أبرهة ثم لم يسعها الماأضرها الشوك فى تلك الحرار الا التولى من الزحف والفرار فخطمت الفيول الرجال والخيول وصارت القتلى كالجبال والدماء فى أوديتها سيول وخرج عليهم الكمين من ذات الشمال وذات اليمين فبادروا اسأرهم وألحقوا بأولهم آخرهم وقيل ان بلاد الهند ليس فيها أباعر وان منظرها يجفل الفيل فيصير أبعد نافر فأمر تيمور أن يهيأ خمسمائة بعير جفول وتعبأ رواحلها الجمول قصبا محشو بفتائل وقطن بالدهن مبلول وان تساق امام الركبان الى أن يترا آى الجمعان فلما تصافوا ولم يبق الا القتال أمر أن تطلق النيران فى تلك الحشايا والاحمال وتساق الى جهة الافيال فلما أحس البعران بحرارة النيران رغت ورقصت ونحو الفيول شخصت وصارت كما قيل شعر

كانك من جمال بنى أقيش * يقعقع بين رجليه بشن

فلما رأت الفيلة النيران وسمعت رغاء البعران ونظرت الى الابل كيف خلقت وشاهدتها وقد غنت ورقصت وبأخفافها صفقت ولت على عقبها ناكصة لسائقها واهصة ولراكبها واقصة فخطمت الخياله وهشمت الرجاله وتلا الكافرون آية النصر على أصحاب الفيل وأرسلوا عليهم من السهام طيرا أبابيل فلم ينتفعوا بالافيال بل أفنت الافيال غالب الخيل والرجال ثم تراجعت عساكر الهنود وابطال الخيالة من الجنود وكتبوا الكتائب وبندوا البنود ثم تراموا وتصافوا وتضاموا وتحافوا وهم ما بين مجوسى ومسلم ومبارز منتسب ومنادى بالشعار معلم وكل فى سواد اللون من الحديد كقطع الليل المظلم ثم تدانوا من القتال وتزاحفوا

وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تناقفوا ثم بالسيوف تضاربوا ثم تلاتبوا وتوثبوا
ثم تراموا عن ظهور الخيل واعتكر في ذلك القتام النهار بالليل ولا زالت تختلف
بينهم الضربات وتصول فيهم الحملات وتخمد منهم الصولات حتى تلا لسان القضاء
والقدر ان في اختلاف الليل والنهار الآيات ثم تناهى الاقتحام وانفرج الازدحام
وأسفرت القضية عن أن برد حامي الهند فانهزم جيش حام وحل بالهنود الويل ومحا
الله آية الليل ولما تفرقت الهنود وفلوا وانتهى عقد عملهم في المحاربة فحلوا وقتلت
سرواتهم وهرب سلطانهم ملوا وثبت تيمور وحكمه في هنده الى الآن كانت أوتاده
في سمرقنده لجمع أقيالها وربط أفيالها وضبط أحوالها وما شغل عن ضبطه
ما عليها ومالها وسلم أقيالها أفيالها ثم توجه نحو تختها وهي مدينة دهلي مصر معظم
جمع فنون الفضل وأرباب الفخر الجلي معقل التجار ومعدن الجواهر والبهار
فقنعت عليه بالحصار فأحاط بذلك السواد الاعظم من عساكره السواد الاعظم
ومن معه من الخلائق والأمم فقيل ان هذه العساكر والخلائق مع عظمها وكثرتها لم
يقدروا أن يكتنفوها لسعة دائرتها وانه أخذها من أحد جوانبها بالمحاصره ثم
الجانب الآخر ثلاثة أيام في المجاذبة والمشاجره لم يدر من في الجانب المحاصر لبعد
المدى وكثرة الأمم بما فعل بالجانب الآخر

﴿ذكر وصول ذلك الخبر الى ذلك المعقوق بوفاة الملكين أبي العباس أحمد والملك الظاهر برقوق﴾

وبينما هو قد استولى على كرسي الهند وأمصاره واحتوى على ممالكه وأقطاره
وبلغت مراسيمه أعناق أنجاده وأغواره وأثبت جيشه في ولاياتها سهلا ووعرا
وظهر فساده في رعاياها برا وبحرا اذ وفد عليه المبشر من جانب الشام ان القاضي
برهان الدين أحمد السيواسي والملك الظاهر أبا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام
فسر بذلك صدره وانشرح وكاد أن يطير الى جهة الشام من الفرح فنجز بسرعة أمور
الهند ونقل الى مملكته من فيها من العساكر والجند عما أخذه من الاثقال ونفائس
الاموال ووزع ذلك الجمهور من ذلك الجند المأسور على أطراف ما وراء النهر من
الحدود والثغور وأقام في الهند نائبا من غير وحل ثم حدر عن سمرقند قاصدا الى

الشام على عجل ومعه من الجند ومن أجنادها ووجوه أعيانها وسلطان أفيالها وأفيال سلطانها ثم انه صار قرير العين بتلك الطوائف الطافية في أوائل سنة اثنين وثمانمائة وانصب بذلك الطوفان من جيحون الى خراسان وكان قد قرر ولده لصلبه أميرانشاه بمملكة تبريز وتلك الديار والسلطان أحمد قد رجع الى بغداد وهو مستوفز للفرار وسبب حركته الى بلاد الشام ما فعله القاضي برهان الدين حاكم سيواس بقصاده الاغنام لكنه أراد أن يعمّ مقصده ويخفي عن الناس مصدره ومورده قلت بديها شعر

وأنى يختفي للشمس ضوء * عن الابصار في صحو النهار
وكيف يسر ذفر المسك حشو * خياشيم الورى في يوم حار
وأنى يختفي للطبل صوت * عن الاسماع في وقت النفار

فان قصده كان بعيد المدد طويل الأمد محتاجا الى اعداد أهبة السلوك ويخشى أن تضاهي غزوة تبوك وأظهر سببا أبطن فيه ما رامه من مكره ودواهيه وأشاع ذلك وأذاع فملأت منه القلوب والاسماع

(معنى كتاب ورد وهو في الهند عليه زعموا ان ولده اميرانشاه أرسله اليه)

وذلك ان ابنه أميرانشاه المذكور راسله وأنهى اليه يقول على ما قيل في بعض ما قاوله وحاوله انك قد عجزت لكبر سنك وشمول الضعف بدنك ووهنك عن قامة شعائر الرياسه والقيام باعباء الايالة والسياسه والأولى بحالك ان كنت من المتقين أن تقعد في زاوية مسجد وتعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقدتم في أولادك واحفادك من يكفيك أمر رعيتك واجنادك ويقوم بحفظ مملكتك وبلادك وأنى لك بلاد وعالك وأنت عن قريب هالك فان كان لك عين باصره وبصيرة في نقد الاشياء ماهره فاترك الدنيا واشتغل بعمل الآخره ولو ملكت ملك شداد ورجع اليك اقتدار العمالقة وعاد وساعدك النصر والعون حتى تبلغ مقام هامان وفرعون ورفع اليك خراج الربع المسكون حتى تفوق في جمع المال قارون وصرت في خراب البلاد كبختنصر الذي طول الله تعالى له فقصر وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار وقضيت من دنياك غاية الاوطار وصار عمرك فيها أطول الاعمار

وخذ امل فيها ملوكها الاغمار فقصر جندل قيصر وكسر كسرى فانكسر وتبدل تبع والنجاشى وأوساط الملوك ولاقيال غدوا لك خداما وحواشى وفغفور لك فغفور بالشفاه فاه وأخنيت على الخان وخاقان فوجه كل فى رقعة دستك شاه واذعن لك فرعون مصر وسلطانها وجبى لك على يد خير الدين ايران الدنيا وتورانها وآل أمرك الى أن كان لك سكان الاقاليم وقطانها أليس قصارى تطاول قصورك الى القصور ونهاية كمالك النقص وحياتك الموت وسكناك القبور وقلت شعر

فعش ماشئت فى الدنيا وأدرك * بها مارمت من صيت وصوت

فخيط العيش موصول بقطع * وحبل العمر معقود بموت

وقيل شعر

قميص من القطن من حله * وشربة ماء قراح وقوت

ينال به المرء مايرتجى * وهذا كثير على من يموت

فأين أنت من نوح وطول عمره ونياحته على قومه وحسن عبوديته وشكره ولقمان وعظه ولده وتربيته اطول الحياة أبده وداود فى ملكه الفسيح مع قيامه بأوامر الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح وسليمان بعده وحكمه على الانس والجن والطير والوحش والريح وذى القرنين الذى ملك المشرقين وبلغ المغربين وبنى السد بين الصدفين ودانت له البلاد وملك العباد وأين محلك من سيد الانبياء وخاتم الرسل وصفوة الاصفياء المرسل رحمة للعالمين الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين محمد المصطفى وأحمد المجتبى الذى زويت له مشارق الارض ومغاربها وتمثل بين يديه شاهدها وغائبها وفتحت له خزائنها وعرض عليه ظاهرها وكامنها وكانت جنوده الملائكة الكرام وآمن به الانس والجن والطير والوحش والهوام وأيده الله الكريم المتعال بأن أرسل لطاعته ملك الجبال وكان حامل رايات نصره نسيم الصبا باليمين والشمال فملك الجبابرة بالهيبة والقهر وكانت الاكاسرة والقياصرة تهابه من مسيرة شهر وأيده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار وتولى نصره اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار وان الله سبحانه به أسرى فى بعض ليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكان مركوبه الشريف البراق ثم عرج به الى السبع الطباق وقرن اسمه الكريم مع اسمه

وتعبد عباده بشرعه الى يوم القيامة من غير تغيير لحدوده وشاق لاجله الكائنات وأنار بوجوده الموجودات ولم يخلق فى الكون أشرف منه ولا أكثر اغفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأظهر من معجزاته ان اشبع الجم الغفير من القرص الشعير وسقى الكثير من الرجال بما نبع من بين أصابعه من الماء الزلال وانشق له القمر وسعت اليه الشجر وآمن به الضب وسلم عليه الحجر وهل تحصى معجزاته وتحصر كراماته وناهيك بمعجزاته المؤيده وكرامته المؤبدة الخالده على مر الزمان الباقية مادار الحدثان الساكنة ما تحرك الملوان وهو القرآن المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وهذه منازله فى الدنيا غير ما ادخر له فى العقبى وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى مع ان الله تعالى أخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصره فلو أدركوه لم يسعهم الا اتباعه وامتثال أمره فهو دعوة ابراهيم الخليل ومتوسل موسى وعلماء بنى اسرائيل والمبشر بقدومه على لسان عيسى فى الانجيل وحامل لواء الحمد به يوم لقائه فآدم ومن دونه تحت لوائه وهو صاحب الحوض المورود والمخاطب من ربه فى موقف الشفاعة والمقام المحمود ويعنى ما قلت مفوفا مقتبسا شعر

قل تسمع اشفع تشفع سل تنل تجد ✲ تفويف خلعة عز واقتبس نعمى

فانظر الى هؤلاء السادة معادن الخير ومفاتيح السعادة هل رغبوا فى الدنيا واعتدوا عليها أو نظروا الا بعين الاحتقار والاعتبار اليها أو هل كان نظرهم غير التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وناهيك بالخلفاء الراشدين وأعظم بالعمرين اللذين كانا فى هذه الامة بمنزلة القمرين وهلم جرا بالخلفاء العادلين والملوك الكاملين والسلاطين الفاضلين الذين تولوا فرعوا حقوق الله تعالى فى عباده وحموا عباد الله عن الظلم فى بلاده وأسسوا قواعد الخير وساروا الى نهج العدل والانصاف أحسن سير فمضوا على ذلك وبقيت آثارهم واحييت بعد موتهم أيامهم أخبارهم فمضى على ذلك مثل الاولين وبقى لهم لسان صدق فى الآخرين اذ صنعوا ما وجب ما سمعوا شعر

فكن حديثا حسنا ذكره ✲ فانما الناس أحاديث

وأنت وان كنت تسلطت على الخلق فقد عدلت أيضا ولكن عن الحق ورعيت

ولكن

ولكن أموالهم وزروعهم وحميت ولكن بالنار قلوبهم وضلوعهم وأسست ولكن قواعد الفتن وسرت ولكن على سير اماتة السنن ومع هذا فلو رجعت الى السبع الشداد مابلغت منزلة فرعون وشداد ولو رفعت قصورك على شوامخ الاطواد ماضاهت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فانظر لمن نهى وأمر ثم مضى وغبر ولاتكن ممن طغى وفجر وتولى وكفر وأقنع بهذا الخطاب عن الجواب واعط القوس باريها واترك الدار لبانيها وتولى الله ورسوله والذين آمنوا والا فانت اذا من تولى فى الارض ليفسد فيها فانى اذذاك امشى عليك واضرب على يديك وامنعك من السعى فى الفساد بأن أسوى بين رجليك مع قلة آداب كثيره وعبارات ذنوبها كبيره فلما وقف تيمور على هذا الكتاب وجه الى تبريز عنان الركاب وكان عند أميران شاه من المعتدين جماعة سعوا فى الارض مفسدين منهم قطب الموصلى أعجوبة الزمان الدوار وأستاذ الموسيقا والادوار اذا استنطق البراعه أسكت أهل البراعه واذا وضع الناى بفيه محق عود اسحاق وأبيه وان أخذ فى الاغانى أغنى عن الغوانى تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عن أنينى فتشير براعته بالاصبع وتقول على عينى ثم ينفخ فيها الروح فيشفى كل قلب مجروح ويداوى كل فؤاد مقروح فان أقامت قامتها الرشيقة راقصة فى معاصمها يحنى الجنك ظهره خاضعا لطيب استماعها وان فتحت فاها التقرى اسماع القلوب ألحانه يميل العود عنقه مصغيا اليها مادكا بانامل الادب آذانه قيل انه كان يؤدى جميع الانغام الفروع والمركبات والشعب والاصول من كل ثقب من أثقب الأصول وله مصنفات فى أدوار المقامات وجرى بينه وبين الاستاذ عبد القادر المراغى مباحثات وكان أميران شاه به مغرما بمصحبته والعشرة معه مغنما وكان تيمور لا يعجبه اللعب ولا يستهويه اللهو والطرب فقال ان القطب أفسد عقل أميران شاه كما فسد عبد القادر أحمد ابن الشيخ اويس واطغاه فوصل ذلك الطاغ سابع عشر شهر ربيع الاول سنة اثنين وثمانمائة الى قراباغ فاناخ بها ركابه وأراح بها دوابه وضبط ممالك اذربيجان وقتل أوائك المفسدين وأهل العدوان ولم يتعرض لاميران شاه لانه ولده وهو انشاه وبينهما أمور متشابهات لا يعلم تأويلها الا الله ثم توجه بذلك الخميس ثانى جمادى الآخرة يوم الخميس وأخذ مدينة تفليس وقصد بلاد الكرج وهدم

مااستولى عليه من قلعة برج وقادهم الى العصيان والقلاع العواصى وقتل من ظفر به من طائع وعاصى وجرهم مابين نوص ونواصى ثم ثنى عنان الفساد وحرش البغاة على بغداد فهرب السلطان أحمد من ذلك للجب الى قرايوسف فى ثامن عشرى شهر رجب فسكن تيمور زمازمه وطمن بذلك مراقبه ومنازعه وتمهل فى السير واستعمل فى نحوه مع مناظريه مباحث سوى وغير وصار يتجاوز ويتجاول وينشد وهو يتغافل شعر

أموه عن سعدى بعلوى وأنتم * مرادى فلاسعدى اريد ولاعلوى

فتراجع السلطان أحمد وقرايوسف يومالى مدينة السلام منصورين لانه لم يبرح من بلاد الكرج الشام فلما تحققا منه الخروج وكاناحققا انه اذاعرج على شئ فما يعوج وطارطائرهما نحو الروم وترك ديارهما ينعق فيها الغراب والبوم فتوجه ذلك القسعمان الى مصيف التركمان فاغمد السيف وكف عن الحيف وتصرم الصيف

﴿ذكر ماوقع من الفتن والبدع ومااسل للشرور من حسام بعد موت سلطان سيواس والشام﴾

وكان اذ ذاك قد تضبط أمر الناس ووقع الاضطراب ببلاد مصر والشام الى سيواس اما مصر والشام فلموت سلطانها واما سيواس فلقتل برهانها وكان موتهما متقارب الزمان كموت قرايوسف والملك المؤيد الشيخ أبي الفتح غياث الدين محمد بن عثمان فان مدى مابين موت هؤلاء الملوك العظام كان نحوا من نصف عام وكذا كان مابين موت ذينك السلطانين

﴿ذكر نبذة من امور القاضى وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضى﴾

وسبب قتل القاضى برهان الدين مخالفة وقعت بينه و بين عثمان قرايلوك رأس المعتدين سيزداد بيانها اذا أتى مكانها وهذا السلطان أبوه كان قاضيا عند السلطان ارثنا حاكم قيصرية وبعض ممالك قرمان وكان بين الامراء والوزراء ذا مكانة وامكان وكان ابنه برهان الدين أحمد المذكور فى عنفوان شبابه من طلبة العلم الشريف وأصحابه المجتهدين فى تحصيله واكتسابه فتوجه الى مصر لاقتناء العلوم

وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم وكان ذا فطنة رقاده وقريحة نقاده ومقلة غير رقاده فحصل من العلوم عدة في أدنى مدة فبينما هو في مصر يسير واذا هو بفقير جالس على الطريق كسير فناوله شيأ يسد به خلته ويجبر به فقره وكسرته فكاشفه ذلك الفقير بلفظ معلوم وكشف له عن السر المكتوم وقال لا تقعد في هذه الديار فانك سلطان الروم فصدع بهذا الكلام قلبه فاخذ في اعداد الاهبه وقطع الاعلاق ودخل الطريق صحبة الرفاق ولما وصل الى سيواس ابتهج به والده واعيان الناس وشيد له بين الخلق أشد بنيان وأشد أساس وشرع في القاء الدروس ومصاحبة الاعيان والرؤس وكان ذا همة أبيه وراحة سخيه ونفس زكيه وخصائل رضيه وشمائل مرضيه وتحرير شاف وتقرير واف يحقق كلام العلماء ويدقق النظر في مقالات الفضلاء وله مصنفات في المعقول ولطائف في المنقول ينظم الشعر الرقيق ويعطي عليه العطاء الجليل ويحبه اللفظ الدقيق ويثيب عليه الثواب الجزيل وهو في ذلك يتزيا بزي الاجناد ويسلك طريقة الامراء من الركوب والاصطياد ويلازم أبواب السلطان ويتخذ الخدم والاعوان فمات السلطان عن ولد صغير فأجلسوه على السرير وكان عنده من الأعيان الامراء ورؤس الوزراء أناس منهم غضنفر بن مظفر وفريدون وابن المؤيد وحاجي كادي وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن أكبرهم أبو القاضي برهان الدين فصار هؤلاء الامراء والرؤس من الوزراء والكبراء يدبرون مصالح الرعيه ولا يفصلون الا باتفاق ما يقع من قضيه فمات أبو القاضي برهان الدين وتولى ولده مكانه وفاق بالعلم وحسن السياسة أباه وأقرانه ففرق ولايات ذلك الاقليم على ابن المؤيد وحاجي كادي وحاجي ابراهيم فبقي حوالي السلطان محمد فريدون وغضنفر وبرهان الدين أحمد ثم تولى السلطان محمد عن غير ولده فبقيت الولاية بين الثلاثه على سبيل الاشتراك وراثه وقلما اتفق ضرتان على زوج واحد واتقتا ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومائة فقير يلتفون في حصير وملكان لا يسعهما اقليم كبير فأراد برهان الدين الاستبداد بالملك والاستقلال فنصب لشريكيه أشراك الاحتيال اذ الملك عقيم فرصد لذلك الطالع المستقيم ونظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فرآى شريكاه ان العيادة عباده فطلبا

بعبادته المستنى ورام هو الزياده فماداه وقد عاداهما وماراعياه ولكن راهنهما وماراماهما فدخلا عليه وقد أرصد لهما رصدا وأعدلهما من الرجال المعدة عددا وقتلاهما وقد حصلا فى قبضة الاشراك وخلص توحيد السلطنة الاحدية عن الاشراك فقوى بالتوحيد سلطانه وأضاء به للدين حجته وبرهانه ولكن ناواه نداده وعصى عليه من النواب اكفاؤه وأضداده وأظهر كامن العداوة أعداؤه وحساده وقالوا هذه مرتبة لم ينلها آباؤه ولا أجداده ونحن كنا اسيوا سية اذا تعينا فأنى يكون له الملك علينا وحسد الرياسه هو الغل المحل وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل فنهم شيخ نجيب صاحب توقات القاسيه ومنهم حاجى كادى وكان نائب أماسيه فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان وكان استولى اذ ذاك السلطان علاء الدين على ممالك قرمان فقال السلطان برهان الدين ان رواة التواريخ حدثتنا وأسمعتنا وكتب السير أنبأتنا وأخبرتنا ان ما حولينا من الممالك متعلق بنا من سلطاننا ارثنا ثم شرع فى استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه وجعل يشن الغارات على من يتمادى فى عصيانه فقلع قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا واستصحبه معه طيبة وقهرا واخازت تتار الروم اليه وهم الجم الغفير وعثمان الملقب بقرايلوك قال له أنا تحت أوامرك أمشى وفى قيد طاعتك أسير فكان قرايلوك من جملة خدمه وفى حساب تراكمه وحشمه فكان يرحل هو ومن معه من الناس شتاء وصيفا بضواحى سيواس

(ذكر محو قرايلوك عثمان آثار انوار برهان الدين السلطان)
(بسبب ما أظهره من العدوان واضمره حالة العصيان)
(وقبض عليه لما غدر به الدهر وخان)

ثم انه وقع بين قرايلوك وبين السلطان منافره أدت الى المشاجره وانتهت الى المراتحة والمناقره فنقض العهود والذمم وامتنع من حمل التقادم والخدم وتمنع فى الأماكن العاصية بمن معه من التراكمة والحشم فلم يكترث به السلطان لانه كان أقل الاعوان وجعل يتوجه الى أماسيه وأخرى الى أرزنجان وكان بالقرب من سيواس مصيف منظره ظريف وترابه نظيف وماؤه خفيف وهواؤه لطيف

كأن الخائد خلع على أكتاف رياضه سندسه الاخضر والفردوس يجرى في خلال أشجاره من نهره الكوثر على حدائقه من روضات الجنان شبه وفي ربوة جنته للابصار دهشات وللبصائر نزه قلت شعر

عليه شقيق قد زهاه كانه ❊ جمرن عقيق أترعت بالعنابر

فقصده قرايلوك ورام في طريقه السلوك فنزل على سيواس وبها القاضي أبو العباس فجاز بركابه ولم يعبأبه فالتهب غروز قيظه وكاد يتميز من غيظه وقال بلغ من هذا الهواء أن يلج برج الاسد ويقدم قدم أقدامه وأنا حل بهذا البلد ثم أمر جماعته بالركوب وقصد عليه الوثوب واستفزه الغضب والطيش ان ركب وسبق الجيش فقال له بعض من معه من الجماعه لو يلبث مولانا السلطان ساعه حتى يتلاحق العسكر كان أحزم وأوفق وأجدر وان كان حرمة مولانا السلطان فيها كفاية وشاأيد لكن قرايلوك تركماني ذو دهاء وكيد فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام ولم يزل هاجما وراءه حتى هجم الظلام فكر عليه قرايلوك بجماعته فقبض عليه باليد من ساعته ولم يدر بحاله العسكر وتفرق أمراؤه وجنده شذر مذر

﴿ذكر ما كان نواه قرايلوك من الرأى المصيب ورجوعه عنه لسوء طويته بشيخ نجيب﴾

ثم ان قرايلوك عزم أن يجدد معه العهد والميثاق ويقلع غراس الخلاف ويؤسس بنيان الصداقة والوفاق ويرده الى مكانه ويصير كما كان أولا من أنصاره وأعوانه ويعلم بذلك السلطان انه له ناصح فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح واذا بشيخ نجيب الذى كان متولى قلعة توقات وحاصره السلطان وضيق عليه مسالك الطرقات ثم قهره وغلبه وأخذ قلعته بالكراهة استصحبه وجد فرصة فانتهزها وكان فى ذلك كأنه مخيمة فابرزها فجاء الى قرايلوك ووقف فى خدمته كمملوك وقال أضيد عالم عقلك أن يزل ودليل فهمك ان يضل ومصيب رأيك أن يصاب وجبل فكرك أن يهاب قد أمكنك الله من العدو وانك مع هذا سكون وهدو قال شعر

ما الدهر الا ساعة وتنقضى ❊ والمرء فيها حازم أو نادم

فلئن أبقيت عليه لا يبقى عليك ولئن نظرت اليه بعين الرحمة والله لا ينظر اليك

فانه رجل غبي وبأنواع المكر وأصناف الخديعة عبي عشر القياد وأبيل لا ينجع فيه الخير وأبى وهبك والعياذ بالله منه مكانه فملك أكان يرق لك أو يصفح عنك هيهات هذا والله محال فقد وقع لك والله مجال فما كل أوان يسمح بالمراد الزمان والدهر فرص وأكثره غصص فاياك أن تفوت الفرصه فتقع فى الغصة وأى غصه ولا ينفعك الندم اذا زلت بك القدم وتفكر فيما أقول واستنبط دليل هذه المسئلة من المعقول واستبق شرفك الرفيع باراقة دمه وحسن استمار حرمك بابتذال حرمه وتذكر يا أمير أمور قابوس بن وشمكير ولا زال ذلك الشيطان يحسن له الرأى فى قتل السلطان ويقول هذا الرأى أنفع لك وعليك أعود كما فعل بسطام أمير الكرد بقرا يوسف لما قبض على السلطان أحمد فرجع قرا يلوك عن رأيه لما خدعه ودهاه فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف رحمه الله وكان قتل قرا يوسف السلطان أحمد ابن الشيخ أويس فى عاشر شهر رجب سنة ثلاثة عشرة وثمانمائة والقصة مشهورة وكان السلطان رحمه الله كما ذكر أولا عالما فاضلا كريما متفضلا محققا فى التقرير مدققا فى التحرير قريبا من الناس مع كونه شديد البأس رقيق الحاشية أديبا شاعرا ظريفا لبيبا أريبا جوادا مقداما قرما همّاما تهاب الدنيا وهامها يهب الالوف وان يهابها يحب العلماء ويجالسهم ويدنى الفقراء ويكايسهم فجعل يوم الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصه لا يدخل عليه معهم غيرهم من تلك الأمم الغاصه وكان قد أقلع قبل وفاته عن جميع ما كان عليه وتاب الى الله تعالى ورجع اليه وله مصنفات منها الترجيح على التلويح وكان عنده نديم الفضل حريز بغدادى الاصل يدعى عبد العزيز وكان أعجوبة الزمان فى لطائف الشعر والنظم فارسيا وعربيا طريفة الدورات سرقه من بغداد من السلطان أحمد ابن الشيخ أويس فكان عنده رأس ندمائه ومن أهل الفضل والكيس والقاضى كان يربى الفضلاء متطلبا من كل جهة الادباء والشعراء وكان أهل الفضل والأدب يفدون عليه من كل فج حتى صار مقامه كعبة الحاج لا كعبة الحج وصورة سرقته له انه لما سمع بأوصافه أحبه فأراد قربه فالتمسه من مخدومه فلم تسمح نفس السلطان أحمد بمفارقة نديمه ثم اختشى من القاضى رهبه وخاف اشتداد هيبه هربه فوصى به وحرج عليه وأقام له معقبات يحفظونه من

خلفه ومن بين يديه فأرسل القاضي اليه رسولا ذكيا فناداه نداء خفيا وأجزل له العطيه ووعده مواعيد سنيه وفرق ما بين السلطانين من الحسن والقبح كفرق ما بين البحرين العذب والملح والملوين المساء والصبح فلبى دعوته بالقبول وواعد للخروج بعض الفحول ثم خرج وطيب الخرق قد رقد والسلطان أحمد عند الحريم قد رقد ووضع ثيابه على ساحل دجله ووجه الى داخل النهر في الطين رجله ثم غاص في الماء وبحر وخرج من مكان آخر ولحق برفقائه واختفى بينهم اختفاء اليربوع في نافقائه فطلبه السلطان أحمد ففتشوا عليه فلم يوجد فبالغوا في طلابه الى ان وقفوا على ثيابه ورأوا آثار رجليه في الطين فلم يشكوا ان الموج اختطفه فكان من المغرقين فكفوا اقدم السعي عن طلبه ولم يضيقوا على أحد بسببه ثم بعد أيام يسيره أخرج غريق بغداد رأسه بسيواس عند القاضي برهان الدين من تحت الحصيره فغرقه في أبحر نواله وأسبغ عليه ذيل كرمه وافضاله فصار عنده مقدما ولديه مبجلا معظما ألف له تاريخا بديعا سلك فيه مهيعا رفيعا وانتهج منهجا منيعا ذكر فيه من بدو أمره الى قرب وفاته مع مواقفه ووقائعه ومصافاته ووشحه بظريف كناياته ولطيف استعاراته وفصيح لغاته وبليغ كلماته ورشيق اشاراته ودقيق عباراته مدفيه عنان اللسان وهو موجود في ممالك قرمان في أربع مجلدات ذكر ذلك لي من غاص بحره واستخرج دره ووقف على تاريخ العتبي في اليميني السلطان محمود بن سبكتكين وأن هذا أحسن من ذلك أسلوبا وأعز ربعوبا وأعذب مشروبا مع أني لم أقف عليهما ولا وصلت لقصر الباع اليهما ثم ان الشيخ عبد العزيز هذا بعد طيب هذه الناشره انتقل الى القاهره ولم يبرح على الابراح ومعاقرة راح الاتراح حتى خامرته نشأة الوجد فصاح وتردى من سطح عال فطاح ومات منكسرا ميتة صاحب الصحاح والله أعلم

❊ذكر ما وقع من الفساد في الدنيا والدين بعد قتل قرايلوك السلطان برهان الدين❊

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في أولاده من يصلح للرياسه ويتمذ أحكام السلطنة والسياسه فرجع قرايلوك الى سيواس ودعا الى نفسه الناس فلم يجيبوه

واعتوه وسبوه فاخذ يحاصرهم ويناكدهم ويضيق عليهم ويعاندهم فسعّروا عليه النار فامدّهم وأتت طائفة منهم فنجدوهم فكسرهم قرايلوك ففروا واستنجدوا طوائفهم وكروا وأقبلوا بالقض والقضيض وملأوا البقاع والحضيض فلم يكن لقرايلوك على جبهة قتالهم طوق فدخل عليهم من تحت وجاءهم من فوق وتوجه الى تيمور وكان بعر جيشه فى أذربيجان يدور فقبل يديه وانتمى اليه وجعل يناديه الى هذه البلاد ويدعو كما فعل معه الامير ايدكو خلله فى الدبره فاجابه اجابة برصيصا أبا مرّه

﴿ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس الى بسلكون ومن علكون﴾

ثم ان أهل سيواس والاعيان من رؤسائها والا كياس تشاوروا فيمن يلكون قيادهم والى من يسلمون بلادهم لسلطان مصر أم لابن قرمان أم السلطان الغازى بايزيد بن عثمان ثم اتفق رأيهم السديد على المرحوم ايلدريم بايزيد فارسلوا اليه قاصدا واستنهضوه اليهم وافدا وأنشدوه وقد استنجدوه شعر

وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختيارى

فتوجه من ساعته اليهم وقدم بالعساكر والجنود عليهم ومهد القواعد والاركان وولى عليهم أكبر أولاده أمير سليمان وأضاف اليه خمسة أنفار من امرائه الكبار يعقوب بن أورانيس وحمزة بن بجار وقوج على ومصطفى ودوادار واستمال خواطر الاعيان وتوجه الى أرزنجان فهرب منها طهرتن المذكور وقصد فى انهزامه تيمور فاستولى ابن عثمان على مدينة أرزنجان وأخذ أموال طهرتن وذخائره وحرمه ومكن منهن سواسه وغلمانه وخدمه ورجع بالاموال والحول واشتغل بمحاصرة استنبول

﴿فصل﴾ فنبه قرايلوك وطهرتن من تيمور نائم الفتن وان كان المتحرك منه فى الفساد ما سكن حتى توجه الى هذه البلاد وعم فساده البلاد والعباد فوصلوا الى ارزنجان واردين ثم ارتحلوا ونزلوا مفسدين ماردين فعصى عليه الملك الظاهر لما كان قاساه أوّلا من طاعة ذلك الغادر فندم على اطلاقه أوّل مرّة كما سيندم يوم القيامة ولم تنفعه الندامة والحسيره وكان ذلك فى سنة اثنتين وثمانمائه والخلاف

قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية انحياز الى كل فئة وتفرقت آراؤهم أيادى سبا ومال هؤلاء كل منهم الى دبور وشمال وصبا وأهملوا أمور الرعايا وغفلوا عن حلول الرزايا قلت شعر

من يهمل الاعداء ويأمن كيدهم * مثل النؤوم وراءه مستيقظ

قلت شعر والناس ليس له دليل سائر * نحو الذى يبغى كنوم الحارس

ثم نقل هو وتمم ملك الامراء بالشام المحروس أعيان الأمراء والاعلام الرؤس فى شهر رمضان من العام المذكور وبيان هذه الامور فى كتب التواريخ مسطور قلت

واذا العرين تصرعت آساده * صوت الثعالب فيه آمنة الردى

﴿ذكر قصد ذلك الغدار رسيواس وما يليها من هذه الديار﴾

ثم ان تيمور وجه عنان الباس نحو مدينة سيواس وبها كما ذكر أمير سليمان ابن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان فأرسل يخبر أباه بهذا الامر المهول ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر استنبول فلم يطق ان يمد اليه يدا لاحتياجه الى المدد وابعد المدى فاستحضر من جنده أهل المنعه وحصن المدينة والقلعه واستعد للقتال واستمد للحصار وفرق رؤس أمرائه على أبدان الاسوار وجهز تيمور من جيشه العيون ليتحقق ما هو عنده مظنون ولما كشفت جيوشه لامير سليمان زينها فرلما أن رأى عينها فعزم على التوجه الى أبيه واشترط مع أمرائه وذويه أنهم يحفظون له البلاد ريثما يجهز لهم العدد والعدد فلم يسعهم الا المرافقه والتخلف وعدم المرافقه فرام لنفسه الخلاص وأفلت وله حصاص فوصل اليها تيمور بتلك السيول الهاميه سابع عشر ذى الحجه سنة اثنين وثمانمائه ولما أحل بسيواس رحله الشومى قال أنا فاتح هذه المدينة فى ثمانية عشر يوما ثم أقام فى محاصرتها غلامات الحشر وفتحها فى اليوم الثامن عشر بعدما عنى فيها رعاث وذلك يوم الخميس خامس المحرم سنة ثلاث وبعد ان حلف للمقاتلة أن لا يريق دمهم وانه يرعى ذممهم ويحفظ حرمهم ولما فرغت المقاتلة واستمكن من المقاتله ربطهم فى الوثاق سربا وحفر لهم فى الارض سربا وألقاهم أحياء فى تلك الاخاديد كما ألقى فى قليب بدر الصناديد وعدد من ألقى فى تلك الحفر كان ثلاثة

آلاف نفر ثم أطلق عنان النهاب واتبع النهب الاسرى والخراب وكانت هذه المدينة من أطرف الامصار فى أحسن الاقطار ذات عمارة مكينة وأماكن حصينة ومآثر مشهودة ومشاهد للخير معهودة ماؤها رائق وهواؤها الامزجة موافق وسكانها من أحشم الخلائق يتعاطون التوقير والاحتشام ويتعاطون أسباب التكلف والاحترام وهى متاخمة ثلاثة تخوم الشام وأذربيجان والروم وأما الآن فقد حلت بها الغير وتفرق أهلها شذر مذر وانمحت مراسم نقوشها فهى خاوية على عروشها

﴿ذكر انسجام صواعق ذلك البلاء الطام من غمام الغرام على فرق ممالك الشام﴾

ولما استنفى سيواس لحاونقيا واستوفاها حصادا ورعيا فوق سهام الانتقام الى نحو ممالك الشام بجنود ان قيل كالجراد المنتشر فالجراد كان من أعوانها أو كالسيل المنهمر فسيل الدماء جار من فرندها وخرصانها أو كالفراش المبثوث فالفراش يحترق عند تطاير سهامها أو كالقطر الهامى فالديم تخجل عند انعقاد قتامها رجال توران وابطال ايران وغور تركستان وفهود بلخشان وصقور الدشت والخطا ونسور المغول وكواسر الجتا وأفاعى خجند وثعابين ايدكان وهوام خوارزم وجوارح جرجان وعقبان صغانيان وضوارى حصار شادمان وفوارس فارس واسود خراسان وضباع الجبل وليوث مازندران وسباع الجبال وتماسيح رستمدار وطالقان واصل قبائل خوز وكرمان وطلس أرباب طيالسة أصبهان وذئاب الرى وغزنى وهمذان وأفيال الهند والسند وملتان وكباش ولايات اللور وثيران شواهق الغور وعقارب شهرزور وحرارات عسكر مكرم وجندى سابور

شعر قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم ۞ طاروا اليه زرافات ووحدانا

مع ما أضيف اليهم من أشرار الخدم وفواصل التراكمة والاوباش والحشم وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم وحفالة عباد الاوثان وأنجاس مجوس الامم ما لا يكتنفه ديوان ولا يحيط به دفتر حسبان وبالجملة فانه الدجال ومعه يأجوج ومأجوج والرياح العقيمة الهوج فتوجه والنصر قائده والسعد رائده والقضاء

موافقه

موافقه والقدر مساعده ومشيئة الله تعالى سائقته وارادة الله عز وجل فى تدبير العباد والبلاد سابقته فبلغ خبره البلاد الشاميه واتصل ذلك بالديار المصريه فورد مرسوم شريف الى نائب الشام وسائر النواب والحكام وغزاة الدين وكماة الاسلام أن يتوجهوا الى حلب ويقيموا عليه الجلب ويجتهدوا فى دفعه ويتعاونوا على منعه فتجهز نائب الشام سيدى سودون مع النواب والعسكر ورحلوا الى حلب سنة ثلاث وثمانمائة فى شهر صفر ووصل تيمور الى بهسنا فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرين ليله فأخذها ولكن كف عنها الطيفة ربانية ثم ورد وليه ثم وطأ مدينة ملطية فأبادها ودك أطوادها ثم حل كعبه المشوم بقلعة الروم وكان نائبها الناصرى محمد بن موسى بن شهرى وسنذكر ما جرى له معه مشبعا وكيف اجتهد فى مجاهدته وسعى فأقام بها يوما فلم ينتج له روما ولم يحتفل لها بحصار وهياج وقال هى أهون على من تبالة على الحجاج وذلك انه لما رآها من بعيد قال فيها ما قاله من لم يصل الى العناقيد والحق انه لما رآها قال ان الله لما بناها ادخرها لنفسه واصطفاها ثم انجاب ذلك السحاب الى عين تاب وكان نائبها اركماس رجلا شديد الباس فحصنها واستعد وباشر القتال بنفسه واستبد ثم خرج فهرب الى حلب فلم يرسل وراءه الطلب

﴿ذكر ما أرسل من كتاب وتضمن خطاب الى النواب بحلب وهو فى عين تاب﴾

ثم أرسل الى النواب قاصده وهو فى عين تاب وصحبته مرسوم بأنواع التفخيم موسوم وبأصناف التهويل مرقوم ومن جملته أن يطيعوا أوامره ويكفوا عن القتال والمشاجره ويخطبوا باسم محمود خان وباسم الامير الكبير تيمور كوركان ويرسلوا اليه اطلاميش الذى كان عنده فخان واقتنصه التركمان وأرسله الى مصر لحضرة السلطان واطلاميش هذا زوج بنت أخت تيمور وكان جاء الى الشام قبل وقوع هذه الشرور وفيما بين ذلك أمور كان لها بطون فصار ظاهر وكان أولا فى مصر محبوسا ونال ضرا وبوسا ثم صار معززا مكرما معظما مقدما وكان تيمور عليه مغضبا فجعل ذلك حجة للاداة وسببا ثم شرع يقول وهو يجول فى ميدان هذه الرسالة ويصول انه هو أولى بسياسة الانام وان من نصبه هو الخليفة والامام

وانه ينبغي أن يكون هو المتبوع والمطاع وما سواه من ملوك الارض له خدام واتباع وانى لغيره دربة الرياسه وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسه مع كثير من التهويل والحشو والتطويل وكان يعلم ان اجابتهم سؤاله محال وانه طلب منهم مالا ينال ولكن قصد بذلك قرع باب الجدال وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال فلم يجيبوه بالمقال ولكنهم قضوا مراده بالفعال ولم يلتفت سيدى سودون لما يقول وضرب على رؤس الاشهاد عنق الرسول واستعدوا للمبارزه واستعدوا للمناجزه

ذكر ما تشاور عليه النواب وهم فى حلب وتيمور فى عين تاب

ثم ان النواب والامراء ورؤس الاجناد والكبراء تشاوروا كيف يكافحونه وفى أى ميدان يناطحونه فقال بعضهم عندى الرأى الاسد ان نحصن البلد ونكون على أسوارها بالرصد نحرس بروج افلاكها حراسة السماء بأملاكها فان رأينا حواليها من شياطين العدو أحدا أرسلنا عليهم من رجوم السهام ونجوم المكاحل شهابا رصدا وقال آخر هذا عين الحصر وعلامة العجز والكسر بل نحلق حواليها ونمنع العدو ان يصل اليها ويكون ذلك أفسح للمجال وأشرح للجدال ثم ذكر كل من أولئك ماعن له فى ذلك وخلطوا غث القول بسمينه وساقوا هجان الرأى مع هجينه فقال الملك المؤيد شيخ الخاصكى وكان ذا رأى مسدد وهو اذ ذاك نائب طرابلس يامعشر الاصحاب وأسود الحرب وفوارس الضراب اعلموا أن أمركم خطر وعدوكم داعر عسر داهية دهياء معضلة عضلاء جنده ثقيل وفكره وبيل ومصابه عريض طويل فخذوا حذركم واعملوا فى دفعه بحسن الحيلة فكركم فان صائب الافكار يفعل مالا يفعله الصارم البتار ومشارة الاذكياء مقدمة الفكر ومباحثة العلماء مقدمة النظر ان هذا البحر ما عمله بر وجيشه عددا كالقطر والذر وهو وان كان كالوابل الصيب لكنه اعمى لانه فى بلادنا غريب فعندى الرأى الصائب ان نحصن المدينة من كل جانب ونكون خارجها مجتمعين فى جانب واحد وكاننا له مراقب مراصد ثم نحفر حولنا الخنادق ونجعل أسوارها البيادق والبوارق ونطير الى الآفاق أجنحة البطائق الى الاعراب والاكراد والتراكمة معاشر البلاد فيتسلطون عليه من الجوانب ويثب عليه كل راجل وراكب

ويصير مابين قاتل وناهب وخاطف وسالب فان أقام وانى له ذلك ففى شر مقام وان تقدم الينا اصطفاه بسواعد الاسنة واكف الدرق وأنامل السهام وان رجع وهو المرام رجع بخيبه وأقيمت لنا عند سلطاننا الحرمة والهيبه وان كان بسلطانه علينا مرج فلنا بحمد الله سلطان وفى سلطاننا فرج وأقل الاشياء ان غاده وتحرز من جنده فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده وهذا الرأى الاسد بعينه كان رأى شاه منصور الاسد فقال عرداش وهو نائب المدينة ماهذه الآراء مكينة ولا هذه الافكار رصينه بل المناضلة خير من المطاولة والمناجزه فى هذه المواطن قبل المحاجزه ومقام المنازله لاتجدى فيه المغازله ولكل مقام مقال ولكل مجال جدال وهذا طير فى قفص وصيد مقتنص فاغتنموا فيه الفرص وناوشوه بالحرب وسابقوه بالطعن والضرب لئلا يتوهم فينا الخور ويستنشق من ركود ريحنا عرف الظفر فاجمعوا أمركم واعجلوا ولا تنازعوا فتفشلوا وانهضوا وثابروا واصبروا وصابروا فأنتم بحمد الله أهل النجده وأولو الباس والشده وكل منكم فى فقه المناضلة مفن ومختار وعلمه فى افاضة دماء الأعداء منار وله فى ذلك كفايه وهدايه ونهايه وغيره له بدايه وهو لجمع الاسلام كنز واف وجامع كاف ووقايه تنحو السنة سيوفكم الى تكليم الرؤس فهى فى لفظها كافيه شافيه وتصرف أسنان أسنتكم فى مضاعفة كل ذى فعل معتل فهى فى تصريف عللها شافية كافيه فان كسرناه فزنا بالمنال وكفى الله المؤمنين القتال وتلك من الله معونه وقد كفينا عساكر المصريين المؤنه وكان ذلك أعلى لحرمتنا وأقوى فى ورود النصر لشوكتنا وأذكى لريح نصرنا وأزكى وأبكى لعين السخينة وانكى وان كانت والعياذ بالله الأخرى فلا علينا اذا بذلنا مجهودا وأقنا عذرا ومخدومنا يدرك ثارنا ويحيى آثارنا فتوكلوا على الله العزيز الجبار واستعدوا لاقاة هؤلاء الاشرار واذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم الادبار ولازال عرداش يحسن لهم هذا الرأى اللاش حتى أجمعوا عليه واتفقوا على الخروج اليه لانه كان صاحب البلد وعلى كلامه المعول والمعتمد وكان عرداش قد خالف الجمهور ووافق فى الباطن تيمور وهذه كانت عادته وعلى المراوغة جبلت طينته فانه كان كالشاة العابره والمرأة العاهرة الغادره اذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت فى أحدهما جنبانه

ومكرا بل يدبر الى هذا امرا والى هذا أخرى مع انه كان صورة بلا معنى ولفظا بلا مغزى فاعتمد تيمور عليه وفوض الامور اليه وكذلك عساكر الشام وجنود الاسلام ثم حصنوا المدينة وأرصدوا أبوابها وضيقوا شوارعها ورحابها ووكلوا بكل حارة وشحلة أصحابها وفتحوا الابواب التى تقابل ملتقاه وهى باب النصر وباب الفرج وباب القناه

(ذكر ما صبه من صواعق البيض واليلب على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب)

ثم ان تيمور نقل الركاب فوصل فى سبعة أيام الى حلب من عين تاب فحل بذلك الجيش تاسع شهر ربيع الاول يوم الخميس وبرز من ذلك العسكر طائفة نحوا من ألفى نفر فتقدم لهم من الاسود الشاميه نحو من ثلثمائه فتلقوهم بالصفاح وشلوهم بالرماح فبددوهم وطردوهم وحدروهم وشردوهم ثم أصبحوا يوم الجمعة فبرز من عسكره نحو من خمسة آلاف الى مصاف الثقاف فتقدم اليهم طائفة أخرى ارسالا وتترى فالتحم بينهم النطاح واشتبكت بين الطائفتين أنامل الرماح فازدحموا واقتحموا واشتدوا والتحموا ولازالت أقلام الخط فى ألواح الصدور تخط والقضبان الصوارم لرؤس تلك الاقلام والاسلام تقط ومشاريط النبال لدماميل الدمال تبط والارض من اثقال جبال القتال تئط حتى سجى ليلا الظلام بالقتام واغطشا فتراجعوا وقد أعطى الله النصر لمن يشا وجرى من دماء العدو مع كل فريق نهران وفقد من العساكر الاسلامية نفران ثم أصبحوا يوم السبت حادى عشره وقد تعبت الجنود الشاميه والعساكر الاسلامية السلطانيه بالعدة البالغه والاهبة السابغه والخيول المسومه والرماح المقومه والاعلام المعلمه ولم يعوز أولئك الصناديد سوى شمة من النصر والتأييد فنحوا قصده وقصدوا رده وصده وأقبلت عساكره والسعد الميمون طائره والقضاء موازره والقدر مظاهره بالجنود المذكوره والجيوش المعدودة المنصوره تقدمهم الاقيال وأفيال القتال واذا به قد أضمر لهم الويل وعبى عساكره تحت جنح الليل وبث فيهم وأرسل عليهم رقابا لهم عقدمتهم وشغلهم بأوائلهم وأحاط الباقون بهم فأتوهم من بين

أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم ومن شمائلهم فمشى عليهم مشى الموس على الشعر وسعى سعى الدبا على الزرع الاخضر وكان هذا الجولان على قرية حيلان ولما اهتش أمر الناس وهاش وجاشت الموحشة والاستيحاش وتهارشت الاسود وانتطحت الكباش فرت الميمنة وكان رأسهم اغرداش فانكسر العسكر وطاش وأخذ الابطال من الدهشة الارتعاش وغلبتهم الحيرة والانبهار فلم يلبثوا ولا ساعة من نهار ثم ولوا الدبر وصارت لاقلام رماحه ظهورهم الزبر واستمروا امامهم يتواثبون وعسكره وراءهم يتخاطبون بمعنى ما قالت شعر

جعلنا ظهور القوم فى الحرب أوجها * رقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا

فقصدوا المدينة من الباب المفتوح وهم ما بين مهشوم ومجروح والسيوف تشقهم والرماح تدقهم وقد سالت بدمائهم الاباطح ونثر من سائر لحمهم كل كاسر وجارح فوصلوا الى باب المدينة وانكسروا وهجموا فيه يدا واحدة وتكردسوا ولا زال يدوس بعضهم بعضا حتى صارت العتبة العليا من الباب أرضا فانسدت الابواب بالقتلى ولم يمكن الدخول منها أصلا فتشتتوا فى البلاد وتفرقوا فى الهامه والاطواد وكسر باب انطاكية لمماليك الاغنام وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام فوصل فلهم الى دمشق فى أبشع صوره وحكوا فى كيفية هذه الوقعة أشنع سيره وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا فضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستأمنوا ونزلوا بواسطة تمرداش اليه وقد غسل كل منهم من الحياة يديه ثم انه مشى على هيئته مع وقاره ورزانته وسكينته ودخل حلب ونال منها ما طلب وفاز بالروح والسلب ولما نزل النواب اليه قبض على سيدى سودون وشيخ على الخاصكى وأما تمرداش فخلع عليه وقبض على التونبغا العثمانى نائب صفد وعلى عمر بن الطحان نائب غزة وجعل الكل فى صفد وشرع فى استخلاص الاموال وضبط الاثقال والانفال وقد ملأت القلوب هواجس هيبته وانتشر فى الآفاق شرار صولته ثم انه لم يكتف بما أزهقه من النفوس حتى بنى المبادين من الروس وسبب ذلك ان ذا قرابة البريدى الذى أرسله الى حلب وضرب نائب الشام عنقه وسلبه السلب ذكر تيمور بقصته وأراد القود من أهل حلب لذى قرابته فأجاب سؤاله ومكنه فيمن يختار منهم ان يفعل فيه ما استحسنه فقتل طائفة منهم وبنى من رؤسهم كذا وكذا ميدنه

(زيادة ايضاح لهذه المحنة مما نقلته من تاريخ ابن الشحنه)
قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان من كتب في الديوان من عساكر تيمور ثمانمائة ألف نفس ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان نائبها الناصري محمد بن موسى بن شهري وانه عصى عليه وكان يخرج للغارات ثم قال مانصه بحروفه وكان قد أبدع بجماعة تمرلنك وطراشته مدة اقامته على بهنسا وقتل منهم جماعة وأرسل رؤسهم الى حلب وكسر توماناً كان جهزه اليه أقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بأنفسهم في الفرات وجهز تمرلنك كتابه الى المشار اليه ونصه يقول فيه انى خرجت من أقصى بلاد سمرقند ولم يقف أحد أمامي وسائر ملوك البلاد حضروا الى وأنت سلطت على جماعتي من يشوش عليهم و يقتل من ظفر به منهم والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا فان أشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة مالا مزيد عليه والا نزلنا عليك وخربنا بلادك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون فاستعد لما يحيط بك ان أبيت الحضور فامسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كلام تمرلنك فمشى اليه أوائل عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم وكسرهم وفي اليوم الثانى حضر تمرلنك على قلعة المسلمين وبرز اليه المشار اليه وقاتله قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة رأى فيها منه تمرلنك شدة حزم ورجع عن محاربته وأخذ في مخادعته وملاطفته وطلب منه الصلح وان يرسل اليه خيلا ومالا لأجل حرمته فلم ينخدع منه وتنازل معه الى ان طلب منه جانبا فلم يعطه وعاد خائبا وأخذ المشار اليه في أواخره قتلا ونهبا وأسرا كل ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوما واحدا وأنشد فيه لسان الحال شعر

هذا الامير الذى صحت مناقبه * ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره
ولى تمرلنك مكسور أوائله * منه مرارا ومقهورا أواخره

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك وأصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والاخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية رضى الله عنها * ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك حلب وكان نائبها المقر السيفي تمرداش وقد حضرت اليه عساكر البلاد الشامية وعسكر دمشق مع نائبها سيدى سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي شيخ الخاصكي وعسكر حماة

مع نائبها المقر السيفي دقماق وعسكر صفد وغيرها فاختلفت آراؤهم فمن قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار وقائل اخرجوا ظاهر البلد تلقاء العدو بالخيام فلما رأى المقر السيفي اختلافهم اذن لأهل حلب فى اخلائها والتوجه حيث شاؤا وكان ذم الرأى فلم يوافقوا على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاء العدو وحضر قاصد تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه ويوم الجمعة حصل بين الاطراف تناوش يسير فلما كان يوم السبت حادى عشر شهر ربيع الأول زحف تمرلنك بجيوشه وقبائله فولى المسلمون نحو المدينة وازدحموا فى الابواب ومات منهم خلق عظيم والعدو وراءهم يقتل ويأسر واخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف وصعد نواب المملكة وخواص الناس الى القلعة وكان أهل حلب قد جعلوا غالب أموالهم فيها وفى يوم رابع عشر شهر ربيع الاول أخذ القلعة بالأمان والاعيان التى ليس معها اعيان وفى ثانى يوم صعد اليها وآخر النهار طلب علماءها وقضاتها فحضرنا اليه فاوقفنا ساعة ثم أمر بجلوسنا وطلب من معه من أهل العلم فقال لأميرهم عنده وهو المولى عبد الجبار ابن العلامة نعمان الدين الحنفى والده من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم انى سائلكم عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التى فتحتها فلم يفصحوا عن جواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبنى الا أعلمكم وأفضلكم وليعرف ما يتكلم فانى خالطت العلماء ولى بهم اختصاص وألفة ولى فى العلم طلب قديم وكان بلغنا عنه انه يتعنت على العلماء فى الاسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم أو تعذيبهم فقال القاضى شرف الدين موسى الانصارى الشافعى عنى هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها اسئلوه والله المستعان فقال لى عبد الجبار سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا أم قتيلكم فوجم الجميع وقلنا فى أنفسنا هذا الذى بلغنا عنه من التعنت وسكت القوم ففتح الله على بجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه وأنا مجيب بما أجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى صاحبى القاضى شرف الدين موسى الانصارى بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا محدث زمانى قلت هذا عالم قد اختل عقله وهو معذور فان هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه فى هذا المقام

ووقع فى نفس عبد الجبار مثل ذلك وألقى تمرلنك الى سمعه وبصره وقال لعبد الجبار
يسخر من كلامى كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف أجاب
قلت (جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقال يارسول الله ان الرجل
يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فأينا فى سبيل الله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الشهيد فقال تمرلنك خوب خوب
وقال عبد الجبار ما أحسن ماقلت وانفتح باب المؤانسة وقال انى رجل نصف آدمى
وقد أخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتار
فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل أحدا فقال والله انى لا
أقتل أحدا قصدا وانما أنتم قتلتم أنفسكم فى الابواب والله لا أقتل أحدا منكم وأنتم
آمنون على أنفسكم وأموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا فطمع كل من
الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه فى المدرسة والقاضى شرف
الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف مايقول وكان
آخر ماسأل عنه ماتقولون فى على ومعاوية ويزيد فاشرت الى القاضى شرف الدين
وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعى فلم أفرغ من سماع كلامه الا وقد
قال القاضى علم الدين القفصى المالكى كلاما معناه ان الكل مجتهدون فغضب لذلك
غضبا شديدا وقال على على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وأنتم حلبيون تبع لاهل
دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فاخذت فى ملاطفته والاعتذار عن المالكى بانه
أجاب بشئ وجده فى كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط وأخذ
عبد الجبار يسأل منى ومن القاضى شرف الدين فقال عنى هذا العالم مليح وعن شرف
الدين هذا رجل فصيح فسألنى تمرلنك عن عمرى فقلت مولدى سنة تسع وأربعين
وسبعمائة وقد بلغت الآن أربعا وخمسين سنة فقال للقاضى شرف الدين وأنت كم
عمرك فقال أنا أكبر منه بسنة فقال تمرلنك أنتم فى عمر أولادى أنا عمرى اليوم بلغ خمسا
وسبعين سنة وحضر صلاة المغرب وأقيمت الصلاة وأمنا عبد الجبار وصلى تمرلنك الى
جانبي قائما يركع ويسجد ثم تفرقنا وفى اليوم الثانى غدر بكل من فى القلعة وأخذ
جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة مالا يحصى أخبرنى بعض كتابه
انه لم يكن أخذ من مدينة قط ما أخذه من هذه القلعة وعوقب غالب المسلمين بانواع من

العقوبة

العقوبة وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومزنجر ومسجون ومرسم عليه ونزل تمرلنك من القلعة وأقام بدار النيابة وصنع وليمة على زى المغل ووقف سائر الملوك والنواب فى خدمته وادار عليهم كؤس الخمر والمسلمون فى عقاب وعذاب وسبي وقتل وامر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم فى هدم وحرق وتخريب ونبش الى آخر شهر ربيع الاول ثم طلبنى ورفيقى القاضى شرف الدين وأعاد السؤال عن على ومعاوية فقلت له لا شك ان الحق كان مع على وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة وقد تمت بعلى فقال تمرلنك قل على على الحق ومعاوية ظالم قلت قال صاحب الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع على فى نوبته فانسر لذلك وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال ان هذين الرجلين نزول عندكم بحلب فاحسنوا اليهما والى الزامهما واصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا أحدا من أذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما فى القلعة بل اجعلوا اقامتهما فى المدرسة يعنى السلطانية التى تجاه القلعة ففعلوا ما أوصاهم به الا انهم لم ينزلونا من القلعة وقال انا الذى ولى الحكم منهم بحلب وكان يدعى الامير موسى بن حاجى طغاى انى أخاف عليكما الذى فهمته من سياق كلام تمرلنك انه اذا أمر بسوء فعل بسرعة ولا يحيد عنه واذا أمر بخير فالامر فيه الى وليه وفى أول يوم من ربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق وثانى يوم أرسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون فى أمر مريج وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تمرلنك أرسل يطلب من عسكره رؤسا من المسلمين على عادته التى كان يفعلها فى البلاد التى أخذها فلما وصلنا اليه جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عمر فسألناه عن طلبنا فقال يريد ان يستفتيكم فى قتل نائب دمشق الذى قتل رسوله فقلت هذه رؤس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير استفتاء وهو حلف ان لا يقتل منا أحدا قصدا فعاد اليه ونحن ننظره وبين يديه لحم سليق فى طبق يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء الينا شخص بشئ من ذلك اللحم فلم نفرغ من أكله الا وزعقة قائمة وتمرلنك صوته عال وساق شخص هكذا وآخر كذا وجاءنا أمير يعتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار رؤس المسلمين وانما أمر بقطع رؤس القتلى وان يجعل منها قبة اقامة لحرمته على جارى عادته ففهموا منه غير ما

أرادوا نه قد أطلقكم فامضوا حيث شئتم وركب تمرلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة فى الاقامة بها رأى الامير موسى أحسن الله اليه فى الاحسان الينا وقبول شفاعتنا وتفقد أحوال الناس مدة اقامته بحلب وقلعتها وتجيئنا الاخبار ان سلطان المسلمين الملك الناصر فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تمرلنك ومرة تجىء بالعكس الى ان انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد أن قاتل مع تمرلنك قتالا عظيما أشرف تمرلنك منه على الكسر والهزيمة وانما حصل من بعض أمرائه خيانة كان ذلك سبب توجهه ودخل آخذا بالحزم ودخل تمرلنك الى دمشق ونهبها وأحرقها وفعل فيها فوق مافعل بحلب ولم يدخل طرابلس بل أحضر له منها مال ولا جاوز فلسطين وعاد نحو حلب راجعا الى بلاده ولما كان سابع عشر شعبان من السنة المذكورة وصل تمرلنك عائدا من الشام الى الجبول شرقى حلب ولم يدخلها بل أمر المقيمين بها من جهته بتخريبها واحراق المدينة ففعلوا وطلبنى الامير عز الدين وكان من أكبر أمرائه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق من معك فاطلب من شئت وكن لا روح معكم الى مشهد الحسين وأقيم عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا أحد وكان القاضى شرف الدين لا يفارقنى فطلبنا باقى القضاة واجتمع معنا نحو من ألفى مسلم وتوجهنا الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه وأقمنا ننظر الى النار وهى تضرم فى ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق بها أحد فنزلنا اليها فلم نر بها احدا فاستوحشنا وماقدرنا على الاقامة بها من النتن والوحشة ولم نقدر على السلوك فى الطرقات من ذلك شعر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكانت نواب بلاد الشام معه مأسورين وانفلتوا أولا بأول ومات سودون بالبطن معه فى قبة بلبغا واستقر فى نيابة دمشق تنكرى وردى والله أعلم هذا مانقلته من كلام ابن الشحنة كما وجدته

﴿ذكر ورود هذا الخبر الذى أقاق ووصول استنبوغا الدوادار وعبد القصار الى جاق﴾

فورد من حلب استنبوغا الدوادار والفتح الماهر المدعو بعبد القصار وقالا معاشر المسلمين الفرار مما لايطاق من سنن المرسلين من يقدر على هذا فيطلب لنفسه

طريق النجا ومن أطاق أن يشمر ذيله فلا يبيتن فى دمشق ليله ولا يغالط نفسه بالمداهنه فليس الخبر كالمعاينه فتفرقت الآراء واختلفت الاهواء وماج أمر الناس موجا وتفرقوا كماهو دأبهم فوجا فوجا فبعض الناس انتصح وجهز أمره وانتزح وبعضهم كابر وأصر وكشر أنيابه لاستنبوقا عبد القهار واهر وارادوا رجم هذين الناصحين وان يسقوهما كأس حين وقالوا انما أردتما بذلك تبديل الناس وتشريدهم واجلاءهم من أوطانهم وتجريدهم وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم والا فالامن حاصل والسلطان بحمد الله واصل والنواب فى حلب كانوا شرذمة قليله ولم يتم لهم معه الفكر والحيله مع انه حصل من بعضهم مخامره ولم يوجد من الباقين مناصحة ومظاهره ولم يكن لهم رأس فلا تأخذوا فى هذه المسئلة بالقياس وأما عساكرمصر فانهم كاملو العدد وسابغو العدد وفيهم للمسلمين فرج بعد الشده فقال نحن بعد الانتهاء والتى من شره سلمنا وماشهدنا الا بما علمنا وكل منا أفصح عما أدى اليه اجتهاده وأبان ووالله انه فى نصيحة المسلمين النذير العرفان وقد نصحنا لكم ان كنتم مفلحين ولكن لاتحبون الناصحين واستمر أمر الناس فى الترديد والتشاعب والتفرق والتبديل والتشاغب فبعضهم توجه نحو الاماكن القدسيه وتوجه بعض الى الديار المصريه وبعض تشبث بأذيال الحروف العاصيه وتحصن آخرون بالاماكن الغامضة القاصيه

(ذكر خروج السلطان الملك الناصر من القاهرة بجنود الاسلام والعساكر)

ثم ان السلطان خرج من غير توان وتوجه بالعساكر والاستعداد التام الى جهة بلاد الشام فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشهم وزال استيحاشهم ورد غالب من كان برح منهم وانفرج الكرب والضيق عنهم وأما أولو العزم وذوو الرأى السديد والحزم فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان بل طلبوا لنفسهم الأمان وانتظروا ما يتولد من حادثات الزمان وكأن أنامل الدهر الدائر كتب لهم على مرآة الخاطر ما أنشده الشاعر شعر

ألا انما الايام أبناء واحد * وهذى الليالى كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة * خلاف الذى مرت به السنوات

وقلت شعر

ان اخذتني ما في الزمان الآتي * فقس على الماضي من الاوقات

﴿فصــل﴾ ولما نجز تيمورأمر حلب ضبط أثقالها وما أخذه منها من مال وسلب ووضعه في القلعه ووكل به بعض أمرائه من ذوي الشجاعة والمنعه وهو الامير موسى بن حاجي طغاي وكان ذا عزم شديد ورأى وتوجه بذلك البحر الطام شهر ربيع الآخر الى جهة الشام فوصل الى حماه ونهب ماحوت يداه ولم يحتفل بأمر نهب وأسير ولا باسراع في مسير بل سار رويدا وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا

﴿حكاية﴾ رأيت حين توجهت الى بلاد الروم في أوائل شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثمانمائة عند وصولنا الى حماه بالجامع النوري بها من الجانب الشرقي على حائطة القبلي نقشا على رخامة بالفارسي ماترجمته (وسبب تصوير هذا التسطير هو أن الله تعالى يسر لنا فتح البلاد حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد فجاورنا سلطان مصر ثم أرسلناه وبعثنا اليه قصادنا بأنواع التحف والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك ان تنعقد المودة بين الجانبين وتأكد الصداقة من الطرفين ثم بعد ذلك عند قبض بعض التراكمة على أناس من جهتنا وارسلهم الى سلطان مصر برقوق فحبسهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا لاستخلاص متعلقينا من أيدي مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماه في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة

﴿فصــل﴾ ثم وصل الى حمص فلم يتعرض بها لتشتيت وتبديد ووهبها للسيد خالد بن الوليد قلت بديها شعر

ألا لاتجار سوى الخـير * ين أحيا وكن جارهم في القبور

ألم تر حمص وسكانها * نجوا من بحار بلايا تمور

لأنهـم جاوروا خالدا * ومن جاور الاتقيا لايبور

وخرج اليه شخص من آحاد الناس يدعى عمر بن الرواس فاستجلب خاطره وكانه قدم اليه تقدمة فاخره فولاه أمور البلد وركن اليه واعتمد وولى قضاء تلك البلاد رئيسا يسمى شمس الدين بن الحداد ونادى بالامان للقاصي والدان وتبايعوا

وتشاروا

وثاروا وفى استفادة ربح الامن لم يتمادوا ثم ان نائب الشام ضعف معه ومات على قبة يلبغا ونائب طرابلس هرب منه وللخلاص ابتغى فوصل الى مدينته واستقر فى ولايته فاضطرم غضبا واستشاط لهبا واشتعل قيظ غيظه وقتل كل من من وكله بحفظه وأسعر بهم سقر وكانوا ستة عشر وأما قرداش فانه داراه وماراه وهرب منه فى قارا واستمر علاء الدين الطونبغا العثمانى نائب صفد وزين الدين نائب غزة وغيرهما معه فى صفد ثم سار وامار تيلك حتى نزل على بعلبك فخرج أهلها ودخلوا عليه وترامو اطالبين الصلح بين يديه فلم يلتفت الى هذا المقال وأرسل فيهم جوارح النهب والاستئصال ثم ارتحل بحر ياذلك البحر الزخار والسيل التيار والطوفان الثرثار حتى أشرف على دمشق من قبة سيار ووصلت العساكر المصريه والجنود الاسلاميه وقد ملؤا الفضاء وأشرق الكون منهم وأضاء فيالق سهامها الحب قلب من نوى الخلاف فالقه وصواعق سيوفها فى عقاص كل عاص صادقه وأسنة رماحها الرتق سماء الارواح عن أرض الاشباح فاتقه وقد طلبوا الاطلاب وحزبوا الأحزاب وعبوا الميمنة والميسره ورتبوا المقدمة والمؤخره وسووا القلب والجناح وملؤا البطاح والبراح وساروا بالمقانب المكتبه والكتائب المقنبه والكواكب المكوكبه والمراكب الموكبه والمراتب المقربه والمقربات المرتبه والسلاهب المجنبه والنجائب التى هى على أكل اللحم مستاهبه وفى كل كتيبة من الاسود الضراغم ومن النسور القشاعم

قلت شعر

ورب ذى لجب كالطود ذى حنق * كانه البحر فى أثناء غايات
بحران فى كل موج منهما اسد * يلاعب الموت فى كفيه حيات
كل يرى العين معناه وصورته * عند النزال وان ينزل فشطفات
ان يسر تلق السما فى الارض دائرة * أو سار تعقد ارضا منه غبرات

وقد تنكبوا حنايا المنايا وتقلدوا سيوف الحتوف واعتقلوا الذوابل النواهل وثبتوا حيث بتوا وكانهم خلقوا من كواهل الصواهل قلت شعر

كان الجوشن لازوردى * يزركش نسجه قصب الرماح
فان عقد القتام عليه ليلا * ارتك صفاحه لمع الصباح

كأنّ نجومه النشاب ترمى * شياطين الكفاح لدى النطاح

ولا زالت أفواج هذه الامواج على هذا المنهاج متلاطمه وأثباج هذا البحر العجاج تحت العجاج متصادمه وكل ينادى بطريق المفهوم وما منا الا له مقام معلوم فوصلت غيلان الوغى الى قبة يلبغا يوم الاحد العاشر من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وثمانمائة من الهجره فنزل كل من العساكر يمنة ويسره واستقرت العساكر والامراء الاسلاميه فى البيوت والمساكن ونزلت الجنود التتاريه غربى دمشق من دار باوالدولة ومايلى تلك الاماكن ودخل بعض أثقال السلطان الى البلد وتحصنت القلعة والمدينة بالسلاح والعدد ثم أخذ كل من الجيشين حذره ونجز للمقابلة والمقاتلة أمره وحفروا الخنادق وسد كل على الآخر أفواه المضايق وشرعوا فى المهاوشة والمناوشه والمهارشة والمعانشه ثم أمر السلطان العساكر بالبروز من المدينة الى الظاهر وجعل يخرج من المدينة رؤساء أعيانها ويتحازق المقاتلة الى سلطانها والأطفال الصغار والرجال يجأرون الى الجبال وينادون بحرقه كل ليلة فى الازقه يا الله يا رحمن انصر مولانا السلطان والناس فى اضطراب وحركات يستنزلون النصر والبركات ويستغيثون الليل والنهار بالمجاهدون الاسوار واستشهد من رؤساء البلد فى تلك الايام قاضى القضاة برهان الدين الشاذلى المالكى الحاكم بالشام وشلت يد قاضى القضاة شرف الدين عيسى المالكى بضربة حسام وجعلوا يأتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه ربما غوا منهم من ناطق وصامت فيشهرونه

﴿ذكر واقعة وقعت ومعركة صدعت لوانها نفعت﴾

ثم فى بعض الأيام تقدم من أوائل الاعجام نحو من عشر آلاف وزحفوا الى ميدان المصاف فنهض لهم من العساكر الشاميه نحو من خمسمائه ثم اتبعهم الامير استنبغا فى نحو من ثلاثمائه شعر

أسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا * جبال اذا أرسوا بحار اذا جروا

شموس اذا لاحوا بدور اذا انجلوا * رياح اذا هبوا غمام اذا همو

صقور اذا انقضوا غور اذا عموا * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا

مع كل منهم اخطار تسجد قدود الملاح لخطراته وبتار يتعلم سفك الدماء من لحظاته
وحنية تضاهي حاجبه وسهام في تشبهها بأجفانه صائبه وترس لين الملمس اذا
تغطى به رأيت البدر على شمس وعليه خوذه كأنها من اعاب وجنته ماخوذه
أو من بوارق عامته مفلوذه اذا نظر الطرف اليها أخذه الانبهار يكاد سنا برقها
يذهب بالابصار ولبوس أشبه لابسه وصار ملابسه ظاهره حرير ناعم كبشرته
وباطنه حديد كقلبه في قوته وقد امتطوا الفحول من نجائب الخيول فكان
بدور تلك الجموع مع الرماح المتهية الاسنة عروس تجلى تحت الشموع وتوجهوا الى
حرمة الوغى وتلاقوا في واد خلف قبة يلبغا

فصل ولما رأت هذه الأسود تلك الذئاب والكلاب كانوا كالمؤمنين
وقد رأوا الاحزاب فبان منهم صحيح الضرب ومليله وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
فأحاط أوائل هؤلاء لكثرة الغلبه وادار وا عروضهم على هذه البحور الدائرة المجتلبه
وحين صار وا في خباء هذه الدائرة كالعروض اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدائرة
بالحرب العضوض فأول ما اضمروا لهم في ذلك الزحف قطف الراس وخبل العقل
وقطع الكف فصلموا بالرمح الطويل عقلهم وثلموا بالرشق المديد شكلهم
وبتروا بالعضب البسيط وادرهم وشتروا بالسهم السريع كاملهم فخذوهم
وقصوهم وخزموهم وشعثوهم وثرموهم وجمعوهم ووقصوهم وعصبوهم وعقصوهم
وخزلوهم ونقصوهم فردوا صدورهم على الاعجاز وسدوا على حقيقة الخلاص منهم
المجاز فانكشفوا عنهم وهم ما بين مشطور ومقطوع ومحذوف ومجزوء ومنهوك ومرفل
ورجع استنباى المشار اليه وقد اقتضب بحربه المتدارك سيفهم واجتث بضربه
المتقارب المتماسك ثقيلهم وخفيفهم وتسبغ سوابقهم بالنصر مرفل وبالتمكين
التام مذيل وبيت دائرتهم المتفقة آمن من الخلل وعروضه وضربه سالم من
الزحاف والعلل

ذكر ما افتعله سلطان حسين ابن أخت تيمور من المكر والمين

ثم ان سلطان حسين وهو ابن أخت تيمور أظهر انه خالف على خاله وجاء الى السلطان
وفي باطنه امور وكان شابا ذا شجاعه وعنده طيش ورقاعه وأظهروا بقدومه

الفرح واستشعروا النصر والمرح وكان فى رأسه جمة شعر فازالوه وخلعوا عليه
وفى زيهم اظهروه

﴿فصـــل﴾ ثم ان تيمور اشاع انه خار وتقعقع فرحل قلبا لاو رجع القهقرى
وتحكم كل ذلك من مكائده وحبائل مصائده وبيان ذلك أنه بلغه ان الخلاف
واقع بين العساكر المصريه وانهم سيفرون فيفرقونه اذذاك فظهر الخوف وشيع
انه راحل ليثبتهم وعن الفرار يثبطهم فلما عزموا على الفرار لم يبق لهم ثبات
ولاقرار

﴿ذكر مانجم من النفاق بين العساكر الاسلاميه بعدم الاتفاق﴾

وكان أتابك العساكر وكافل الملك الناصر الامير الكبير باشر بسلك وتحت يده
الاكابر والاصاغر والجند وان كان مدده كثيرا والجيش وان ترآى عدده غزيرا
لكن كان كل منهم أميرا ولم يكن شئ منهم سوى الرأس صغير افتشتت آراؤهم
وتصارمت أهواؤهم وانتقلت اشعار شعارهم من الدائرة المؤتلفه الى الدائره
المختلفه ونقل كل منهم من وزن بيته الى أعاريض وأخذ فى عرض صاحبه
بالمقاريض وظهرت فى تلك الساعة آيات الرحمن فى اختلاف الألسنة والالوان
وصاروا فى رعاية الرعية كالذئب والضبع وسلطوا على مرعى هزيلها الغرالغضوب
والسبع ولحق فى سنده هذا الحديث الاصاغر بالاكابر والاسافل بالاعالى
والاوائل بالأواخر وصاروا كما قال الشاعر شعر

تفرقت غنمى يوما فقلت لها * يارب سلط عليها الذئب والضبعا

وتوجه منهم رؤس الى القاهره تاركا كل منهم قرنه وناصره وصدقوا انه ورق فيه
عنهم معرفة السياسه والدربة فى سلوك طرائق الرياسه

﴿فصـــل﴾ ولما علم الغابرون مافعله السائرون لم يسعهم غير تشمير الذيل
واتباعهم تحت جنح الليل ومن تخلف من قوم أو أخذته سنة أو نوم وقع فى الشرك
وهوى به الى أسفل الدرك وكان الناس فى الليل والنهار ملازمين للاقامة على
الاسوار وكل قد فرح وابتهج وتيقن انه حصل له من سلطانه فرج ففى بعض
الليالى صعد الناس الى مكان عالى واذا بأماكن خيم السلطان قد علت من

النيران ولم يعرف أحد ما الخبر غير أن الدنيا ملئت بالشر والشرور وأصبحوا وقد خلت الديار ولم يبق فى قمة بلغا نافخ نار خشعت أصواتهم وسكنت حركاتهم فجعلوا يتهادتون وفيما بينهم يتخافتون وماج الشر واضطرب وقال الناس السلطان هرب فانقصم ظهر الناس وأيقنوا حلول البأس وتفاقمت الهموم وتعاظمت الغموم وتقطعت بهم الأسباب وشمل الخلائق أنواع العذاب وضاقت الحيل كالصدور وتخبطت الأوامر والأمور

﴿فصل﴾ ثم ان تيمور حمد ربه ورحل من مكانه ونزل القبه وألقى عصاه ونام مستريحا على قفاه ونادى بنى باقات شعر

الحمد لله نلنا ما نؤمله * والضد أدبر والمأمول قد حصلا

وحفر الخنادق حوله وبث فى الاطراف رجله وخيله وأرسل الطلب وراء من هرب وصار كلما أتى بأحد من أجناد الرجال أمر بالقائه بين يدى تلك الأفيال فتفعل معه الافيال فى تلك الفلاه ما تفعله المواشى يوم القيامة فى مانع الزكاه

﴿فصل﴾ وأما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم لانه نشز نشوز الغيم وانساب انسياب الايم وتوجه على وادى التيم فانتشرت شياطين تيمور فى الارض وملأت الطول والعرض ووصلت غاراتهم الى أطراف البلاد رضواحيها وعامة القرى ونواحيها وجعلوا من كل حدب ينسلون فى مشارق الارض ومغاربها التى بارك الله فيها وتقدموا الى المدينه وكانت كما ذكر بالأهبة حصينة وبأنواع الاستعداد مكينة مسدولة الحجاب مغلقة الأبواب فتمنع أهلها عليهم ولم يسلموها اليهم رجاء أن يشموا من النجدة الارج أو يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج فاستمروا على ذلك نحوا من يومين ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين فكان قدوم السلطان وذهابه بالعساكر كما قال الشاعر

كما برقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها اقشعت وتجلت

﴿ذكر خروج الأعيان بعد ذهاب السلطان وطلبهم من تيمور الأمان﴾

ولما خانتهم الظنون وعلموا انه حل بهم ريب المنون اجتمع من المدينة الكبراء والموجود من الأعيان والرؤساء وهم قاضى القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفى

وولده قاضى القضاة شهاب الدين وقاضى القضاة تقى الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلى
وقاضى القضاة شمس الدين محمد الحنبلى النابلسى والقاضى ناصر الدين محمد بن أبى
الطيب كاتب السر والقاضى شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير وكان منصب
الوزارة اذ ذاك له ابهة تمافى الجملة والقاضى شهاب الدين الحبانى الشافعى والقاضى
شهاب الدين ابراهيم بن القوشة الحنفى نائب الحكم رحمهم الله فأما القاضى الشافعى
وهو علاء الدين بن أبى البقاء فانه هرب مع السلطان وقاضى القضاة المالكى وهو
برهان الدين الشاذلى فانه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الاعيان وطلبوا منه
الأمان بعد ما وقع المشاورة منهم والاتفاق ونظمت كلمتهم فى سلك الوفاق

﴿فصــل﴾ ولما أقلع السلطان بذلك عسا كره المشحون وقع فى بحر العسا كر
التيمورية قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون وكان من أعلام الاعيان ومن
قدم مع السلطان فلما قفل السلطان وانفرك كانه كان ذلك فوقع فى الشرك وكان
نازلا فى المدرسة العادليه فتوجه هؤلاء الاعيان اليه فى تدبير هذه القضيه فوافق
فكره فكرهم فاكره فى ذلك أمرهم وما وسعهم الا استحسانه معهم وكان
مالكى المذهب والمنظر أصحى الرواية والخبر فتوجه معهم بعمامة خفيفة وهيئة
ظريفه وبرنس كهو رقيق الحاشيه يشبه من دامس الليل الناشيه فقدموه
بين يديهم ورضوا بأقواله وأفعاله هم وعليهم وحين دخلوا عليه وقفوا بين يديه
واستمروا واقفين وجلس خائفين حتى سمح بجلوسهم وتسكين نفوسهم ثم هش
اليهم وتضاحك عليهم وجعل يراقب أحوالهم ويسبر بمسبار عقله أقوالهم
وأفعالهم ولما رأى شكل ابن خلدون لشكلهم مباينا قال هذا الرجل ليس من
ههنا فانفتح للمقال مجال فبسط لسانه وسئل كما قال ثم طووا بساط الكلام
ونشروا سماط الطعام فكوموا تلالا من اللحم السليق ووضعوا امام كل ما به
يليق فبعض تعفف عن ذلك تنزها وبعض تشاغل عن الاكل بالحديث ولها
وبعض مد يده وأكل وما جبن فى مصاف الاتهام ولانكل والى الاكل أرشدهم
وناداهم وأنشدهم شعر

كلوا أكل من ان عاش أخبر أهله * وأن مات يلق الله وهو بطين

وكان من جملة الآكلين قاضى القضاة ولى الدين وكل ذلك وتيمور يرمقهم

وعينه الخزراء تسرقهم وكان ابن خلدون أيضا يصوب نحو تيمور الحدق فاذا نظر
اليه أطرق واذا ولى عنه رمق. ثم نادى وقال بصوت عال يا مولانا الامير
الحمد لله العلي الكبير لقد شرفت بحضوري ملوك الانام وأحييت بتواريخي
ما ماتت لهم من الايام ورأيت من ملوك العرب فلانا وفلانا وحضرت كذا وكذا
سلطانا وشهدت مشارق الارض ومغاربها وخالطت في كل بقعة أميرها ونائبها
ولكن لله المنة اذا امتد بي زماني ومنّ الله علي بأن أحياني حتى رأيت من هو
الملك على الحقيقة والمالك شريعة السلطنة على الطريقة فان كان طعام الملوك
يؤكل لدفع التلف فطعام مولانا الامير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف
فاهتز تيمور عجبا وكاد يرقص طربا وأقبل بوجه الخطاب اليه وعوّل في ذلك
دون الكل عليه وسأله عن ملوك العرب وأخبارها وأيام دولتها وآثارها
فقص عليه من ذلك ما خدع عقله وخلب لبه وسلبه وكان تيمور في
سير الملوك والامم امه وأبا التاريخ شرقا وغربا وامه وسنذكر لهذه المعاني
بديع بيان

فصل وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك البصير واذا بالقاضي صدر الدين
المناوي في أيديهم أسير وكان قد تبع السلطان في الهرب فادركه في مسلوك
الطلب فقبضوا عليه وأحضروه بين يديه واذا هو بعمامة كالبرج وأردان
كالخرج فتخطى الرقاب وجلس من غير اذن فوق الاصحاب فاشتاط تيمور غضبا
وملأ المجالس لهبا وانتفخ سحره وتجرع غيظا نحره وشخر ونخر ومخر بحر حنقه وزخر
وأمر طائفة من المعتدين بالتنكيل بالقاضي صدر الدين فسحبوه سحب الكلاب
ومزقوا ما عليه من ثياب وأوسعوه سبا وشتما وأشبعوه ركلا ولكما ثم أمرهم
بتشديد أسره وتجديد كسره وترادف الاساءة اليه وتضاعف الكسرات على رغم
المتعصبين عليه فأخرج اخراج الظالم يوم يولي مدبرا ماله من الله من عاصم ثم تراجع
تيمور الى ما كان فيه من ترتيب غوائله ودواهيه فألبس كلا من هؤلاء الاعيان خلعه
وأقامه عنده في عزة ورفعه ثم ردهم منشرحي الصدور في دعة وسرور وفي خاطره
شرور وأمور غرور فساروا وقد حاروا قلت شعر

كالهدي زينه المهدي وعظمه * وعن قريب لضيف الموت أطعمه

وشرط لهم ولاة يوم الامان على أن يدفعوا اليه أموال السلطان وماله وللامراء من أثقال وتعلقات وأموال ودواب ومواش ومماليك وحواش ففعلوا ما به أمر ورفعوا اليه ما بطن من ذلك وما ظهر فأما القلعة فانها استعدت للحصار وكان نائبها يدعى ازدار تحصنها وبالاهبة الكاملة مكنها وانتظر من السلطان نجدة أو مانعا ربانيا يفرج عنه الشدة فلم يلتفت تيمور فى أول الامر اليها ولا احتفل به اولا عرج دليها بل صرف همه الى تحصيل الأموال وتوسيق الأحمال بالاثقال فلما حصل الثقل والخزائن انتقل خارج على المدينة أموال الأمان واستعان على استخلاصها بهؤلاء الاعيان وأقام عليهم دواوينه وكتبته وأهل الضبط والحرص من مباشريه وحسبته وفوض ذلك الى كفاية الله داد أحد أركان دولته ومن عليه الاعتماد وهو أخو سيف الدين المار ذكره فى أول الكتاب اسمه وأقام معهم كل جبار عنيد ومن نشأ فى حجر الفظاظة ورضع ثدى ظلمه ونادى بالامان والاطمئنان وان لا يبغى انسان على انسان فدبعض الحمقاى يده الى قاره بعدما سمع هذا النداء واشتهاره فبلغ ذلك تيمور فامر بصلبهم فى مكان مشهور فصلبوهم فى الحريريين برأس سوق البزوريين ففرح الناس بهذه الفعلة وأملوا خيره وعدله وفتحوا من أبواب المدينة الباب الصغير وشرعوا يحررون أمر المدينة على النقير والقطمير فوزعوا هذه الاموال على الحارات وتنادى أهل الظلم والعدوان من القريب والغريب بالاشارات وجعلوا دار الذهب مكان الستخلاص وطفقوا يلقون الناس فى ذلك المنقص وتسلط بعض الناس على البعض واصطادا رانب الارض بكلاب الارض وكان فصل الخريف كجيش مصر قد قفل وفصل الشتاء بزمهريره كجند تيمور بنيرانه على العالم قد نزل فانتقل الى القصر الابلق ثم الى بيت الأمير تنجاص وأمر بالقصر أن يهدم ويحرق ودخل الى المدينة من الباب الصغير فى جمع كثير وصلى الجمعة فى جامع بنى امية وقدم الحنفية على الشافعية وخطب به قاضى القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفى المذكور وجرى ما طول شرحه من أمور وشرور ووقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمى المعتزلى وبين علماء الشام لاسيما قاضى القضاة تقى الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلى مناظرات ومناقشات ومباحثات ومراجعات وهو فى ذلك كترجمانه يخاطبهم فى جميع ذلك بلسانه فيما

وقائع على ومعاويه وما مضى بينهم فى تلك القرون الخاليه ومنها أمور يزيد وما يزيد وقتل الحسين السعيد الشهيد وان ذلك ظلم وفسق بلا انكر ومن استحله فهو واقع فى الكفر ولا شك ان ذلك الفعل الحرام كان بمظاهرة أهل الشام فان كانوا مستحليه فهم كفار وان كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة واشرار وان الحاضرين على مذهب الغابرين فحصل منهم فى ذلك أنواع الاجوبه فمنها ماردة ومنها ما أعجبه الى أن أجاب كاتب السر واجاد واصاب فيما قال لوافاد اطال الله الكبير بقاء مولانا الأمير اما انا فنسبي متصل بعمر وعثمان وان جدى الاعلى كان من أعيان ذلك الزمان وحضر تلك الوقائع وخاض هاتيك المعامع وكان من رجال الحق وابطال الصدق ومما تواتر من فعله ووضعه الشئ فى محله انه توصل الى رأس سيدنا الحسين ونزهه عما حصل له من ابتذال وشين ثم نظفه وغسله وعظمه وقبله وطيبه وبجله وواراه فى تربه وعد ذلك عند الله تعالى من أفضل قربه فلذلك أيها الهمام الصيب كنوه بابى الطيب وعلى كل تقدير أيها الامير فتلك أمة قد خلت وغموم غيومها انجلت وعما جرت انقضت وعما اذاقت مرت وحلت وفتن أراحنا الله اذ أزاحنا عنها ودما طهر الله سيوفنا منها وأما الساعه فاعتقادنا اعتقاد أهل السنة والجماعه فلما سمع هذا الكلام قال يالله العجب وما سميتم باولاد أبى الطيب الا لهذا السبب قال نعم ويشهد لى بذلك القاصى والدانى وأنا محمد بن عمر بن محمد بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن أبى الطيب العمرى العثمانى فقال لك المعذرة يا طيب الاسلاف لولا انى ظاهر العذر لحملتك على عاتقى والاكتاف ولكن سترى ما أفعله معك ومع أصحابك من التكريم والالطاف ثم انه ودعهم وبالتعظيم والاحترام شيعهم ومنها انه سألهم لنكايه سؤال اضرار ونكايه فقال ما أعلى الرتب درجة العلم أو درجة النسب فادركوا قصده وفهموا ولكن عن رد الجواب وجموا وعلم كل منهم انه قد ابتلى فابتدر بالجواب القاضى شمس الدين النابلسى الحنبلى وقال درجة العلم أعلى من درجة النسب ومرتبتها عند الخالق والمخلوق أسنى الرتب والهجين الفاضل يقدم على الهجان الجاهل والمقرف المنيف أولى للامامة من السيد الشريف والدليل فى هذا لى وهو اجماع الصحابة على تقديم أبى بكر على على وقد أجمعوا على ان أبا بكر أعلمهم وانبتهم قدما فى الاسلام واقدمهم

واثبات هذه الدلاله من قول صاحب الرساله لا تجتمع أمتى على ضلاله ثم أخذ فى
نزع ثيابه مصححا التيمور وما يصادر من خوابه ففككت ازراره وقال لنفسه اغا أنت
عاره وكاس الموت لابد من شربها فسواء ما بين بعدها وقربها والموت على الشهاده
من فضل العباد وأحسن أحوال السالمن اعتقد انه الى الله صائر كلمة حق عند سلطان
جائر فسئل ما يفعل هذا الشهل فقال يا مولانا الجليل ان فرق ضما كرتك كم
بنى اسرائيل وفيهم من ابتدعوا بدعا وتقطعوا فى مذاهبهم قطعا وفرقوا دينهم
وكانوا شيعا ولا شك ان مجالس حضرتك تنقل وعقائل مباحثها تحل الصدور
فتعقل واذا ثبت هذا الكلام عنى ورواه أحد غير سنى خصوصا من ادعى
موالاة على ويسمى فى رفضه أبا بكر بالرافضى وتحقق منى يقينى وانه لا ناصر لى
يقينى فانه يقتلنى جهارا ويريق دمى نهارا واذا كان كذلك فانا استعد لهذه
السعاده وأختم أحكام القضاء بالشهاده فقال لله هذا ما أفصحه واجراه فى
الكلام وأوضحه ثم نظر الى القوم وقال لا يدخلن هذا محلى بعد اليوم
﴿فصـــل﴾ وهذا الرجل اعنى عبد الجبار كان عالم تيمور وأمامه وعن يخوض
فى دماء المسلمين امامه وكان عالما فاضلا فقيها كاملا بحاثا محققا اصوليا جدليا
مدققا وأبوه النعمان فى سمرقند كان وهو فى الفروع من أعلم أهل الزمان حتى
كان يقال له النعمان الثانى وكان من القائلين بعدم الرؤية فى الأخرى فأعمى الله
تعالى بصره كبصيرته فى الدنيا وأكثر علماء عصره عا وراء النهر قرأ عليه الفروع
ونقل عنه مسائل المشروع ولا خلاف فى الفروع بين أهل السنة وأهل الاعتزال
وانما اختلافهم فى اصول الدين فى مسائل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال
﴿فصـــل﴾ وتصدى لاستخلاص الاموال من أهل الشام كان غشوم ظلام
كفور صدام وكان فى قلة رفاقه كصدقة ابن الحاتى وابن المحدث وعبد الملك بن
التكريتى المنبوذ بسعاقه وغيرهم من نظرائهم من عواقب الظلم وابنائهم مع
حضور اكابر المدينة واعيانها المارذ كرهم ورؤساء قطانها فانه لم يمكنهم فى ذلك
ان يتخلفوا ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا وحضور دواوينه وحسابه وضابطى
أمور خزائنه وكتابه ومنهم خواجه مسعود السمنانى ومولانا عمر وتاج الدين
السلمانى كل ذلك فى دار الذهب وهو مكان مشهور ونزل الله داد داخل الباب

الصغير في دار ابن مشكور وجعل كل من في قلبه من أحد ضغينه أو سخيمة دفينه أو غل أو حسد أو حقد أو نكد بغمز على اخوته أو اولئك الظلمة الفظاظ والزبانية الشداد الغلاظ شعر

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

بل بأدنى اشاره وأقل عباره يبنون على أرض وجود ذلك المسكين من جبال النكال قصور الشواهق وينشؤن على حدائق ذاته من سماء العذاب سحاب عقاب ترعد عليه صواعق وتبرق له من الدمار والبوار بوارق

(فصل) ثم انه صار في هذه المدة يحاصر القلعة ويعمل لها ما استطاع من عدة رأى أن يبني مقابلها ابنا ويعلوها ليصعدوا عليه فيمدوها بجمعوا الاخشاب والاحطاب وغيرها وصبوا فوقها الاحجار والتراب ودكوها وذلك من جهة الشمال والغرب ثم علوا عليه ونارشوها الطعن والضرب وفوض أمر الحصار لامير من أمرائه الكبار يدعى جهان شاه فتكفل بذلك وما ناه ونصب عليها المجانيق ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق وكان فيها من المقاتله فئة غير طائله أمثلهم شهاب الدين الزرد كاش الدمشقي وشهاب الدين أحمد الزرد كاش الحلبي فأبليا في عسكره بلاء حسنا ونكيا على جيشه كما فاء الى فئتهم وبامصيبة وفتنا فأهلكا من جيشه بالاحراق وارصاد المدافع والابراق ما فات الحد وتبدد من دائرة العد ولكنه لما أحاط بها من بحار تخريبه سيل عرم سائلها وأمطر عليها من سهام غمام رماته وصواعق بوارق كماته صيب وابلها أتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن أيمانها وعن شمائلها وكلت عن المجاذبة والمنابذة أيدي مقاتلها فطلبوا الامان ونزلوا اليه من غير توان وكل هذا الامر المهول والقضاء العجب في أواخر شهر ربيع الآخر وجمادين وشهر رجب ولكن ما نال من القلعة روما الا بعد محاصرتها ثلاثة وأربعين يوما وصار في هذه المدة يتطلب الافاضل وأصحاب الحرف والصنائع وأرباب الفضائل ونسج الحريريون له قباء بالحرير والذهب ليس له درز فاذا هو شئ عجب وبني في مقابر الباب الصغير قبتين متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم أكثر من غيرهم وقدم

(ذكر ماصنعه بعض الاكياس من الناس خوفا من ان يحل به الباس ووقى بنفاثه النفوس والانفاس)

وكان فى صفد تاجر من أهل البلد أحد الرؤساء والتجار يدعى علاء الدين وينسب الى دوادار كأنه تقدمت له خدمة على السلطان فولاه حجابة ذلك المكان فلما توجه النواب الى حلب والعادة أن ينوب عن نائب البلدة فى غيبته من حجب ناب عن نائبها التونبغا العثمانى وحاجبها علاء الدين الدوادارى نغرق فى أسر ذلك الطوفان كل النواب ومن جملتهم العثمانى وابن الطحان ومات منهم من مات وفرّ من فرّ واستقر فى قيد الاسر التونبغا وعمر فلما قدم تيمور الشام برحل بما منه مايحل من قضاة السوء بأموال الايتام شرع كل متول فى بلاد يفعل ما أدّى اليه الاجتهاد فبعض حصن أماكنه وبعض مكن كائنه وطائفة استنجزت للفرار وفرقة استوفزت للفرار وقوم سالموا وساكنوا وهادوا وهادنوا ففكر علاء الدين المذكور وقدر وتأمل فى خلاص صاحبه وبلده وتبصر وكان من أبناء الناس وعنده ذوق الاكياس واستشار مصيب عقله فى ذلك واستنطقه فقال داره عامل من مال واترك سرب الفرار ونفقه وما كذبه اذ قال له كل مداراة من العرض ستره وصدقه وكان ذا مال عدود فقال ما ادّخرت الدنانير الصفر والدراهم البيض الا للايام السود فطلب من تيمور الرياضه وأراد أن يجس أولا بجاملته مخاضه فعالج هذا الامر علاج النطس المريض وبادر بالمهادنة وحال الجريض دون القريض وأرسل الى تيمور أجناسا من ماله الطويل العريض واستعمل خاطره واستدعى أوامره ثم أردفها بأضعافها وأضعف خواصرها بأردافها فشكر تيمور له صنعه وزاده ذلك عنده منزلة ورفعه وأرسل اليه مرسوم أمان وان يعامل هو وأهل بلده بالمجاملة والاحسان فليؤمن روعهم وليسكن جنسهم ونوعهم وليؤنس وحشتهم ولتذهب دهشتهم بحيث انهم يتبايعون ويتشارون والى معاملتهم من عساكره يتجارون وان استطال أحد من اجناده ولو أنه من اخوته وأولاده فليقابله بالشتم والانكار والضرب والاشهار وصار يطلب منه ما أراده فيرسله اليه بزياده وكلما زاد فيما يقترحه عليه من نقد وجنس طلبا زاد علاء الدين لذلك نشاطا وطربا ومن جملة ما اقترح عليه فى ذلك المقبض حمل بصل

أبيض بناء على أن ذلك لا يوجد في الشام بأسرها فضلا عن صفد ففي الحال وجد من ذلك ثلاثة أحمال فأرسلها اليه كما هي وكان ذلك من الفضل الالهي حتى أحبه وتمنى قربه وقال فيه معنى ما قاله شعر

دار يت وقتك راحة بيت ببذل مالك يا بشر

لو كان مثلك آخر * في الشام ما بقيت بشر

وتوجه طوائف من العسكر اليهم واشتروا منهم وباعوا عليهم واستمرت عقود المصادقة لم تحل الى آن قوض خيامه عن دمشق ورحل فلما أقشع من الشام ضباب ضيره وامتد في ميدان الرحيل حبل سيره أعقب علاء الدين الدواداري قاصدا الى ذلك الاسد الضاري ومعه تحف سنيه وتقف ملوكيه ومطالعة فحاويها رائقه ومعانيها فائقه وألفاظها بالخضوع والخشوع ناطقه فيها من الترقيات ما تقشعر منه الجلود ويلين له الحديد والصخر الجلاود ويجري في طبائع الأبدان اليابسة جري الماء في العود وطلب في أثنائها مراحمة في أمر العثماني وابن الطبعان وحز ناصية عبوديتهما بمقراض الأعتاق والامتنان وأن يجعل العفو عنهما شكرا لقدره ويفيض عليهما من بحار مراحمه قطره وانهما أقل من أن ينسبا الى أسره اذ ملوك الارض تود لو كانت اطفالا تحت حجره ورأيه الشريف أعلى وامتثال ما يبديه من المراسيم أولى فلما اطلع تيمور على فحواه وفهم ما أبداه وما انهاه وشاهد تحفه وهداياه وتفكر في أول أمره ما ألجمه من الخدم وما أسداه والخير له تأثير والبادي اكرم والشركاء تقصير والبادي أظلم قلت شعر

ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسنا * ولا تخش من سوء اذا أنت لا تسئ

(وقيل شعر)

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

لان قلبه وان كان حديدا فقد هان صعبه الذي لم يزل شديدا فدعاهما وأكرم مثواهما واحسن اليهما وذكر لهما شفاعة علاء الدين فيهما ثم ألبسهما اللباس وأعطاهما ثلاثة افراس للعثماني اثنان وواحدة لعمر بن الطبعان ثم أضاف اليهما من بلغهما المأمن فوصل كل منهما الى دار عزته وحل ذاك في صفده وهذا في غزته

﴿فصل﴾ ولما انحزت ورأى أخذ القلعه عجز أمره ورام الرجعه وقد استخرج منها ما أراد من نفائس وأموال بأنواع العقاب وأصناف العذاب والنكال

﴿ذكر معنى كتاب أرسل اليه على يد يسق بعد ما فروا من بين يديه﴾

وقيل ان السلطان لما هرب أرسل اليه كتابا أثار منه الغضب فمن معناه وفحوى ما عناه لاتحسب انا عجزنا منك وقررنا عنك وانما بعض عساكرنا قوى أنفاسه وأخرج عن ربقة الطاعة راسه وتصورات كل من خرج عرج ولم يعتبر بمن رام الارتقاء سلما فدرج وأراد بذلك مثلك القاء الفساد وهلاك العباد والبلاد وهيهات فان دون مرامه خرط القتاد والكريم اذا بدا بجسمه مرضان داوى الاخطر ورأيناك أنت أهون الخطبين وأحقر فثنى عزمنا الشريف عنانه ليعرك من ذلك القليل الادب آذانه ويقيم فى نظم طاعته ميزانه وأيم الله لنكرن عليك كرة الاسد الغضبان ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد الاضغان ولنحصدنكم حصد الهشيم ولندوسنكم دوس الحطيم فلنلفظنكم رحى الحرب فى كل طريق لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق ولنضيقن عليكم سبل الخلاص فلتنادن ولات حين مناص ونحو هذه الترهات ومثل هذه الخرافات التى هى كالملح على الجروح وكالريح عند خروج الروح ولو كان بدل هذا الكلام الذى لاطائل فيه والخطاب الهذيان الذى تمجه الآذان ترجمه ما يستميل خاطره ويطفئ من لهيب غضبه نائره مع شئ من الهدايا والتقادم وابرازقضاياهم فى صورة المعتذر النادم ربما كان كسر من غيظه أو خمد من حدته وبرد من قيظه وانما فعلوا تلك المعذره بعد حريق دمشق وخراب البصره وأرسلوا الخدم والهدايا مصحبة النعام والزرافات وقد أعجز التدارك وفات وصاروا كما قيل شعر

ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله * فى النائبات ولكن بعد ما افتضحا

وكما قيل مصراع * وجادت بوصل حين لاينفع الوصل *

﴿فصل﴾ ذكر يسق هذا قال لما مثلت بين يديه وأديت الرسالة اليه وقرئ الكتاب عليه قال لى قل الحق ما اسمك قلت يسق قال ما مدلول هذا اللفظ المزرى قلت له يا مولانا لا أدرى فقال أنت لا تعرف مدلول اسمك يا ثعاله

فكيف

فكيف تصلح لحمل الرساله ولولا ان عادة الملوك أن لا يهيجوا الرسل وقد مهدوا على ذلك القواعد وسلكوا السبيل وأنا أولى من يتبع آثار السلاطين ويحيي سنن الملوك الماضين لفعلت معك ما يجب فعله ولا وصلتك ما أنت أهله وبعد هذا فلا عتب عليك وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك ولا حرج عليه أيضا لان ذلك مبلغ علمه ومدرك عقله وفهمه وقد ظهر بعقله الوبيل نتيجة ماقيل

تخير اذا ما كنت فى الامر مرسلا * فبلغ آراء الرجال رسولها

ثم قال لى توجه الى قلعتكم ومكان عزتكم ومنعتكم فذهبت فوجدتها قد دكت دكا وسيم حرامها وحريمها خسفا وهتكا ثم أتيته وذكرت له ما رايته فقال ان مرسلك أقل من أن أجاوبه وأذل من أن أراسله ولكن قل له انى واصل اليه عقبك وها أنا منشب مخاليب اسودى بذنبك فليشمر للقرار أو للفرار الذيل وليعد لأيامه ما اختار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل ثم أمر بى فأخرجت وما صدقت ان تصوبت الى جهة مصر ودرجت

﴿فصل﴾ وحين ملأ جرابه طمعه من نفائس الاموال ودنه واستدر خلفاتها اشياء قشيا أصافيا رنقا حتى صفاها بفطنه أمر بتعذيب هؤلاء الامراء الكبار فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكاس وكووهم بالنار واستخرجوا جنا الاموال منهم استخراج الزيت بالمعصار ثم أطلق عنان الاذن لعساكره بالنهب العام والسبي الطام والفتك والقتل والاحراق والتقييد بالاسر على الاطلاق فهجمت أولئك الكفرة الفجرة على ذلك أشد الهجوم وانقضوا على الناس بالتعذيب والتتريب والتخريب انقضاض النجوم واهتزوا وربوا وفتكوا وسبوا وصالوا على المسلمين وأهل الذمم صولة الذئاب الضوارى على ضوانى الغنم وفعلوا ما لا يليق فعله ولا يجمل ذكره ونقله وأسروا المخدرات وكشفوا غطاء المستترات واستنزلوا شموس الخدور من أفلاك القصور وبدور الجمال من سماء الدلال وعذبوا الكبار والأصاغر بأنواع العذاب وبدا للخلائق ما لم يكن فى الحساب واستخلصوا باصلاء النار جواهر الناس منهم خلاصات الذهب وصنفوا فى استخراج النفائس من النفوس بأصناف العذاب مسائل يقضى منها العجب وفرقوا بين الوالدة وولدها والروح وجسدها وذهلت كل مرضعة عما أرضعت

وجاز واحد كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت وفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه وذل العزيز والكريم وهان الخطير والجسيم وطم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم وتبلدت الفهوم وتراكمت غير الغموم فأقسم بالله لقد كانت تلك الأيام علامة من علامات يوم القيام وأسفرت تلك الساعة عن أشراط الساعة واستمر هذا النهب العام نحوا من ثلاثة أيام

﴿ذكر القائهم النار في البلد لمحو الآثار﴾

ثم انهم لما أتموا العيث والعبث وقضوا في جهة فسادهم التفث وأتموا بالفسق والجدال والرفث وطافوا وسعوا في المنكرات ورموا في البيوت النار وفي القلوب الجمرات وأفاضوا ما أراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاحصار ورملوا في أشواط الاحراق فأرسلوا في حرم المدينة شواظا من نار وكان فيهم من روافض الخراسانية فأطلقوا النار في جامع بني أمية فتشبثت النار بلهيبها وساعدت الريح بهبوبها وتسارقا في محو الآثار ريحا ونارا واستمر على ذلك باذن الله تعالى ليلا ونهارا فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس وأعمى بلسان النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس وأمست تلك المغاني لا تسمع فيها الا غمغمة ولا الهمس وأصبحت حصيدا كأن لم تغن بالأمس وذلك بعد أن أظهروا ما أخذوا من أموال وأوسقوا منه الاحمال

﴿اقلاع هاتيك الرزايا واقشاع غمام تلك الدواهي والبلايا عن بلاد الشام بما تحمله من أوزار وخطايا﴾

ثم ارتحل ذلك الفتان وأقلع صيب بلائه الهتان يوم السبت ثالث شعبان وقد أخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم وتحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل ويلقونه شيئا فشيئا في أوعار المراحل وذلك لكثرة الحمل وقلة الرواحل وأضحت القفار والبراري والجبال والصحاري من الامتعة والاقمشة كأنها أسواق الدهشة وكأن الارض فتحت خزائنها وأظهرت من المعادن والملابس كامنها وألقت بذيها شعر

وصار لسان شرهم ينادي * على قنن السواهق والبوادي

الاذى شنشنة عرفناها وعادة فساد الفناها ومن ملكاودينه اقترفناها نهبنا أموال المسلمين وحفظناها ومافي وجوهها صرفناها ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها ومع ذلك فلو أخذ من نفائس دمشق أضعاف ما أخذ وفاذ من أكياد ذخائرها الآلاف ما فاذ ما فاض ذلك مافي عينها ولا نقص من بحارهعينها ولكن النار كانت هي البلاء الداهي والمصاب المتناهي لانها أحرقت غالب من كان داخل البلد لعدم الغوث فظنك بما يكون من العمار والاقمشة والاثاث وضربت الكلاب بأكل لحوم من مات داخل البلد فما صار يجسر على العبور الى جامع بني أمية أحد

﴿ذكر ما جرى في مصر وسائر الاقطار عند سماعهم هذه الاخبار واستيقانهم هذه الاهوال والاخطار﴾

فأما مصر فدونها من البلاد فانها تخبطت وانحلت قواها وأيديها ارتبطت وعدمت القرار واستعدت للفرار فلو رأيت الناس وهم حيارى سكارى وماهم بسكارى أبدانهم راجفة وقلوبهم واجفة وأصواتهم خافتة وأبصارهم باهتة وشفاههم يابسة وصورهم بائسة ووجوههم باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة وقد استوفز كل أهل الامصار وسكان الانجاد والاغوار وقد أصاخ لما يرد عليه من جلي الاخبار فيبني على ذلك ما يكون من متعلقات الحركة والسكون فأخذ تيمور على طريقته العوجا ورجع على سبيل بغيه التي اتخذها شرعة ومنهاجا وقد سدت عساكره الآفاق والاكناف وعمت هيبته الارجاء والاطراف

﴿ذكر من اصيب من سهام القضاء بالرشق ووقع في مخالب أسره من أعيان دمشق﴾

وأخذ من أعيان الشام ومشاهير الاعلام قاضي القضاة محيي الدين بن العز الحنفي بعد أن عاقبوه بأنواع العقاب وكووه وسقوه الماء والملح وبالكلس والنار شووه وولد قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس فوصلا الى تبريز ومكثا مدة في شدة وباس ثم رجعا الى الشام وأخذ أمرهما في الانتظام وقاضي القضاة

شمس الدين النابلسي الحنبلي وقاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي فتوفي
الى رحمة الله الوهاب غريقا في نهر الزاب وشهاب الدين أحمد بن الشهيد المعتبر
وكان متحملا أوزار الوزر بعد أن راموا عذابه وطلبوا عقابه وكان قد بحثر
متعلقيه الى الاماكن البعيده وأقام هو في دمشق جريده فذكر لهم حكايته
وبذل لهم في دفع موجوده طاقته فأخذوا ما أخفاه خفية ولم يعذبوه واسكنهم بالاهبة
والقلة استصحبوه فوصل الى سمرقند وقاسى بها من صروف الزمن أنواعا من
غربة وفقر ومحن ثم رجع الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى ومن الامراء
الخاص الامير الكبير بتخاص وكان مقيدا معه ومات عند وصوله الى الفرات
فأما القاضي ناصر الدين بن أبي الطيب فانهم عاقبوه بكل بليه وكان رقيق البدن
لطيف المزاج سوداويه فما كان عنده لذلك ثبات فأعجزهم عما يرومون منه
بالموت وفات فمات واستراح وشرب من الشهادة كأس مدام جاءه وراح
فدفنوه عشيه بالمدرسة الكروسيه ولما شرع في النهب العام المبرح استشهد
قاضي القضاة تقي الدين بن مفلح وبرهان الدين بن القوشة ضعف سبعة عشر
يوما وانقطع في حارة تل الجبن ولحق بالاموات قوما وكانوا قد حرجوا على الاحياء
والاموات وخافوا أن لا يكون لاحد منهم من أيديهم بحجة الوفاة فوات فضبطوا
بيوت المدينة بيتا بيتا وحرجوا أن لا يخرج الاحياء ولا يجوز الموتى فلما مات
المذكور تعسرت الامور فتحيروا في تجهيزه وتقلبوا في أمره وتجهيزه ثم بعد
جهد بالغ وسعي كثير دفنوه في الصالحية بعد اخراجه من الباب الصغير وخرج
مع تيمور بالاختيار من الشام عبد الملك بن التكريتي فولاه نيابة سيرام فمكث
فيها القليل من الايام وهي وراء سيحون وشخص آخر يدعى يلبغا المجنون وكان
مقربا عنده وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده وأخبره على ما تميل بعداوة
مخاصه بذلك من المهالك والمهاوي وحصل له بذلك قربه وزيادة ملازمة وصحبه
فولاه ذلك الجساس نيابة مدينة تدعى ينكي تلاس وراء نهر خجند نحو خمسة
عشر يوما عن سمرقند بينها وبين سيرام نحو من أربعة أيام وكان اسم ذلك الخؤون
أحمد فلقب بيلبغا المجنون وأخذ من دمشق أرباب الفضل وأهل الصنائع وكل
ماهر في فن من الفنون بارع من النساجين والخياطين والحجارين والنجارين

والاقباعية والمباطرة والحجبة والنقاشين والقواسين والبازداريه وفى الجملة أهل أى فن كان وجمع كما ذكر السودان وفرق هؤلاء الطوائف على رؤس الجند وأمرهم أن يوصلوهم الى سمرقند وأخذ جمال الدين رئيس الطب وشهاب الدين أحمد الزردكاش وكان فى القلعة كما ذكروا بادمن عسكره خلقا لا يحصون ولا يحصرون كثرة ولا يستقصون وكان فى حدود التسعين وقد احدودب فلما رآه قابله بالسخط والغضب وقال له انك أفنيت صاغيتي وحصيت غاشيتي وقضيت حاشيتي فان قتلتك مرة واحدة لا يشفى غليلى ولا يبرد أغليلى ولكن أعذبك على كبر سنك وأزيدك كسرا على كسرك ووهنا على وهنك فقيده بقيد من فوق ركبتيه زنته سبعة أرطال ونصف رطل بالدمشقي وقصد بذلك التشديد عليه فلم يزل مقيدا مكبوب على قيده مخلدا أبدا حتى مات تيمور وارتفعت الشرور وخلص من القيد ذلك الأسور ثم توفى الى رحمة الله تعالى وربما يكون أخذ أناسا من الفضلاء والاعيان والسادات والنبلاء ممن لا أعرفه فكيف أصفه وكذلك كل أمير من أمرائه وزعيم من زعمائه أخذ من الفقهاء والعلماء وحفاظ القرآن والفضلاء وأهل الحرف والصناعات والعبيد والنساء والصبيان والبنات ما لا يسع الضبط ولا يحل الربط وكذلك كل من عسكره أخذ كبيرا وصغيرا واسره فى أسره لانه ما ثم حرج على من نهب شيأ وعزله وكل من سبقت يده الى شئ فهو له وهذا اذا أطلق عنان الاذن بالنهب العام تساوى فيه الخواص من عسكره والعوام ولو كان الناهب أسيرا فيهم أو دخيلا عليهم والسالب من غير طينتهم ولكن أبيح له ذلك المسار بسيرتهم وتخلق بشيمتهم وأطلق عليه حكمهم وأجرى عليه شكلهم فاما قبل الاذن فلم تعدى أحد على أحد وكان عند تيمور بمنزلة الوالد أو الولد أو استطال بمقدار حبه أو تلفظ بغارة أو نهبه فانه يهدر ماله ودمه ويهتك حرمته وحرمه ولا ينجيه استغفاره وندمه ولا يجديه أهله وخدمه ولا يقال لعالم زلت به قدمه وكانت هذه قاعدة لا تخرم وبنية لا تهدم

﴿ذكر ما أباد بعده الجراد﴾

ولما فرغ من مستغلات أموال دمشق الحصاد وقارب الرحيل عنها أعقبه لقاط

الجراد وسار بسيره حتى بلغ ماردين وبغداد فأعرى كل شجرا ومردا وجرد ما على وجه الارض جردا فوصل الى حمص وما بها ولخالد كاد كروها ولكن ثم بوا اقراها وهدموا اقواها ثم الى حماة فنهبوا انفاسها واستخرجوا امكانها وأسروا عرائسها واستملكوا كائنها وفي سابع عشر شعبان أنصب الى الجبول ذلك الطوفان وارسل الى حلب وأخذ من قلعتها ما استودعها ثم الى الفرات وعبرها بالمراكب وغيرها فقطعها ثم الى الرها فنهبها واستحلبت درها ثم أرسل ذلك الغادر رسوله الى ماردين يستدعى الملك الظاهر وديباجة كتابه الذل على ما نقل

شعر سلام عليكم والعهود بحالها * لقد بلغ الاشواق منا كمالها

فأبى أن ينزل اليه ولا استمع كلامه ولا التفت اليه فانه كان آذاه كاذ كرأول مرة فما احتاج الى تجربته آخر كره فسلك معه السلامه وقال شطر بيت

* من جرب المجرب حلت به الندامه * ولكن أرسل اليه قاصدا من بعض الخدم يدعى الحاج محمد بن شاهملك ومعه التقادم والخدم واعتذر عن الحضور بعدة أمور وعنوان جوابه موافق لخطابه وهو شعر

فشوقى اليكم زائد الموصفه * ولكن تخاف النفس مما جرى لها

فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام واخذ يعنف نفسه بأنواع الملام كيف خلص من مخاليبه أول مرة بسلام

﴿ذكر وروده ماردين بالهيبة وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة﴾

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان واردين ماء ماردين فنزلوا دنيسر وغدوا للحصار قاصدين واذا بأهلها قد أخلوا المدينة وانتقلوا الى قلعتهم الحصينه

﴿صفة هذه القلعة﴾

وهذه القلعة عنقاء قلتها تكبران تصاد وعرنين عانسها أبى أن يدخل لخاطب تحت مقود انقياد لانها فى قلة من القلل على ظهر جبل لم يكن فرق بينه وبين تنة الافلاك الا ان تلك لا ثبات لها وهذا ثابت ليس به حراك بظهره وادبطنه أوسع من صدر الاحرار فيه جنات تجرى من تحتها الانهار وبه مطارح الزروع ومسارح المواشى والضروع وحدوده حروف لا تصل همم ذوى السكر الى ارجائها وحروف

يعجز قارئ التفكر عن تحديد هيئاتها وطريقه من القلعة أو على القلعة والقلعة في غاية المناعة والرفعة والمدينة مبنية حواليها متشبثة بذيلها تأكل من فضلات نعمها وتشرب من فائض سيلها فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون وفي السماء رزقهم وما يوعدون فأقام محاصرتها على مضائقها يسترشد الى طرق المضايقة وطرائقها ولم يكن حواليها مكان للقتال ولا لنصب المجانيق مجال فعوّل على نقبها بالمعاول والفؤس واستعان على ذلك بالمقال والروس وحاشا درز ذيل حشمتها وعصمتها ان يسام فتقا لانها وان كانت عذراء قد اعجزت الفحول لكونها رتقا فلا زالت المعاول تفل والمطاطيس تكل ومناقير الفؤس تتعقف وخصور المرازب كهيف القدود تتقصف قلت شعر

كأنه ولطم في نقب تربتها * منقار طير على صلد من الحجر
أو عذل ذي حد صبابه صمم * أو غمز عين معنى فاقد البصر

واستمر على اللدد والخصام الى العشرين من شهر رمضان ولم يحصل طائل ولم يظفر بمرام

ذكر تركه في المحاصرة العناد والمكابرة وتوجهه بمارديه ذوي الفساد من ماردين الى بغداد

ولما علم انه رمى منها بالداهية الدهيا وطلاب ما لا يستطاع عيا والمكابرة مع الحق خروج عن المنهج والبلاغة في غير مقامها عي لجلج ستر عيبه وابقى بعض الحرمة والهيبه وخرب المدينة واسوارها ومحا آثارها وهدم مبانيها وجوامعها ومنارها وقلع أساسها وأحجارها ثم انحدر الى بغداد بعساكر كالذر والفراش والجراد وجهز بعض الثقل الى سمرقند مع الله داد فوصلوا الى مدينة موز وليس بها ابيات مشاد ثم الى خلاط وعيد الجوز وهي بلاد الاكراد آهلة عامرة البنيان وأول ما هو جاري تحت حكمه من ولايات تبريز وآذربيجان فعيد الثقل بعيد الجوز عيد رمضان ثم دخلوا الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك خراسان وكان اذذاك وقد خرج فصل الشتا وفصل الربيع تزين وأتى وصفحات الرياض بأنامل صباغ القدرة تلونت وعروس الروض قد أخذت من صواغ الحكمة زخرفها

المدينه بعدان أخذما بها من أموال خزينه وأفقرأهلها وأقفرمنازلها وجعل عاليها سافلها وصارت بعدان كانت مدينة السلام دار السام وأسروامن بقى من ضعفة أهاليها فمزق وفرقتهم ايدى الزمان كل ممزق بعدان كانوا فى ظلال ودلال ومن مساكنهم فى جنتين عن يمين وشمال فاليوم عشش البوم والغراب فى أماكنهم وأصبحوا لاترى الامساكنهم وهذه المدينة هى أشهر من ان توصف وعرف عارفتها وعرفانها أذكى من ان يعرف وناهيك انها كاسمها مدينة السلام وانه على ماقيل لم يمت بها امام

﴿ذكر رجوع ذلك الطاغ واقامته فى قراباغ﴾

ثم الوى بتلك الاتراك التى يصح ان يقال لكل منها انه فى التركية طاغية طاغ وعزم يشتى فى مكان يصلح ان يكون فى الترك والعرب كصفاته وذاته قراباغ وامسى كالبازى المطل بل كالبوم المشوم مراقبا اطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم

﴿ذكر مراسلة ذلك المريد سلطان الروم أيلدريم بايزيد﴾

فراسل سلطانها ابايزيد المجاهد الغاز وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية والغاز وجعل السلطان أحمد وقرا يوسف سببا وذكر أنهما من سطوات سيوفه هربا وأنهما مادة الفساد وبوار البلاد ودمار العباد رسيخ الحول والادبار وكفرعون وهامان فى العلو والاستكبار وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقد صارعين معهما فى حمى ذراكم لاجئين وأنهما احلوحلت التعاسة والشوم وحاشا أن يكون مثلهما من المفلوكين تحت جناح صاحب الروم فاياكم أن تؤووهم بل أخرجوهم وخذوهم واحصروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم واياكم ومخالفة أمرنا فتحل عليكم دائرة قهرنا فقد سمعتم قضايا مخالفينا وآضرابهم ومنازلهم منا فى حرابهم وضرابهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فلاتكثروا بيننا وبينكم القيل والقال فضلا عن جدال وقتال فقد بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال وفى اثناء ذلك أنواع التهديد والتخويف وأصناف التهويل والاراجيف وكان ابن عثمان عنده ابن رقاعة وشجاعه ولم يكن عنده صبر وساعه مع أنه كان من الملوك العادلين وعنده تقوى وصلابة فى الدين وكان اذا تكلم وهو فى صدر مكان فلا

يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان وكان بواسطة عدله ساعده الزمان وقويت شوكته في المكان فاستصفى ممالك قرمان وقتل ملكها السلطان علاء الدين وأسر له عنده ولدان واستولى على ممالك منشا وصاروخان وهرب منه الى تيمور الامير يعقوب بن علي شاه حاكم ولايات كرمان وصفا له من حدود جبل بالقان من ممالك النصارى الى ممالك أرزنجان فلما وقف على كتابه وفهم فحوى خطابه نهض وربض وامتعض وارتعض ورفع صوته وخفض وكأنه تجرع نقوع الحضض ثم قال أو يخوفني بهذه الترهات ويستفزني بهذه الخزعبلات أو يحسب أنني مثل ملوك الاعجام أو تتار الدشت الاغتام أو في جمع الجنود كجيش الهنود أو جندي في الشقاق كجمع العراق أو ما عندي من غزاة الاسلام كعساكر الشام أو ان قفل الجمع كجندي أو ما يعلم ان أخباره عندي وكيف خذل الملوك وختر كيف تولى وكفر وما صدر عنه وعنهم وكيف كان كل وقت يستضعف طائفة منهم وأنا أفصل جمل هذه الامور وأكشف ما خزنه في الناموس وأما أول أمره فحرامي سفاك الدم هتاك الحرم نقاض العهود والذمم طرف منحرف عن الصواب في الخطا فصال وجال وسطا ثم طال واستطال واتسع له المجال وغفل عنه الرجال ومن حين نبغ استصبي حتى شاب الشيب بالعيب فأدرك ما أدرك وما بلغ فالتهبت فتيلته بعد أن كانت شراره وانتشرت فروع حبته فصارت غراره أما ملوك العجم فانه استنزلهم بدخله وختله ثم استقرهم بخيله ورجله وبادر الى قتلهم بعد أن أمكنتهم فرصة قتله وأما توقتاميش خان فان غالب عسكره خان ومن أين للتتار الطغام الضرب بالبتار الحسام وما لهم سوى رشق السهام بخلاف ضراغم الاروام وأما جنود الهنود فانه خذلهم في أمرهم ورد كيدهم في نحرهم فوهت أركانهم لاسيما وقد مات سلطانهم وأما عساكر الشام فأمرهم مشهور وما جرى عليهم فظاهر غير مستور ولما مات سلطانهم وتضعضعت أركانهم وانفض أمرهم وانقض وبغى بعضهم على بعض فقطعت منهم الرؤس الكبار ولم يبق فيهم الا الرؤس الصغار فبتر الزمان نظامهم وسام التبدد ملكهم وشامهم مع أنهم في الصور بيض وفي المعاني جمادى يرمون بواحدة وهي أنهم يبيتون جميعا ويقومون مثنى وفرادى لاجرم تفرقت أيادي سبا أحزاب تلك الزمر فاشتغل جيشه فيها

بالمحرم فباض لما خلا له الجو وصفر ولو كان بينهم اتفاق لفتروشتنا وبددوا شمله وبتوه بتنا ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ومع اتساق نظامهم وتسديد سهامهم وقوة نطاحهم وشدة كفاحهم وشدة رماحهم وكونهم مظهر الحاج وأسود الهياج أنى لهم نظام عساكرنا وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا وكم فرق بين من تكفل بأمر الحفاة العراة وبين من تحمل أمر الكماة الغزاة فان الحرب دأبنا والضرب طلابنا والجهاد صنعتنا وشريعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا ان قاتل أحد تكالبا على الدنيا فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا رجالنا باعوا أنفسهم وأموالهم من الله بان لهم الجنة وكم قرع باتهم في آذان الكفار من طنه ولسيوفهم في قلانس القوانس من رنه ولنون قسيهم في خياشيم بني الصليب من غنه لو سئناهم خوض البحار خاضوها أو كلفناهم افاضة دماء الكفار أفاضوها قد اطلعوا من صياصيهم على قلل قلاع الكفار وأخذوا عليها وأمسكوا بعنان أفراسهم فكلما سمعوا هيعة طاروا اليها لا يقولون لملكهم اذا غمرهم في البلاء والابتلا انا ها هنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا ومعنا من الغزاة مشاه افرس من فوارس الكماه اظفارهم باتره وأظفارهم ظافره كالاسود الكاسره والنمور الجاسره والذئاب الهاصره قلوبهم بوداد نا عامره لاتخامر بواطنهم علينا مخامره بل وجوههم في الحرب ناصره الى ربها ناظره وحاصل الامر ان كل اشغالنا وجل احوالنا وافعالنا حرب الكفار ولم لاسرى رضم الغنائم فنحن المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم وأنا أعلم أن هذا الكلام يهيئك الى بلادنا انبعاثا فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثا وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم أقاتلك البته فزوجاتي اذاك طوالق ثلاثا بته ثم انهى خطابه ورد على هذا الطريق جوابه فلما وقف تيمور على جوابه القلق قال ابن عثمان مجنون حمق لانه أطال وأساء وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء لأن ذكر النساء عندهم من العيوب وأكبر الذنوب حتى أنهم لا يلفظون بلفظ امرأة ولا بأنثى وعادتهم يعبرون عن كل أنثى بلفظ آخر ويحثون على الاحتراز عنه حثا ولو ولد لاحدهم بنت يقولون ولدله مخدره أو من ربات الحجال أو مستوره أو نحو ذلك

﴿ذكر طيران ذلك البوم وقصده خراب ممالك الروم﴾

فوجد تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل وطلب الرفيق والطريق ورام الدليل وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت وانبثوا على وجه الارض فاذا الكواكب انتثرت وماج فاذا الجبال سيرت وهاج فاذا القبور بعثرت وسار فزلزلت الارض زلزالها ومار فاظهرت القيامة اهوالها وأرسل الى ولى عهده ووصيه من بعده حفيده محمد سلطان بن جهانكير أن يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف الدين الامير وركب الى الروم الطريق وساعده الاتفاق لا التوفيق وجرى بذلك البحر المطرخم والليل المدلهم فدار وداخ وعلى قلعة كماخ أناخ فاذا هى فى الوثاقة كيقين موحد وفى الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد لا يقطع خندق مناعتها سهم وهم ولا يهتدى الى طريق التوصل اليها ثاقب فهم مؤسس أركان هضابها معمار القدره ومهندس بنيان قبابها اجبار الفطره ليست بالعالية الشاهقه ولا بالقصيرة اللاصقه غير انها فى مناعتها وحصانتها فائقه من احدى جهاتها نهر الفرات يقبل اقدامها ومن الجهة الاخرى واد متسع يحفظ اعلامها لا يمكن للاقدام فيه الثبات وهو مسيل ما يصب فى نهر الفرات ومن الجهتين الاخريين هضاب يتلو لسان البصيرة عند وقوع البصر عليها ان هذا الشئ عجاب فأخذها من غير كلفه ولا حرمها من غير طواف بها ولا وقفه وذلك بعد ان قدم محمد سلطان عليه ووكل امر حصارها وقتالها اليه وسبب ذلك ان الوادى الذى وراءها كان يرد بالخيبة لوعورته من جاءها لكونه مزلة الاقدام واسع الافهام بعيد مهوى المرام لا ينال لسان السهم له عرض عرض ولا يثبت له تحت قدم غواص البصر قرار أرض فبمجرد ما وقع نظره عليها نظر بعين الفراسة اليها ثم أمر بقطع الاخشاب ونقل الاحطاب فلم يكن الا كلمح البصر حتى هدموا البيوت وقطعوا الشجر ونقلوا جميع ذلك الخشب والاعواد وطرحوها فى قعر ذلك الواد فساووا به الأرض وملأوا طوله والعرض وحين شعر أهل القلعة بهذه الفعال ألقوا النار والبارود على تلك الأخشاب فأخذت فى الاشتعال وأما أساس القلعة فلا ينال لانه راكب على قلل الجبال فلم يبعد ذلك من أمره ولم يشرد من فكره بل أمر فى الحال كل واحد من الرجال ان يأتى من تلك القفار بعدل من الاحجار فانبثوا كالنمل والجراد فى تلك الهضاب والاطواد والبرارى والوهاد وجابوا

الصخر بالواد ففى الحال ملؤا تلك الداره من الحصباه والحجاره ثم أمر أن يفعل بتلك الحجاره فى ذلك المهوى البعيد ما يفعل بهم فى جهنم يوم يقال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد فالقوا فى ذلك الوادى بعض ما ملوه من أكداس تلك الحجارة فطموه وبقى فى بيادر ذلك الحجر أضعاف مارمى من البصر ولما امتلأ الوادى من الاحجار مشوا عليها وقربوا من الاسوار ونصبوا السلالم وتسلقوا وبناصية مرامها تعلقوا فأفلم أهل القلعة عن الكلام وطلبوا الامان وقالوا ادخلوها بسلام وكان هذا الحصار والتلجئه فى شوال سنة أربع وثمانمائة ولما استقر فيها أمر بتلك الأحجار أن تنقل من واديها ففى الحال سفوها وفى مكان أخذوها منه ردوها ثم ولى بها شخصا يدعى الشمس وولى عنها كأن لم يكن بالامس وهذه القلعة نحو من نصف يوم من أرزنجان ومن القلاع المشهورة فى الدنيا بالمناعة والعصيان فلاجرم حين استولى عليها وأفضى بصارمه الذكر اليها وفتحها قهرا ومنحها جبرا أبرد بهذا المغنم البارد الى كل صادر فى ممالكه ووارد بكتب ترجم فيها من الاخبار كل سانح بشارد وعنوان هذه الترجمه بلفظها من غير ترجمه شعر

بحد سيوف داميات لدى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ

وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه وكيف رد جوابه الحق عليه ومن جملته بعض ترجمته انا ما جفوناه ولا تعدينا عليه ولكن رققنا له القول وتلطفنا اليه وقلنا له يخرج من قروح ممالكه مادة الفساد وهى أحمد الجلايرى وقرا يوسف التركمانى اللذان أخربا البلاد وأهلكا العباد والرضا بالمعصية معصية والاقرار على الكفر كفر والفاسق المحروم البائس شر من الفاجر الظلوم اللابس فصارا فى الفساد وزيريه وهو الامير وفى العناد صغيرين وهو الكبير وشراه على ذلك واليه فلبئس المولى ولبئس العشير فأفسداه وما انصلحا وخسراه وماربحا فكانه عنى شأنهم من أظهر قوطهم وشأنهم بقوله شعر

ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة * اليها ولكن الصحيحة تجرب

ولم يزل على طريقته العوجا فأشبه لما أجارهم مجير أم عامر العرجا فنبهناه فما انتهى ونهيناه فما ارعوى وأريناه العبر فى غيره فما اعتبر وناداه لسان انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر وكنا وضعنا اسمه مع اسمنا على مادة حشمتنا

وادبنا فى المراسلات ورسمنا فتعدى طوره وأبدى جوره وكان فى بعض مراسلاته ومواضعه فى مكاتباته كتب اسمه تحت اسم طورتن وهذا هو الواجب عليه والحسن ولا شك ان طورتن بالنسبة الينا كبعض خدمنا وأقل حشمنا ثم انه أعنى بايزيد لما طالع كتابنا ورد جوابنا وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب وهذا لما فيه من كثرة الحماقة وقلة الادب ثم ذكر أنه توجه يروم استخلاص ممالك الروم وتشدق فى هذا الكتاب وتفيهق فى هذا الخطاب فهو أحد دساتير الكتاب والاساطير المستعان بها فى الخطاب والجواب

﴿ذكر ما عزم ابن عثمان عليه عند انصباب ذلك الطوفان اليه﴾

فلما بلغ ابن عثمان ما قصده وأنه جعل طالعه فى سماء الحرب رصده توجه لقتاله واستعد لاستقباله وكان على مدينة استنبول محاصرا آغها وكفارها وقد قارب أن يفتحها وتضع الحرب عنها أوزارها وأن جنده كان عنده ولكن أمر بطارقة الغزاة والشواهين من كواسر جيشه والبزاة وسراة السرايا وكرام كرمان وأجلاس خيل السواحل وقروم قرمان وأجناد ولايات منشا وأساورة صاروخان وجميع أمراء التومانات والصناجق واصحاب الرايات ورؤس الفيالق ونواب جميع الثغور والامكنة مما هو جار تحت تختى بروسا وأدرنه وكل من دبج البحر الاخضر من بنى الاصفر عن رايته البيضاء بالدم الاحمر وفلق سويدا كل عدو أزرق بسهامه السود على جواده الابلق ان يعلموا مصلحتهم ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم واستعان فى ذلك بكل بطريق وعلج مارجى داخل فى أمان المسلمين على قتال كل باغ وخارجى واستدعى التتار وهم قوم ذو عين ويسار ناس سوادج لهم مواش نواتج ملأوا الاقطار بمواشيهم وعلوا الشواهق والبوادى برؤسهم وحواشيهم ربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل ما منها واحد جمل ومثل ذلك افراس ما اسرج لها ظهور ولا ألجم راس وأما الغنم والبقر فلا يحصى عددها ولا يحصر وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر لهم فى ممالك الروم وقرمان الى ضواحى سيواس مشتات ومصائف وللملوك والسلاطين عليهم اعتماد كامل فى أنواع المبرات وظائف لو قصدهم فقير او غريب أو طالب علم أو أديب جمعوا له من الغنم والبقر والصوف والشعر والسمن والاقط والوبر ما يكفيه

وذويه الى آخر العمر وكانوا يسمون لكثرتهم ومامعهم من الامم ثمانية عشر ألف عالم فلبى كل من صدى هؤلاء الجبال مدى صوته بالاجابه وبادر الى امتثال أوامره بالاطاعة والانابه وانبعث اليه التتار بقضهم وقضيضهم بعثا وقثت اليه أطوادعساكرها وبحار جنودها قثا وحث على ملاقاة تيمور عساكر الغزاة والمجاهدين حثا

﴿ذكر مافعله ذلك الخداع المكار وغمه فى تخذيله عن ابن عثمان جنود التتار﴾

وتلبث تيمور فى أمره واستورى زناد فكره فأورى زناده ناره ان يخذل عن ابن عثمان تتاره فأرسل الى زعمائهم والكبار من امرائهم وروسائهم وأميرهم يدعى بالقاضل وكان فى المكرمات من الافاضل غير انه مامارس الايام ولا اطلع على مكائد اللئام ان حسبكم حسبى ونسبكم متصل بنسبى وان بلادنا بلادكم وأجدادنا أجدادكم فكانا فروع نبعه وأغصان دوحه وان آباءنا من قديم العصر وغابر الدهر تشارفى عش متوحد ودرجوا فى وكر غير متعدد فأنتم فى الحقيقة شعبة من شعبى وغصن من أغصانى وجارحة من جوارحى زخالصتى وخلانى وانتم لى شعار وباقى الناس دثار وان كان الناس ملوكا بالاكتساب فانتم ملوك بالانتساب وان آباءكم من قديم الزمان كانوا ملوك ممالك توران فانتقل منهم طائفة من غير اختيار الى هذه الديار فاستوطنوها وهم على ماهم عليه من الكرامه وشعار السلطنة وأسباب الزعامه ولم يزالوا على هذا النشاط والعزه الى آن اندرجوا الى رحمة الله تعالى وهم على هذه العزه وكان المرحوم ارتنا آخر ملوككم وأكبر مالك فى بلاد الروم أصغر مماليككم وليس بحمد الله فى شوكتكم قله ولا فى كثرتكم قله فانى رضيتم لانفسكم بهذه الذله وان تصيروا مسخرين كانكم من المسحرين وبعد ان كنتم أكابر مكبرين كيف صرتم أصاغر مصغرين ولستم بدار هوان ولا مضيعه وأرض الله واسعه ولم صرتم مرقوقى رجل من أولاد معتوقى على السلجوقى ولا أدرى ما العلة لهذا والسبب ومن أين هذا الاخاء والنسب سوى عدم الاتفاق وانتفاء الاتساق وعلى كل حال فأنا أولى بكم واحق بعمل مصالحكم وتمشية أسبابكم وان كان لابد من استيذانكم هذه التخوم وبيع تلك البلاد

الفسيحة عضائق ممالك الروم فلا أقل من ان تكونوا كاسلافكم حكامها مالكي نواصي صياصيها راقين سنامها باسطي أياديكم فيها قابضين زمامها وهذا المهم انما يتم اذا كفيناهذه المنازله وقضينا الارب من هذه المناصله وتمهد لنا الميدان وارتفع من البين ابن عثمان فاذا خلا الجو من المنازع وصفت لي في هذه البلاد المشارع وظفرت بهذه الممالك وسلكت فيها الطرق والمسالك أعطيت القوس باريها وأنزلت الدار بانيها ووردت المياه الى مجاريها وجعلتكم ملوك قراها وصياصيها ومدنها وضواحيها وقررت كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها وان رأيتم أن لاتميلوا علينا وأمكنكم أن تنحازوا الينا فاغتنموا فرصتكم وخذوا من اتم ازها حصتكم فانكم قريبون منا صورة ومعنى وأما الآن فكونوا بظاهركم مع ابن عثمان وبباطنكم معنا حتى اذا التقينا امتازوا والى عساكرنا انحازوا ولا زال يخل كلامه منثوراعلي جرجرهم ولا يجفر من خرفابتمريهان تزرى فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر فانصاف دردور افكارهم ليردها عن ان تتبع ابن عثمان وتنفر كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر حتى خابهم هذا المقال واستخفهم في معنى ماقال واستهواهم حب الرياسة الذى طالما استرق أحرار الصديقين واستعبد كبار الاولياء والصالحين وكبكب في النار على الرؤس رؤس العلماء العاملين فوافقوه على الانخزال عند الموافقة للنزال

﴿ذكر ماصنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل وتوجهه الى ملاقاة تيمور بعسكره الثقيل﴾

فأما ابن عثمان فانه خاف منه الهجوم على بلاد الروم لان الزروع كانت قد استحصدت وصدور الفواكه والثمار قد استنهدت وخضروات الارض قد اسودت والرعايا في ظل الامن والرفاهية قد امتدت فخشي ابن عثمان أن يصيب العباد منه ضرر أو يتطاير الى قبائل بلاده من لهيب ناره شرر فبادر الى ملاقاته وساقته سوائق المنون الى شرب كأسها في مساقاته وأراد أن يكون مصطدم الناس خارج بلاده على ضواحي سيواس فأجرى من عساكره السيول الغامره وأخذهم على قفار غامره حذرا على رعاياه من مواطئ مطاياه فانه كان على الضعيف من

رعيته شفيقا وبالفقير من حشمه وخدمه رفيقا يحكى انه كان فى بعض مغازيه فعطش بعض حواشيه فأتى فى قرية بعض النساء فطلب منها شربة ماء وكانت أشأم من البسوس يضرب بها المثل فى اللؤم والبوس فقالت ما عندى ما تشرب فخذ طريقك ولا تتعب وكان العطش قد غلبه ورأى عندها فى بعض القعب شربة لبن فشربه فقالت هذا قوت الصبيان واشتكت عليه لابن عثمان فطلبه واستفسره فخاف شدة نقمته فأنكره فقال للمرأة انا نبعج بطنه وأتبين صدقه وكذبه فان ظهر فى بطنه اللبن أعطيتك الثمن وان بنت بالصدق قوله جعلتك مثلة مثله فقالت والله انه شربه وما فهت فى حقه بكذبه ولكنى فرجت كربته وأبرأت ذمته فقال لابد من اجراء العدل وانهاء هذه الحكومة بالفصل ثم دعا بالسيف ووسطه وأجرى على بطنه ما شرطه فانفجر بطنه وهو منعفر وجرى اللبن وهو بدمه متقذر فاشهره فى الوثاق ونادى عليه هذا جزاء من يتناول فى دولة الملك العادل ابن عثمان شيأ بغير استحقاق ثم ان ابن عثمان تابع الترحال وسلك فى رمضان السفر صوم الوصال

﴿ذكر ما فعله ذلك الساقطه مع ابن عثمان وعسكره من المغالطه﴾

ولما بلغ تيمور ان ابن عثمان أخذ على الطريق الغامره نبذه نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم وأخذ على الجادة العامره فدخل هو وعسكره على ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون ولسان حالهم الفصيح ينشد فى الآفاق ويصيح شعر

واست أبالى بعد ادراكى العلى ۞ أكان تراثا ما تناولت أم كسبا

فلم يزل الواقى مراح وزروع ومراع وضروع بين سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وهواء بالراحة مصبوب ونعيم بالسلامة مصحوب فى أمن ودعه وخصب وسعه آمنا من الوجل سائرا على غير عجل مستيقنا بالنصر والظفر مستبشرا بالملك والوزر مستتبعا لتدبير القضاء والقدر لا تبرد حرارة حميته التسخين عين عدوه واحراز لمغنم البارد فتره ولا فى اكابل كواكب عساكره المنتظمة نثره ولا بين أسود جيشه مكاثرة ولا نفره ولا فى قراهم الاعادى اللهذميات على موائد طعام طعانهم جبن ولا كسره فلم يفق ابن عثمان من رقاده

الاوتيمورقدمر على بلاده فقامت عليه القيامه وأكل يديه حسرة وندامه وزار وزفا والتهب حنقا وكاد ان يموت خنقا وسلب القرار والهجوع وعزم فى الحال على الرجوع فتلاطمت من بحر عساكره أمواجه وتصادمت أثباج أطواده وابراجه فرجع عوده على بدئه وأغرى بوصال السير وخبثه فنهكهم السير بسرعته والمكان بقفرته والزمان بحيره والسلطان بزئيره فلم يدركوه الا وقد ذاب كل منهم وصبا وبلسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

(فصــل) وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقره وخيله ورجله مستريحة موقره للقتال منتظره وللنزال متشمره بل لم يكونوا به مكترثين ولا به محتفلين وقد سبقوا كصناديد قريش الى الماء وتركوا عساكره كساى بدر فى جانب الظماء فهلكوا كربا وأواما وذابوا عطشا بلاما وكأنه الى ذلك المنزل هو أرشدهم وبلسان حاله أنشدهم شعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وانقرة هذه هى التى ذكرها الاسود بن يعفر فى قصيدته الطنانة وهى شعر

نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد

فاذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصـــير الى بلى ونفاد

فلما تدانت الجيوش من الجيوش وضربت الوحوش على الوحوش وامتلأت منهم الصحارى والقفار وتقابلت اليسار باليمين واليمين باليسار اندفعت من عساكر ابن عثمان التتار واتصلت بعسكر تيمور كما رسم أولا وأشار وكانوا هم صلب العسكر والاوفر من عساكر ابن عثمان والاكثر حتى قيل ان جماعة التتار كانوا نحوا من ثلثى ذلك العسكر الجرار بل قيل ان ذلك الجمهور كان نحوا من ثلثى جند تيمور وكان مع ابن عثمان من أولاده أكبرهم أمير سليمان فلما رأى ما فعلته التتار علم انه حل بابيه البوار فأخذ باقى العسكر وتقهقر عن ميدان المصاف وتأخر وترك اباه فى شدة الباسا وانخزل بمن معه الى جهة برصا فلم يبق مع ابن عثمان الا المشاة ومن داناهم وبعض من السكان وقليل ما هم فثبت للمجادلة بمن معه من الرفاق وخاف ان فران يقع عليه الطلاق وكانه فى تلك المعركة والمعكرة كان متمثلا بما قاله عنتره

شعر ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تسفك فى دمى

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فصبر لحادث الدهر وما أزم وأراد ان يقضى على مذهب الامام مالك بما به الجزم فأحاطت به اساورة الجنود احاطة الاساور بالزنود وحين تيقنت الاسرة العثمانية بالكسره وعلمت انها تورطت فى جيش العسره وثبت المشاة على الكماة واستعملت الاطيار وكل صارم بتار وكانوا فى ذلك المصاف نحوا من خمسة آلاف فبددوا انداد هم وابادوا اعدادهم ولكن كانوا كساف الرمال بالمكربال أو كنقل البحار بالغربال أو كحزر اوزان الجبال بقراريط المثقال فامطروا على قلل أواشك الاطواد وحقول ذوات تلك الاسود من غمام القتام صواعق ديم المدميات وأمطار السهام السود ونادى بحرش القدر وصياد القضاء الكلاب على البقر فلم يزالوا بين قيذ ووقيذ ومضروب بحكم مهم ماض فى القضاء نافذ حتى صاروا كالشياهم والقنافذ واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى العصر وانتقلت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر ثم لما كلت منهم السواعد وفل المواصر والمساعد وتحكم فيهم الاباعد والباعد دقوهم بالسيوف والرماح وملأوا بدماتهم الغدران وباشلائهم البطاح ووقع ابن عثمان فى قنص وصار مقيدا كالطير فى القفص وكانت هذه المعركة على نحو ميل من مدينة أنقره يوم الاربعاء سابع عشرين ذى الحجه سنة أربع وثمانمائة هجريه وقد قتل غالب العسكر العطش والضمور لانه كان ثامن عشرى تموز

(فصل) ووصل أمير سليمان الى بروسا معقل ابن عثمان فاحتاط على ماقيها من الخزائن بالاموال والحريم والاولاد ونفائس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى برادرنه وراء البحر المحيط بكثير من الامكنه المنشعب فى بحر مصر الآخذ بعد مايتدربس الى بلاد الدشت والكرج الفاصل بينه وبين بحر القلزم جبل الجركس

(ذكر ماوقع من الخباط بعد وقعة ابن عثمان فى كل ثغر ورباط)

ولما حصل لرأس مملكة الروم هذه الوعكه وانذعكت أجسام عسكرها الجسام أقوى دعكه واخنى عليهم الجند المشؤم ونعق فى صباحها غراب البين وزعق فى رواحها

اليوم وتلا فى محراب انسها على جماعتها امام القضاء والقدر الم غلبت الروم خضعت
رؤسها ونواصيها وتزلزلت حصونها وصياصيها وتزعزع دانيها وقاصيها وانبهر
طائعها وعاصيها خفاء واحيصة الجر وأيسوا من الاهل والاوطان والمال والعمر
اذ قد ذهب منهم الرأس ولم يبق فيهم من يقيم الباس فلما سمعوا ان أمير سليمان ضم
الناس الى بحره وعزم على العبور الى برادره بقطع بحره مالت بهم الاودية والشعاب
اليه وعولوا فى خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه فصالح أهل استنبول وواداهم
وعاهدهم على أن لا يغدر كل منهم بالآخر ومدهم ثم قصدهم أن يعينوه على الوصول
بقطع البحر من ثغرى كاليبولى واستنبول اذ ليس لهذين البحرين من هذين البرين
طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين فان بحر اسكندريه يأخذ على انطاكيه
وعلايه ثم يروم بلاد الروم فتحصره الجبال قبل وصوله بلاد الشمال فلا يزال
فى حصره يدق وشفتا جانبيه ترق حتى تتراآى حافتاه ويكاد تنطبق شفتاه
ومسيرة هذا الانضمام نحو من ثلاثة أيام ثم يأخذ فى المد والانبساط والجريان على
وجه النشاط ثم تدور كتائب أمواجه وتتكردس وتأخذ نحو بلاد الدشت والكرج
حتى تصل كما ذكر الى بلاد الجركس وما أمكن أحدا من سواحل الحكمة ومهندسى
النواتى أن يعزز هذين المعبرين فى مدى هذا الانضمام بثالث فثغر كاليبولى
بيد ملاحى المسلمين وثغر استنبول بيد النصارى أعداء الدين وهو أعظم الثغرين
وأجسم المعبرين وكانت النصارى ملاحيه فصار غالب الناس يقصده وينتحيه
فاستطارت الفرنج فرحا واستطالت وخاضت فى دماء المسلمين وحريمهم وأموالهم
وجالت فان ابن عثمان كان بالحصار قد أنهكها وأباد قراها وضواحيها وأهلكها
وضيق على أهلها فى مجارى أرواحهم مسلكها فبينما هم وقد بلغ السيل الزبى وجاوز
الحزام الطبيا وأنشب كل شر فيهم حده واذا بتيمور جاءهم بالفرج بعد الشده
فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان وحصل لهم بذلك الفرج والامان وزاد ذلك بأن
احتاج المسلمون اليهم وتراموا فى طلب الخلاص من العدو عليهم فبعد أن زالت
عنهم الغصص اغتنموا فى درك الثارات من المسلمين الفرص فجعلوا يوسقون
المراكب من الناس والحمول ويتوجهون بذلك الى صوب استنبول وان استنبول
وراء ذروة جبل ومنحرفة خلف قلة من القلل وهى من أكبر مدن الدنيا حتى قيل

انها قسطنطينية الدنيا الكبرى فكانوا اذا شاهدوا راهقات الذروة بالمراكب واستتروا بالهضبة الناتئة عن عين من هو فى هذا الجانب يصيرون كالاموات النازلين الى الحفائر المقين فى قعر اللحود والمقابر لا يدرى الى أين يتوجهون والى أى ناد يصيرون الى بر السلامة والاسلام أم الى دار الحرب وأسر الكفرة الطغام فيذهب منهم الذاهبون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون فاذا جاءت المراكب وهى فوارغ تعلق كل من هذه الخلائق فيها بجهد كامل وجد بالغ ولم يدر ماذا يجرى عليه والى ماذا يصير أمره اليه وأشبهوا فى أبصارهم الكليلة وخطوبهم الجليلة مالكا الحزين والسمك المذكورين فى كتاب كليله وحاصل الامر انه لم يسلم من ذلك السواد الاعظم فى كل غراب أدهم الامثل الغراب الأعصم واستطالت أعداء الدين كيف شاءت على المسلمين وقطع أمير سليمان البحر واستولى على ذلك البر وضبط ممالكه وربط مسالكه وهو أوسع من هذا الجانب وأفسح مرجا وأدر ريعا وأكثر خراجا وخرجا وأعظم حصونا وأمكنه وتحته مدينة ادرنه فاجتمع الناس على أمير سليمان وسهل الامر فى الجملة شيأ ما وهان

(ذكر أولاد ابن عثمان وكيف شتتهم وأدباهم الزمان)

وكان للسلطان بايزيد المذكور من الاولاد المذكور أمير سليمان هذا وهو أكبرهم وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم وكل منهم طلب لنفسه مهربا وانحاز اليه من أبيه طائفة بحيالها فكان منهم محمد وموسى فى قلعة اماسيه وهى خرشنة الشاهقة العاصيه التى قال فيها أبو الطيب شعر

حتى اقام على ارباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والاسر ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا

وقلعتها شاهقه كأنها بقية الفلك عالقه يعين النازل منها فى نزوله منها أكثر مما يعيي الصاعد الى غيرها يسميها أهلها بغداد الروم لان قرار أرضها بنهر كبير من الوسط مقسوم وبينها وبين توقات مسيرة يوم للمجد وأما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون واستكان الى ان قتله أخوه أمير سليمان وموسى فيما بعد قتل أمير سليمان بعيسى ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى ونسخت الاحكام المحمديه

شر ائم الملة الموسوية والعيسويه الى ان مات حتف أنفه فى أوائل سنة أربع وعشرين وثمانمائة أومات بشئ دس اليه على يد قوحفار فى الهدايا الملكية المؤيديه وانتقل الملك من يده الى مراد ولده وهو فى يومنا هذا أعنى سنة أربعين وثمانمائه مستقل به وأما مصطفى فانه فقد وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه

عودا الى ما كانيه من أمور تيمور ودواهيه

ثم ان تيمور لما قبض على ابن عثمان جرد الى برسا طائفة من الجنود والاعوان وأضافهم الى الشيخ نور الدين ثم اتبعهم بوقار مكين وجاش متمكين فوصل اليها ونزل نزول القضاء المبرم عليها وضبط ما وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحرمه وأمواله وخزائنه وحشمه وخدمه وخلع على أمراء التتار ورؤسهم واستعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم ووزع أمراءهم على أمرائه وأضاف كل ظهر منهم الى رأس من رؤسائه ووصاهم بهم وعليهم وبالغ فى أن يصلوا ما أمكنهم من البر اليهم ومشى على مشيه القديم فى استخلاص النفائس واقتناص النفوس وسبى الحريم وجعل يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه ويلاطفه ويباسطه ويترفق اليه ويسخر منه ويضحك عليه

ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية عدت بأوصافه القبيحة على مر الزمان حكايه

ثم انه فى بعض الايام جلس فى مجلس عام وخفض جناح النشاط للخاص والعام وطوى بساط النهى والامر ومد سماط الخمر والزمر وحين غص بالناس المكان استدعى سريعا ابن عثمان فجاء وفؤاده يرجف وهو فى قيوده يرسف فسكن قلبه وازال رعبه ثم أحسن جلوسه وازال بالاهتشاش اليه عبوسه ثم أمر بأفلاك السرور فدارت وبشموس الراح ان تسير من مشرق أكواب السقاة الى مغرب الشفاه فسارت وحين تقشعت عن شموس السقاة سحاب الخدور ودار فى فناء العشرة نجوم يحملها من رؤسهم بروز وبدور نظر ابن عثمان فاذا السقاة جواريه وعامتهم حرمه وسراريه فاسودت الدنيا فى عينه واستحلى مرارة سكرات حينه وتصدع قلبه وتضرم لبه وتزايد كمده وتفتت كبده وتصاعدت زفراته

وتضاعفت حسراته ونكى جرحه واحتد قرحه ونثر على جرح مصابه من قصبات
الاسى ملحه وكانت هذه النكاية لابن عثمان عما اسلفه فى مكاتباته بذكره النساء
وحلفه لانه سبق ان ذكر الحرم عند الجغتاى وقبائل الترك من أكبر الجرم
وأعظم من الخيانة فى الحرم وأيضا مكافاة لما فعله ابن عثمان مع حريم طهرتن
فى ارزنجان ومن تمام اساءته لابن عثمان احسانه لاولاد ابن قرمان وكان قبل
ذلك ابن عثمان قد استولى على ممالك قرمان وقتل متوليها السلطان علاء الدين
بعد أن حاصره وقبض عليه ونقل الى حبس بروسا محمد او عليا ولديه فلم يزالا عنده
فى ضيق وضنك حتى أفرج عنهما بالحبس عليه تمرلنك فاخرجهما وخلع عليهما
وابرهما وأحسن اليهما وأولاهما نعماه أوامهما وليس ذلك لحب على كرم الله وجهه
ولكن لبغض معاوية قلت

ولم يرفض معاوية لحب * عليا بل لأن ربى يزيدا

وقيل وليس لحبه يحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرين

وقلت بديها أصادق ضد اعدائى وان لم * يكن بينى وبينهم ولاء

وابغض من يعادى لى صديقا * وان أثنى على عما أشاء

وذلك لينتكى ضدى ويهنا * فتى قد مرّ منه الاخاء

والامير محمد هذا هو الذى قبض عليه الامير ناصر الدين محمد بن دلغار أمير التراكمة
المفسدين وقتل ولده مصطفى فى البلا وجهزه الى الملك المؤيد مكبلا وذلك فى شهور
رجب سنة احدى وعشرين وثمانمائة

❊ذكر وفود اسفنديار عليه ومقوله سامعا مطيعا بين يديه❊

ثم ان الامير اسفنديار ابن بايزيد وهو أحد ملوك الروم وله فى السلطنة قصر مشيد
ورث الملك عن أبيه وكان مستقلا بالامره وبينه وبين الملوك العثمانيه عداوة
موروثه ونفره وتحت حكمه بعض مدن وقلاع وارض وبقاع منها مدينة سينوب
الملقبة بجزيرة العشاق يضرب بظرافتها المثل فى الآفاق وهى فى البحر من الجهة (?) فى
جزيرة كبيرة سبيل الدخول اليها عسيره بها جبل أحسن من ارداف الحور متصل
بعبر ادق من رقيق الخصور وهى معقل اسفنديار ومعاذه وحرز خزائنه وملاذه

أعصى من ابليس وأوثق من كف بخيل يخاف التفليس ومنها قسطمونية تحت ملكه وبحر ملكه ومنها اسامسون وهى قلعة على جانب البحر للمسلمين مقابلتها نظيرتها للنصارى المجرمين بينهما دون رمية حجر وكل منهما آخذة من الأخرى الحزر وغير ذلك من القلاع والقرى والقصبات فى الوهد والذرى ولما بلغه ما فعله تيمور الغدار مع أولاد ابن قرمان والتتار ومع قرا يلوك وطهرتن حاكم أرزنجان والامير يعقوب بن على شاه متولى كرمان ومن توجه اليه من حكام منتشا وصار وخان وانه لا يبيح من أطاعه وتلبس لأوامره بالسمع والطاعه سارع الى المثول بين يديه وتهيأ للوفود عليه فأقبل بالتحف العاليه والنتف الغاليه فقابله بالبشرى وعامله باليسرا وأقره فى مكانه نكاية لابن عثمان ثم أمره وأولاد قرمان ومن اتسم له بميسم الطاعة والاذعان من أمراء تلك الاكناف والاكناف أن يخطبوا ويضربوا السكة باسم محمود خان والامير الكبير تيمور كوركان فامتثلوا أوامره وحذروا زواجره وآمنوا بذلك الغارة والمصادره وتوفى اسفنديار المذكور فى شهور سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وهو طاعن فى السن وهو من أواخر الملوك الذين وفدوا على تيمور واستولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك ووقع بينه وبين أخيه قاسم بك مشاجرات وانحاز قاسم الى السلطان مراد بن عثمان ولله الامر من قبل ومن بعد

﴿فصل﴾ ثم ان تيمور أخرج مال ابن عثمان وغيره من الذخائر واستصفى لخزائنه ما كان ارثا وكسبا للملوك الاروام من النفائس والاخاير وشتى فى ولايات منتشا وأتى لدروسها مباحث اصر بفنه كيف شا وانتهى الى أقصاها وحرر البحث فى مسائل الخمس والمغانم فاستقصاها وانبثت جنوده فى آفاقها وغاصت فى بحار ممالكها من أشباح أطوادها الى قرار أعماقها فمن فازع الى جبال جباهها وقمم صياصيها ومن متعلق بآذان مراميها ومتساق بأذيال نواصيها ومن راكب أكتاف أكنافها نازل فى سواحلها دائس بأرجل سعيه خدود روضها الانف جائس بكاهل مناهلها ومن دامغ دماغها بأهداب رماحه لاسل العين بالغمض غير حاجب له منها ما رام باليد واليدين ومن جال على نهد صدرها نال رضعها ووجوهها اللجين على ظهرها ومن ماد أنامل تعديه من غير كف الى معاصمها ومرافقها كاد بأقدام الفساد فى بطون مغاربها وانخاذ مشارقها بجز الرؤس وحز الرقاب

وفتوا الاعضاد وبتوا الاكباد وحرقوا الاكباد وشوهوا الوجوه وأسالوا العيون وأشخصوا الابصار وبطنوا البطون وأخرسوا الألسنه وصكوا المسامع وأرغموا الانوف وأذلوا العرانين وهشموا الثغور وحطموا الصدور وقصموا الظهور ودقوا الفقر وشقوا السرر وأذابوا القلوب وفطروا المرائر وأراقوا الدماء واستحلوا الفروج وأحروا الانفاس وأبادوا النفوس وسبكوا الاشباح وسلبوا الارواح ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الثلث ولا الربع وصارت جماعاتهم فيهم ما بين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما أكل السبع

﴿ذكر فتح قلعة أزمير وحتفها ونبذة من عجيب وضعها ووصفها﴾

وحاصر قلعة ازمير وهي حصن في وسط البحر مثاله عسير بهمزة مكسورة وزاي معجمة وميم مكسورة وياء ساكنة وراء مهملة قلعة قد أقلعت في البحار وأضرمت في قلب خاطبها بتمنعها وعصيانها النار أحصى من قلاع الجبال وأقصى في المنال أن تنال بخيل ورجال فأعد لها انواعا من آلات المحاصره وأخذها يوم الاربعاء سادس جمادى الآخره سنة خمس وثمانمائه سادس كانون الاول من السنين الروميه فقتل كبارها وأسر نساءها وصغارها وبنى من أبدان القتلى جوامع وشيد من رؤسهم منارها ثم سلب من القلعة غناءها وأوقرها وأقواها من ذخائرها وأقفرها وأخلاها وقد استصفى منها أبيضها وأصفرها وطير بهذه الامور أجنحة البشائر وأطارها على رغمه في الآفاق بأسعد فال وأسرع طائر

﴿ذكر ما صنعه من أمر مروم وهو في بلاد الروم من قصده بلاد الخطا واستخلاص ممالك الترك والجتا وافتكاره وهو في الغرب مشغول في استصفائه سائر ولايات الشرق والمغول وكيف عانده القضاء المبرم بمنازل الحب فؤاده واضرم فصادمه الزمان وعكس غرضه وهذه كالجملة المعترضه﴾

ثم ان تيمور كان قد استدعى من سمرقند سبطه محمد سلطان والامير سيف الدين ورهطه كاذ كرأولا وكان محمد سلطان هذا الفضلاء ملاذا وللعلماء معاذا مخائل السعادة في غصون جبهته لائحه وبشائر النجابة من أسارير طلعته واضحه شعر

في المهد ينطق عن نجابة جده * أثر السعادة لائح البرهان

وسيف الدين هذا هو أحد رفقاء تيمور في مبداه وأس أركان دولته في منتهاه وهما اللذان كانا بنيا أشباره وأساسا فيها قواعد النهب والغاره وهي في نحر بلاد المغول والجتا وأقصى حدود ماينتهي اليه حكم تيمور ومبدأ بلاد الخطا ووليا بها أميرا يدعى أرغون شاه وأمداه بطوائف من العساكر وفي ثغر المغول أرصداه كل هذه الامور بأوامر تيمور ولما شرعا في ذلك لم يرض المغول بهذا الفعل الحالك لانهم كانوا يعلمون أن ذلك الافعى اذا جاورهم لابد انه في الفساد يسعى فلا يؤمنون غائلته ولا يطيقون مجاورته فتشوشت خواطرهم وتكدرت ضمائرهم فاستوفزوا للفرار واخلاء الديار فزاد الجغتاي فيهم طمعا ومد كل من أشرار الطائفتين الى الاضرار يد التطاول ورحل الفساد وسعى وشرب كاسات التحرم فاكل ما حل بيده وما تزهد في تعففه ورعا وفرح الجغتاي بذلك ووقعت العداوة بين الجانبين فسد كل على الآخر طرق المسالك وجعلوا يرسلون اليهم السرايا ويحلون بما تصل يدهم اليه من متعلقاتهم البلايا وجعل المغول أيضا يفعلون مع الجغتاي ذلك وتربصوا بتيمور ليعده عنهم ريب المنون وتشبثوا بعشويات المهالك واتصل الخبر بتيمور فسر بذلك أشد السرور ثم انهما حصناها بالاهبة الكامله والعدة الشاملة والرجال المقاتله منهم طائفة من عساكر الهنود وملتان وقوم من جند عراق العرب وأذربيجان وفرقة من فوارس فارس وخراسان وشرذمة من أناس تدعى جاني قربان وأضافوا هؤلاء الكماه مع تومان من باشاق الجغتاي الى الامير أرغون شاه ووصلا الى خجند وقطعا سيحون وقدما سمرقند ووليا بها أميرا يدعى خواجه يوسف فكان في قيد الطاعة والاخلاص يرسف ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك العشوم ثم انهما ماتا جميعا سيف الدين في خراسان ومحمد سلطان في بلاد الروم فوقع تيمور في الاحزان على حفيده محمد سلطان ولبس عسكره السواد وأقاموا شرائط الحداد ولم يكن بهم حاجة الى السواد المعلم فانهم كانوا السواد الاعظم ثم جهز عظامه في تابوت الى سمرقند مع عظموت وجبروت ورسم أن يتلقاه أهل المدينة بالنوح والبكاء ويقيمون عليه شرائط العزا وأن لا يبقى احد من العباد الا ويلبس من فرقه الى قدمه السواد فخرج أهل سمرقند عند موافاته وقد انغمسوا في السواد لملاقاته وصار الشريف والوضيع والدني والرفيع بالسواد معلما فكان غاشي

وجه السكون قطعا من الليل مظلما فدفنوه بمدرسته الحصينة المعروفة بانشائه داخل المدينة وذلك في سنة خمس وثمانمائة ولما أهلك الله تعالى جنده دفنوه كما سيأتي ذكر ذلك عنده

﴿ذكر طول غضب ذلك الصياد على الله داد ونفيه اياه الى أقصى البلاد﴾

ولما توجه الثقل من ماردين صحبة الله داد وفارقه تيمور متوجها الى استخلاص بغداد وكان الله داد له أنداد واكفاء وحساد واعداء واضداد والحسد في عنق صاحبه غل قمل وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل وسد أعداؤه للطعن فيه مجالا وفي مقام ثلب عرضه مقالا فانتهزوا فرصة غيبته وأكلوا بالاغتياب لحمه وتنقلوا بغيبته ورشوا به الى تيمور وذكروا ما فعل في الشام من الامور وانه التمس من ذخائرها مالا يحصى واختلس لنفسه من نفائسها وتعلق به من أعلاقها مالا يستقصى وكان كما قالوا وما أحملوا أكثر مما نالوا فبددوا أمره وأوغروا عليه صدره لاسيما وقد قص جناحه بموت سيف الدين أخيه وكان من الابهة والمهابة بحيث ان تيمور كان يخافه ويرتجيه وله في ممالك ما وراء النهر مآثر مشهوده ونتائج فكر باقية معهوده فلما وصل الله داد الى سمرقنده أعقبه تيمور مرسوما من عنده بان يتوجه الى أشباره ويستعد هناك للنهب والغاره وذلك كالنفي لله داد والقائه في أقصى البلاد وطرحه في نحر المخالفين وثغر ذوي العناد وانتقل منها الى سمرقند أرغون شاه ولم يزل بها الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله فحملت المغول تجوز الى اشبارة الفيالق وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق وتغتنم الفرصة لبعد تيمور عنها وكان الله داد يحترز أشد الاحتراز منها وهو مع ذلك يجهزلهم التجاريد ويصفرهم بالمكر الآبار والاخاديد ويقتل ويأسر ويطحن ويكسر حتى أقواها بعد تيمور وسيأتي ذكر هذه الامور

﴿أنموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط وما كان يصل اليه غواص فكره النشيط﴾

ثم لما كان تيمور المشوم مخيما ببلاد الروم أبرد الى الله داد مراسله فيها أمور مجملة ومفصله أمره بامتثالها وارسال الجواب بكيفية حالها منها ان يبين له أوضاع تلك الممالك ويوضح له كيفية الطرق بها والمسالك ويذكر كيفية مدنها

وقراها ووهدها وذراها وقلاعها وصياصيها وأدانيها وأقاصيها ومفاوزها وأوعارها وبحاريها وقفارها وأعلامها ومنارها ومياهها وأنهارها وقبائلها وشعابها ومضائق طرقها ورحابها ومعالمها ومجاهلها ومراحلها ومنازلها ومخاليها وأهاليها بحيث يسلك فى ذلك طريق الاطناب الممل ويتجنب مأخذ الايجاز وخصوصا المخل ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين وكيفية السير بين كل مرحلتين من حيث تنتهى اليه طاقته ويصل اليه علمه ودرايته من جهة الشرق ممالك الخطا وتلك الثغور والى حيث ينتهى اليه من جهة سمرقند علم تيمور وليعلم ان مقام البلاغة فى معانى هذا الجواب هو أن يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل وأطناب وليسلك فى بيانه الطريق الاوضح من الدلاله وليعدل عن الطريق الخفى فى هذه الرساله الى أن يغوق فى وصف الاطلال وحدود الرسوم وتعريف الدمن مضغة الشيح والقيصوم فامتثل الله داد ذلك المثال وصور له ذلك على أحسن هيئة وآنق تمثال وهو أنه استدعى بعدة أطباق من نقى الاوراق وأحكمها بالالصاق وجعلها مربعة الاشكال ووضع عليها ذلك المثال وصور جميع تلك الاماكن وما فيها من متحرك وساكن وأوضح فيها كل الامور حسبما رسم به تيمور شرقا وغربا بعدا وقربا يمينا وشمالا مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء وأرضا مرداء وشجراء غبراء وخضراء منهلا منهلا ومنزلا منزلا وذكر اسم كل مكان ورسمه وتمييز طريقه ووسمه بحيث انه بين له فصله ووصله وأبرز الى عالم الشهادة غيبه حتى كانه مشاهده ودليله ورائده وجهز ذلك اليه حسبما اقترح عليه كل ذلك وتيمور فى بلاد الروم يمور

ذكر ما فعله ذلك المكار عند تجهيزه أمر الروم من الغدر بالتتار

ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر وقضى الكون من أفعاله العجب وأهل الروم النحب وجيشه من الغارة الوطر وامتلأ من المغانم ادى سيل العرم وكان فى الربيع قد أدرك وشيخ الشتاء قد هرم واندرج الى رحمة الله المجيد السلطان السعيد الغازى الشهيد ايلدريم بايزيد وكان معه مكبلا فى قفص من حديد وانما فعل ذلك تيمور قصاصا كما فعله قيصر مع شابور وكان قد استصحبه

الى ماوراء النهر فتوفى معه فى بلاد الروم فى آقشهر وفى هذا المكان توفى حفيده محمد سلطان وعزم على الرحيل وحزم أحمال التحميل ثم جمع رؤس التتار وقد أضمر لهم الدمار والبوار وقال قد آن أن أكافيكم بما صنعتم وأجازيكم بما فعلتم ولكن قد أضر بنا المقام وملّنا الاقامة فى مضائق الاروام فهلم نخرج الى الفضاء الفسيح ونشرح صدورنا من ضيق الزمان والمكان فى المهامه الفيح ضواحى سيواس ومتنزه الناس ومثوى الاكياس فهنالك نضبط أحوال هذا الاقليم الوريف ونقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضيه رأينا الشريف فانه لابد من تفصيل جمله وامعان النظر فى كيفية تدبيره وعمله وحصر مدنه وقلاعه وضبط قراه وضياعه وحسبان توامينه واقطاعاته والاحاطة بأفراده وجماعاته فاذا فصل لنا ما أجمل ووضح عندنا ما منه استشكل فحصنا عن رؤسكم وجاجكم وتوسلنا الى معرفة أخباركم وتراجمكم وجمعنا رؤساءكم وحصرنا زعماءكم وأحصينا أعداءكم واستقصينا آباءكم وأجدادكم واعتبرنا اخوانكم وأولادكم ونظرنا متعلقيكم وأحفادكم وحققنا شعار الروم ودثارهم وأورثناكم أرضهم وديارهم ثم فرضناه هذه المسألة على أعداد الرؤس وقسمنا انفس هذه الممالك على النفوس ثم رددناكم اليها مكرمين وكفيناكم بعيالكم العيلة اذ كنتم علينا معولين وعلى كل حال فانا نفعل مع كل منكم ما يجب فعله وتبقى عليكم من أفعالنا ما يخلد فى بطون الدفاتر والتواريخ نقله فكل منهم ارتاح لهذا القول وعول فى هذه المسألة على موافقة الرد ولم يعلم ما فيها من العول فلما توافقوا على هذه الحركة بنفس ساكنة لم يقع منهم فى هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم المتماثلة مباينة فسار بالناس حتى بلغ سيواس

(فصل) ولما برق ركام ركابه المتراكم فى آفاق سيواس ورعد وحان له أن يفى لطائفة التتار بما وعد جلس جلسة عامة وأقام زبانية الجند طائفة طامة ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس والظهور والضروس ومن تخشى مضرته وتتقى معرته والمردة من شياطينهم والمنفذة من أساطينهم فاستقبلهم بوجه طلق ولسان بالحلاوة ذلق وأجلسهم مكرمين فى مكانهم وزاد فى تمكينهم وامكانهم ثم قال قد كشفت بلاد الروم ونواحيها وتبينت جميع قراها وضواحيها وقد أهلك الله

عدوكم

عدوكم فاستخلفكم فيها وأنا أيضا أفوض ذلك اليكم وأذهب عنكم واستخلف الله عليكم ولكن أولاد بايزيد غير تاركيكم ولا يرضون بأن يكونوا فيها مشاركيكم واماصلحهم فقد سدت فعالكم مع أبيهم طريقه فلا يجاز لكم الى شريعة على الحقيقة ولا شك انهم يرأبون صدعهم ويندبون جمعهم ويستوسدون عليكم أهل المدر والوبر ويلبيهم بالاجابة كل من يبلغه دعوتهم لانكم فى زعمهم آل غدر فيلبسون لكم جلد النمر ويصلونكم الجمر بكل آمر ومؤتمر فيقرضونكم من كل جانب ويتخطفونكم من الاطراف والجوانب لاسيما وبيدهم غالب الحصون والدساكر وتحت أوامرهم من بقى من طوائف الجنود والعساكر فان كنتم كما أنتم فى الناس فوضى فانهم يخوضون فى دمائكم خوضا فعوا واسمعوا ان كنتم لم تعقلوا ولم تسمعوا شعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وأما أنا فلست منكم بدان ولا لى فى المدافعة عنكم يدان فلا بد لعقد أمركم من نظام ولصلاة جماعتكم من امام بشرائط وأركان يجب القيام بها أولا والسلام وأول شرائط ذلك الامام يرجع الى الابتداء بأفعاله الخواص والعوام ثم بعد ذلك ترتيب الجماعه وتنزيل كل واحد فى صف السمع والطاعه ثم وضع الأشياء فى محالها وزمام المناصب والوظائف فى يد اهلها وايصال كل مستحق الى استحقاقه وجمع الرأى على أمر واحد باتفاقه فاذا اتفقت آراؤكم وائتلفت أهواؤكم وعظمت أبناؤكم وكبتت أعداؤكم وكنتم يدا واحدة على من ناوأكم وانتصرتم على من خالفكم وعاداكم وكان ذلك أحرى أن لا تمتد اليكم بمكروه يد ولا ينالكم من مخالفكم كيد ولا كد وهذا انما يتم بالنظر فى أحوالكم والتفحص عن أمر خيلكم ورجالكم وضبط الأهبة والسلاح فان ذلك آلة الظفر والفلاح فليذكر كل منكم ولده وأهله وليحضر خيله ورجله وليأت بعدده وعدده وجنده وولده وليعرض ضرورته ان كانت ولا يستصعبها فقدهانت فمن كان محتاجا الى كمال شئ أكملناه ومن كان معتازا الى ايصال شئ أوصلناه وأضفناه الى كل مايجب اضافته فيحصل أمنه وتذهب مخافته فاعرضوا أول شئ علينا اسلاحكم حتى نكمله ونعمل صلاحكم فأحضر كل منهم أهبته وعرض عليه عدته وطرحوه

فى ذلك الجمع النظيم فتراكم فكان كالطود العظيم كما فعل أول الزمان باهل مدينة سجستان فلما ساب تلك الاسود براثنهم وأنيابهم بهذه الاساليب وخاب أوائك الكواسر الجواسر على مناقيرهم والمخاليب وأولج صارم فكره الذكر فى أحشاء عقولهم وأنزل وصار هنالك سماء عزمهم الرامح وقد نحره سعد الذابح أعزل أمر كل من عنده أحد من التتار أن يقبض عليه ويوثقه بقيد الاسار ثم أمر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه وقد أشعل قبائل التتار بجمر البوار راصعدا الى العيوق دخانه ففت ذلك من اعضادهم وبت من أكبادهم وقصم ظهورهم واشعل نارهم وأطفأ نورهم ثم تلافى خواطرهم بالمواعيد الكاذبه واستعطف قلوبهم بالامانى الخائبه واستصحبهم بالاقوال المموهه والافعال المشوهه وحال بهم الحال وأمر فى الحال بالمسير والترحال قيل ان السلطان بايزيد قال لذلك العنيد انى قد وقعت فى مخالبك واعلم انى غير ناج من معاطبك وانك غير مقيم فى هذا الاقليم ولى اليك ثلاث نصائح هن بخير الدارين لوائح أولاهن لا تقتل رجال الاروام فانهم رداء الاسلام وانت أولى بنصرة الدين لانك تزعم انك من المسلمين وقد وليت اليوم أمر الناس وصرت لبدن الكون بمنزلة الراس فان حصل لوفق اتفاقهم من تعدى يدك بسط وتكسير تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ثانيهن لا تترك التتار بهذه الديار فانهم مواد الفسق والفساد فلا تهمل أمرهم ولا تأمن مكرهم نفيرهم لا يعدل شرهم ولا تذر على أرض الروم منهم ديارا فانك ان تذرهم يلاؤها من قبائلهم نارا ويجروا من دموع رعاياها ردمائهم بحارا وهم على المسلمين وبلادهم أضر من النصارى وانت حين تخدتهم عن زعمت انهم أولاد اخوتك وبنو عمك وذوو قرابتك والاولى بجماعتك ونأسلك ان تتبعك وبكل من أولاد أخيك ان يقول لائهم خذنى معك فاعمل أفكارك المصيبة فى اخراجهم واذا أدخلتهم حبسا فلا تطمعهم فى افراجهم ثالثهن لا تعد يد التخريب الى قلاع المسلمين وحصونهم ولا تجلهم عن مواطن حركتهم وسكونهم فانها معاقل الدين وملجأ الغزاة والمجاهدين وهذه أمانة حملتكها و ولاية قلدتكها فتقبلها منه بأحسن قبول وحمل هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم الجهول واستكبرها على عقل ابن عثمان وفى بها بقدر الطاقة والامكان

﴿ذكر﴾

﴿ذكر ارتفاع ذلك الغمام بصواعق بلائه على ممالك الاروام﴾

وسار فثار غبار أخذ من الشمس منه الابصار وفار بحار التتار فكأن البحر أمده الله بسبعة بحار فلا يدخل قرية الا أفسدها ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها ولا يمر على مكان الا دمره ولا ينجذب عن ربقة طاعته جند الا كسره ولا يقمع عليه شمراخ حصن شامخ الا هصره فخلع على عثمان قرايلوك حين وصل الى أرزنجان وقرره فى ولايته وزاده بعض معان ومغان ووصاه بشمس الدين الذى ولاه قلعة كماخ وأن يكون كل منهما للآخر قوة وطباخ

﴿ذكر انصباب ذلك العذاب ماء ونارا على ممالك الكرج وبلاد النصارى﴾

ثم لم يزل يلجج بذلك البحر اللج حتى أرسى على بلاد الكرج وهم قوم يعبدون المسيح ملكهم غير فسيح ولكنهم محصنون بواسطة قلاع وحصون ومغاور وكهوف وجبال وحروف وقلاع وحروف وكل من ذلك أعصى فى المنال من نفس كريم شيم الانذال ومن مدنهم تفليس وكان أخذها ذلك الابليس وطرابزون وأبخاص وهى التخت بالاختصاص فتمنعت هذه الاماكن عليه ولم تسلم قيادها اليه فأقام يحاصرها ويقعد يناقرها وينافرها فى ذلك مغارة بابها فى وسط حرف شاهق آمنة من البوائق سالمة من الطوارق وسقفها آمن من صواعق المجانق وذيلها أرفع من أن يتشبث به علائق المسالق مدخلها أخفى من ليلة القدر وعدم التوصل اليها أجلى من القمر ليلة البدر فأولع بمحاصرتها والتزم بمضاجرتها واستعمل من فكره مهندسه وجعل لا يقر من الافكار والوسوسه ثم انتج رأيه المتين وفكره الرصين أن يرسل عليها عذابا من فوقها وأن يصطاد تلك الحمامة الصاعدة فى الجو بأرجلها من طوقها فأمر أن يصنعوا له توابيت على هيئة الدبابات كأنهن شياطين النساء لارجل غلابات وأوثقهن بالسلاسل الحكيمه وأوسقهن بالرجال ذوى الشكيمه وأدلاهن من تلك القلال وأهواهن من شواهق الجبال فتدلين فى الهواء تدليه مبرم القضاء فيالأن النقانف وأرجفن من الجبال والرجال الروانف وصار لسان حال تلك الصقور والشواهين ينادى كل من رآه ألم تر الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن

الا الله فحين وازروا باب تلك المغاره كبتوهم بالنبال السحاره وكفوهم بالمكاحل الطياره وهاوشوهم بانواع الاسلحه وناوشوهم بالاوهاق والكلاليب المفلطحه فلازالت الجوارح في الهواء صافات ويقبضن ويقبلن الى ذلك الوكر حائمات دائبه ولا يعرضن ينقرن اسرة اهله بمناقير المناقيب وينشبن فيهم مخاليب الكلاليب ويكررن الناشزة ما نعهم على الولوج وتستعين في مدافعتهم عن فيها من العلوج فلم ينشب احد من اولئك الجوارح ان انشب في الباب كالوبة الجارح ثم استقصد الفتح واستنهض الظفر واعتمد على الله ومن دابته الى الوكر ظفر واستضنه ساعدا لمساعده واكتنفه عضد المعاضده وقبض على رسغه كف السلامه فنكصت النصارى على عقبهم امامه ولم يزل وحده مبيدهم حتى قتل اوباشهم وصناديدهم ثم ادخل رفقته فيها واخرجوا ما كان في مخابيها واسم هذا الرجل طراسب ستة احرف ليس فيها غير متحركين اللام مضمومة والهاء والراء مفتوحة والالف والسين والباء واجتماع ثلاث سواكن في الفارسي كثير وفي التركي ايضا موجود ولكنه عزيز غير غزير ومن جملة هذه القلاع قلعة شاهقة حروف ذاتها كحروف اسمها عناصرها ناطقة لا يعمل في فتحها الارتقاء بها لعل وليت لان اسمها كما زعموا كل كوركيت اي تمال انظر وارجع بمعنى انه لا ينال الوافد عليها سوى النظر اليها ثلاثة اطرافها مبنية على قلل الآكام شمخت على ما حواليها من الهضاب فهي على الاعلام اعلام وعريقها من الوجه الرابع وهو دقيق في سلوكه عسر ينتهي بعد انواع المشقة الى حرف مقطوع بينه وبين باب ذلك الحصن جسر اذا ارتفع ذلك الجسر سدت دون الوصول الى الحصن الحيل واعاذ كل من لاذ بقلته من بنيه فصح ان يقال له معاذ بن جبل فلما اطلع على حقيقة امرها وانكشف له مستور خبرها ابى ان يرحل عنها الى ان يصل الى غرضه منها ولم يكن بالقرب منها مكان ينزل فيه ولا بر يحمل ذلك البحر الطافي ويحويه بل انما كان حواليها جرف وهضاب تضون جبينها كأنها وجه شوهاء ناشزعن زوج محب عقاب في عقاب فطمع منها في غير مطمع ونصب مراده بحيث كان منها بمرأى ومسمع وصار من عسا كره الاسود الخوادر يتناوبون حصارها ما بين وارد وصادر وهم يرفعون الجسر بالنهار فيأمنون مكائد القتال والحصار لانه قد

تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال ولا مفحص قطاة يتمكن فيه النضال فكانوا يرمونها بالنهار على بعد بسهام الاحداق ويرضون منها بنظرة من بعيد كقانع العشاق فاذا أجنهم الليل شمروا الى جهة مخيمهم الذيل لانهم لم يمكنهم حواليها مبيت ولا مقيل فتضم النصارى الجسر ويرمون الى حاجاتهم السبيل فلما لاح له منها امارات الحرمان وبان له ان أمل ظنه من فتحها اقدم مان كما قلت

واعظم شيء في الوجود عندما * نتاج مرام من عقيم زمان

صمم العزيمة على الرحيل ولكن خاف العار فطلب لهذه المسألة الدليل والتعليل

﴿ذكر سبب أخذه لهذا الحصن المنيع وبيان معاني ماجرى في ذلك من صنع بديع﴾

وكان في عسكره شابان نديدان أسدان حديدان يتشابهان في الخلق والخلق لم يكن بينهما في الرجولية والشجاعة كثير فرق يتجاريان في كل وقت في ميدان المناقب لاحراز قصب السبق فكان كفتي ميزان وفي مضمار هما فرسي رهان فاتفق ان أحدهما صادف علجا من الكرج في الجراءة كالاسد وفي الجثة كالبرج فنازله ثم قتله وقطع رأسه والى تيمور حمله ففخم شأنه وأعلى على الاقران مكانه فأثر ذلك في نديده فكانه قطع حبل وريده ثم افتكر في شيء يصنعه يضع من نديده ويرفعه وكان اسمه بير محمد ولقبه قنبر فلم يرا كبر من مراقبة ذلك الجسر ولا أشهر فاعتمد على الله سبحانه وحده واستكمل ماله من اهبة وعده ورصد نجمه في بعض الليالي واطاف بمكان خالي ولا زال يترقب النجوم ويترصد عليهم طوالع الانقضاض والهجوم ويشير تلك الذئب بيده ويذرع ويمشي تارة على بطنه واخرى على أربع الى ان طرح الضر نقابه وسلخ الجو اهابه ورجع النصارى الى كسرهم وتعاونوا على رفع جسرهم ظفر بير محمد الى الجسر فقطع حباله وتابع عليهم من حنيته نباله ولم يمكنهم من رفعه ولا غير موضوعه عن وضعه فتراكموا عليه بالنبال والاحجار وأرسلوا عليه من ذلك السماء المدرار وهو لا يرد عما هو بصدده ولا يلتفت الى جنده ويلتقي مايصدره من مراسيم نبالهم واحجارهم بالقبول على راسه وعينه ولم يزل على المكافحة والمناصحة والمكاشحة والمكالحة حتى تعالى النهار وعض الكون من فعله انامله التعجب واخذ عين المكان الانبهار وكان المحاصرون لها كفوا عن القتال وتيمور قد عزم

كما ذكر على الترحال وكان سرادقه منصوبا بمكان عال فناده لسان الفتح وخاطبه منادي النجح

شعر

لا تيأسن من مطلب * وقطع الورى أسبابه

ان أغلقوا أبوابهم * فالله يفتح بابه

ثم رآى على باب القلعة من بعد كان ناسا يتواثبون واشباح طائفة يتكالبون ويتضاربون فقال لقبيله أي أولي النجدة والعون اني أرى ماترون فانعموا معي النظر ثم أسرعوا انحو المعسكر وأتوني بحقيقة الخبر فاندفعوا يستشرفون لذلك خبرا ويستكشفون لسرائره سترا وهم ما بين عاد من الغراعدي وجار من الاسد اجرى وكل منهم في عدوه وعداوته تأبط شرا ولما نزلوا الجبار ون على ذلك ارسالا وترى كانهم الشياطين نواهض ووثاب وعداوهلم جرا حتى أدركت مقدمتهم بير محمد وهو في غمرات الموت بناره يتوقد وقد صار لسهامهم غرضا وكاد جوهره ان يصير عرضا فلما رآهم من بعيد عاش وحصل له الانتعاش وزال عنه الارتعاش وتلاحقت بهم الصناديد فكفت عنهم تلك الافعال الرعاديد وحين عجزوا عن رفع الجسر وولوا الاعقاب عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا الباب فاختلط بير محمد معهم ودخل الحصن ومن ابعاده منعهم فدقوه بالسيوف ورضوه بأحجار الحتوف وهو يأبي الا المدافعه ويجتهد في مراجعة الممانعه لا يشعر بما ناله من رض الحجر وجراح الحديد كانه مثال عراه الفناء في الفناء في التوحيد الى أن غشيتهم تلك الليوث واندفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء النجدة سيول الغيوث فتشبثت اسود المنايا بتلابيبهم وخلصوا بير محمد من مخاليبهم ثم قبضوا على النصارى وأخرجوا امامهم فيا وحريمهم سبايا وأولادهم أسارى وحملوا الى تيمور بير محمد وأخبروه بما قصده في ذلك وتعمد وتفقدوا ما به من جراح أدمى فاذا هي ثمانية عشر جرحا كل منها يصمي فشكر له فعله ووعده واعيد جزله وأحله المحل العزيز وجهزه الى تبريز وأمر بعد الوصية به الامراء من النواب والرؤساء أن يجمعوا عليه كل نطيس من الاطباء وخريت من الاساه بحيث أن يبذلوا في معالجته جهدهم ويستوعبوا في أساته كدهم ويستوفوا في المعالجة قسمي العلم والعمل فامتثلوا مراسيمه وعالجوه بما أمكنهم وأزاحوا العلل فاندملت جروحه وبرئت أحسن مما

كانت فروجه فلما اتصل والى تيمور روصل جعله أحد قواده ورئيس طائفة من أجناده وقدمه على كثير بعد ان كان خلف وصيره أمير مائة مقدم ألف

﴿ ثم ما جرى للكرج مع تيمور شيخ العرج ﴾

وهذه القلعة والمغارة كانتا من قلاع الكرج ونارا أعلامهم والبواقي سرج فحين قلعت من وجوههم عيناهم تيقنوا أن قد نزل بهم عناهم وأحاط بهم عزاهم فانحلت قواهم وانخزمت عراهم وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامة وتجهمت بهم الى جهنم الزبانية وأسلمتهم السلامة وتفاءل تيمور بحصول الفلج وانثنى عزمه الى استخلاص ممالك الكرج وانبثت شياطينه فيها فهزتهم هزا وقدت ثوب حياتهم قد او جزتهم جزا وخاطت لهم أكفان المنايا بالسلاح فارسقتهم شللا وكفاود رزا وتلا عليهم لسان الانتقام ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم أزا

﴿ ذكر طلب الكرج الامان واستشفاعهم الى ذلك الجاني بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان ﴾

فاستدركوا تقصيرهم واستنهضوا تدبيرهم ورقعوا خرقهم قبل الاتساع ووصلوا حبل حياتهم قبل الانقطاع واستغاثوا الامان الامان واستعانوا في خلاصهم بالشيخ ابراهيم حاكم شروان والقوا الى أيادي تدبيره الزمام ورضوا أن يكون لجماعتهم وان كان على غير ملتهم الامام وجعلوه خطيب ذلك الخطب واستحلوا ما تمر لهم سعايته من يابس ورطب وكان اذ ذاك جيوش المصيف بجمع الكرج قد رات وجنود الخريف والشتاء كجيش تيمور قد أظلت وسلطان الاجرد قد صقل فرند المياه وجرد ورفع من الاغصان الاعلام السلطانية ونصب على تلك الجبال الصيوانات البلارية وألبس متن الغدير من نسيج نسيم الاصيل الدروع الداودية فكان ما في الكون من جوامد ونوام من جملة عساكر تيمور حامله أو محام قلت شعر

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له أعداؤه أنصارا
واذا أراد خلاصه من هلكة * أجرى له من نارها الانهارا

فترى العقول تقاصرت عن كنهه * وترى له فى شوكه أزهارا

فدخل الشيخ ابراهيم عليه وقبل الارض بين يديه وحياه بتحية الاكابر من الملوك ووقف فى مقام أصغر مملوك ثم استأذن فى الخطاب واستلطف فى رد الجواب فاذن له فقال ان عموم شفقة مولانا الامير وحسن حنوه على المسكين والفقير وشمول عاطفته الكريمه ورحمته المنيفه حملت المملوك على عرض ما عن له على الآراء الشريفه وهو أنه بحمد الله المرام حاصل والمراد على وفق الاختيار متواصل وهيبة مولانا الامير فى الشرق والغرب أغنته عن الاستعداد للضرب والحرب ثم ان العساكر المنصورة أكثر من أن تحصى وفيهم من الاسرى والمرمق الحال ما فات عن الاحصا خصوصا جماعات التتار الذين ولى سعدهم الادبار وأحلوا قومهم دار البوار قد أضر بهم البرد وتردد نفس حظهم بين العكس والطرد فان استمرت الامور على هذا الدستور رق الجليل وهلك الرقيق ودق العظيم وانطحن الدقيق وهذه البلاد بل وسائر الاقاليم محال الا بأمرك أن تستقيم وان رؤساها من الفجرة والفسقه علموا اما مولانا الامير على مملوكه من الحنو والشفقه فتراموا العلة المجاورة على المملوك ورجوا من الصدقات الشريفة ما يرجوه من الغنى الكريم المحتاج الصعلوك ومهما برزت به المراسيم المطاعه تلقاه بالقبول كل من المملوك وهؤلاء الجماعه وقابلوا الاوامر الشريفة بالسمع والطاعه وان كان المقصود جمع مال فالمملوك يقوم به على كل حال وأنى للمملوك مال الا من صدقات مولانا الامير وما قصد المملوك بذلك الا ردع الكلفة عن الجانبين وتيسير الامر العسير ورعاية لحق الجوار عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار والرأى الشريف أعلى وأحرى أن لا يخيب رجاء المملوك وأولى فأجابه الى سؤاله وطلب منه مالا مر بضا سواء كان من مالهم أو من ماله فقال الشيخ ابراهيم أنا به زعيم وأبلغ ذلك الى خزائنه أتم ابلاغ ثم رحل وأكمل شتويته فى قراباغ وذلك فى سنة ست وثمانمائة

(ذكر ثنى عنانه الى أوطانه وقصده بلاد دينه استكمالا لفساده)

ولما زينت ماشطة الكون عروس المكان وأقام من بين الجمادات قوام الزمان

وتمخت

وتهيجت القوى النامية وتبرجت مخدرات الذرى السامية وشبت الجمرات ودبت الحشرات تحرك الرحيل ذلك الافعى ونفث على هوام أموات الزمهرير من احياءها كره فاذا هى حية تسعى فدق الكوس تجاوب صداه الرعد القاصف ولمعت مرايا اللبوس فانعكس منها اعاض البرق الخاطف وعرض قبوله فى التروس فاحاط بالاطواد قوس قزح وسير شيوله فى اللبوس فتحلت كتائب الكثبان بشقوق الورد والريحان خائلة فى ذلك البر المنتزح ومارت الجبال فمرت الجبال مر السحاب وسارت الرمال قصد العنان من النقع الضباب وشرعت الذوابل فاذا رطب الاغصان متمائل وهزهزت القواصل فاذاب فى القصل مرهف الجداول وتضضت ألسنة الخناجر والنيازك فبرزت عذبات العذبات ونشرت أعلام الكتائب فانبثت أشاهير الازاهير على عقبات العقبات وعلى الجملة فان الربيع حاكى ببروقه بوارقه وبرعوده صواعقه وبخمائله وروابيه زرابيه ونمارقه وبركامه قتامه وبشقائقه أعلامه وبأشجاره المزهرة خيامه وبأغصانه رماحه وبعواصف أمره ونسيم رياحه وبكتائبه السود كتبه الخضر وبأزهاره الزرق مزارقه الزهر وبسيوله الجارفة مسير جحافله وباضطراب بحر فيالقه تموج خمائله منذهبوب أصائله واستمر بين ذلك العرار والرند قافلا بالبال الفارغ الى سمرقند فسار والسرور نديمه والحبور حريمه والاقبال معاقره والنشاط مسامره وبين التفريط والافراط موارده ومصادره حتى قطع ولايات اذربيجان وحل ركابه بممالك خراسان وفى خدمته ملوك الاقاليم وأرباب التيجان

(ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله ووفودها عليه مهنية له بحسن مآله)

ولما تسامعت أقطار البلدان أنه قفل قاصدا الاوطان أقبلت اليه الملوك من أطرافها والمرازبة من أكنافها وسارع الى استقباله المداره والجاجج وتبادر ما وراء النهر وغيرها السراة والمراجيح وتطاير اليه من الاقاليم أساطينها ومن الولايات والثغور ملوكها وسلاطينها ومن كان مرابطا فى ثغر ومواظبا عن أكيد أمر أرسل نائبه أو قاصده أو حاجبه أو رائده يتباشرون بقدوم أقدامه ويهنونه بما فتح عليه من هنده وعراقه وروميه وكرجه وشامه ويقدمون التقادم والحمولات ويهيئون الضيافات والاقامات ثم أردفهم السادات والعلماء والمشايخ والكبراء

ورؤساء المرابذة ومرابذة الرؤساء فجعل يسمت لكل واحد منهم سمتا ويأمره فيخضع بالسمع والطاعة اجلالا وصمتا ويعهد له فيما ولاه قواعد ومبانى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم جهز كلا منهم بما اقتضاه رأيه وأجازه ووصل الى جيحون وقد أعدت له السفن والمراكب فجازه فخرج أهل المدينة للاستقبال وكل منهم منشرح البال ملتئم الحال فدخل سمرقند في أوائل سنة سبع وثمانمائة ومعه من طوائف الامم الاثنان والسبعون فرقه وأكثرهم قدر بقوم جثه ثم أذن لمن اختاره من العساكر فتفرقت والطوائف جند ما وراء النهر فتمزقت

(ذكر توزيعه التتار ارسالا شرقا وغربا وعينا وشمالا)

فلما استقرت به الدار أخذ في توزيع التتار فكانوا ذوى عدة وعدد ونجدة وشده فخشى سلبهم عدتهم كسر شوكتهم وشدتهم ولكن أبقى الله عدتهم فخاف لذلك نجدتهم فشتت جمعهم وأقوى من اجتماعهم ربعهم فبذرهم في فياف وبطاح ووزعهم في قفار وضواح وبددهم في أشطار غدو ورواح وندهم في أقطار بكاء ونواح فسد برقهم أفواه الثغور وأوصد بظهورهم أبواب النحور فجهز طائفة الى كاشغر وهو بين حدى الخطا والهند أحد الثغر ووجه فرقة الى دويرة في وسط بحيرة تدعى أسى كول وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول فصادفهم بعض السعد فانقطعوا عن أضيفوا اليه كما ينقطع عما يضاف اليه بعد فانفهموا منهزمين ولم يلووا وأخذوا من صوب الشمال وخرجوا على الدشت الى ايدكو ثم أضاف سائرهم وقبائلهم وعشائرهم من كل حزين أواه الى أرغون شاه وجهزه بعزم وحزم الى ثغور الدشت وحدود خوارزم وهذا كان هجيره ومابنى عليه أوامره وأموره فانه كان من الشياطين النقاله وفي المكر واللعب بالناس كدلة المحتاله كلما بنى في قطر قلعه أواستولى في ثغر من ثغور المخالفين على بقعه أنزل بها من العساكر من هو في أقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر ونقل اليها من طامن الرجال ان كان في الشمال الى اليمين وان كان في الجنوب الى الشمال فانه لما استولى على ممالك تبريز وما والاه استناب فيه ولده لصلبه أميرانشاه وأمده من الجغتاى بطائفة غلاظ شداد منها خدايداد أخو الله داد ونقل الى أطراف

الخطا وتركستان طوائف من عسكر العراقين والهند وخراسان وولى ضاقة بن التكريتى الذى أخذه من الشام نيابة مدينة سيرام وهى من سمرقند الى جهة الشرق نحو من عشرة أيام وولى يلبغا المجنون نيابة ينكى بلاس وراء سيرام بنحو أربعة أيام وهما كورتان مختصرتان وراء سيحون من معاملات تركستان وهما كانا أقل من أن يذكرا أن يصيرا حكاما وأمرا وانما فعل ذلك لينتشر فى أطراف الممالك ان عنده من رؤساء الشام جماعة من أعيان الاعلام وان فى ممالكه من الخدم رؤساء الأمم حكام العرب والعجم وان ذلك الطرف جال وسطا وملك ما بين الشام والخطا

فصل ثم أخذ يتفقد ما حدث فى غيبته من أمور بلاده ورعيته ويتفحص عن قضايا الممالك ويسلك الملوك المسالك ويدبر مصالح الاطراف والثغور والاكناف والجور ويراعى أحوال الكبير والصغير ويتعاطى مصلحة الغنى والفقير ويضع الاشياء فى محلها وزمام الوظائف والمناصب فى يد أهلها ويبادر بما قال الشاعر

لله در أنوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل
نهاهم أن يمسوا عنده قلما * وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

وأخذ يربى السادات ويكرم الأولياء ذوى الكرامات ويجل العلم وأهله ويعلى الفضل ويعز محله ويقلع المفسد ويقمع المارق ويخنق الزانى ويصلب السارق حتى استقامت فى زعمه أمور السياسة وتمت على تورة جنكيزخان قواعد الرياسة

ذكر ما ابتدعه من منكراته وطبع بخاتمة خواتيم سيآته ووافى باستيفائه راتب وفاته

ثم شرع فى تزويج حفيده أى ولد الولد أولوغ بيك ابن شاه رخ النبيه الذى هو فى يومنا هذا أعنى سنة أربعين وثمانمائة حاكم سمرقند من قبل أبيه فأمر أهل المدينة أن يشرعوا فى الزينة وأن يرفع عنهم الكلف والمظالم وينفى عن الطرحات والمغارم ويبسط لهم بساط الامان ويعامل الكبير والصغير والرفيع

والوضيع منهم بالفضل والاحسان وأن لايشهر فى ممالكه سيف ولايجرى فيها ظلم ولاحيف وأن يخرج جوازيتهم الى مكان نحو ميل من ضواحى سمرقند يدعى كان كل هواؤه أذكى من المسك وماؤه أحلى من القند كأنه قطعة من روض الجنان ثقل عنها انهار ضوان قلت شعر

رعى فيه غزال الترك شيحا * فصار المسك بعض دم الغزال

روايح هوائه ألطف من نسيم السحر وواشح مائه أعذب من ماء الحياة صفاء بلا بلا كدر وتغار يد طيوره ألذ فى الاسماع من ثناء الناى على الوتر قلت

بساط زمرد نثرت عليه * من الياقوت ألوان الفصوص

وقيل شعر

كأن مدوّر الازهار فيه * ورادفى محاسنه تنضد

صحاف من لجين أو عقيق * ومرجان وياقوت وعسجد

فهذى حشوها مسك فتيت * وهذى ضمنها تبر مبدد

أراد الروض يجلوها علينا * فصاغ لها أكفا من زبرجد

صباغ القوة الخيالية يعلم خلاط أصباغ النقوش من تشاهير أزاهيره ومواشط عرائس الجمال تزين عواتق الكمال من تحار ير تصاويره قلت

كأن رباه سماوات هبة * خضم بأنواع الحلى مرصع

افسح من أمل حريص طامع فى جاه غنى كريم نافع وأنزه للابصار والبصائر من غض شباب زاه زاهر ساعده الدهر بوجه بسيط وأدب كامل وعمر طويل ومال وافر وهو أحد الاماكن المذكوره والمتنزهات التى هى بالنزاهة والرفاهة فى الدنيا مشهوره ومبدأ السعد الذى جهاته بالنعم موقرة موفوره قلت

شقائقه خدود ناضرات * تحشت من سواد المقلتين

فسا كر تيمور مع أنهم البحر المتلاطم فيه تضاهى بنى اسرائيل فى قطر من أقطار التيه ثم أمر الملوك والسلاطين وأرباب التيجان من الأساطين أن يخرجوا اليه وينبثوا عليه وفرز لكل منهم فى ذلك المرج مقاما ورتبه ميمنة وميسرة ووراء وأماما وأمرات يظهر ما أمكنه من تجمل وتحسين ويضرب ماله من خيام وقباب متكافة بأنواع النقوش والتزيين ثم رتب من دونهم من الكبراء والاعيان

ورؤساء الامراء والاعوان في ذلك الروض الاريض والمرج الطويل العريض فأخرج كل منهم ما حواه وكثر نظراؤه لينظروا ما قدمت يداه وفاخروا وتفاخر منهم وباهى واستقصى في المباهات والمفاخرة وتناهى فنشروا ما طوت صحائف أيامهم على جمعهم اياه صحلات آبائهم من طرف أطراف الأقاليم والامصار وتحف جواهر المعادن والبحار ونفائس ذخائرهم واعليها النفوس والهبوا الانفاس وعرائس أغانيهم سقوا عليها الكؤس وحرقوا الأكياس ما أزرى على زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر وأسرى منظره البهيج سرايات المسرات الى سر السرائر فزاد حسن حديث ذلك المكان وغنا وعلا قدره بهجة على كل أرض وسما ثم أمر بسرادقاته فجمعات مركز تلك الداره ونقطة دائرة تلك الافلاك المداره وهي سور محيط مضروب على ماله من خيام وقباب منصوب له باب واسع يدخل فيه من دهليز شاسع على ما به من معان ومغان وله قرنان شامخان تنكسر لهما الرؤس وتذهل عند مشاهدتهما النفوس ولاجل هذين كان يلقب ذا القرنين ونصبوا له داخل هذا الجناب عدة من الخيام والأخبية والقباب ومن جملتها قبة أعلاها وأسفلها بالذهب مزركش وظاهرها وباطنها بلباب الريش مريش وأخرى كلها بالحرير محبوكه وبأنواع النقوش وألوان الاصباغ مبنية مشبوكة وأخرى من فرقها الى قدمها مكللة باللآلئ الكبار التي لا يعلم قيمتها احد ما لا عالم الأسرار وأخرى مرصعة بأنواع الجواهر على صفائح الذهب مدهشة الابصار والبصائر وجعلوا ما بين ذلك سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وليبوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وبين ذلك الاوراق المنقشه ورواقات الاخبية المزركشه والقساطيط والأبنية المدهشه وفيها مراوح الخيش الجالبات لبرد العيش والمنافع والمرافق والمفاتح والمغالق وأظهروا الذخائر الغريبه وأرخوا على ذلك الستائر العجيبه ومن جملتها استارة جوخ كان أخذها من خزانة السلطان بايزيد قطعة واحدة عرضا ونحو من عشرة أذرع بالذراع الحديد منقشة بأنواع النقوش من صور النباتات والبنيان والعروش وأشكال الهوام والطيور والوحوش وأشخاص الشيوخ والشبان والنساء والصبيان ونقوش الكتابة وعجائب البلدان والعروق اللاعبة وغرائب الحيوان بألوان الاصباغ المبالغ في أحكامها وإجادتها

أحسن بلاغ كأن صورها تحركه تناجيك وثمارها الدانية لاقتطافها تناديك وهذه الستارة أحد عجائب الدنيا وليس المستمع كالرآى ونصبوا أمامه سرادقاته بعقد ارشوط فرش الصيوان الذى يجتمع المباشرون فيه وأرباب الديوان وهو جبتر عالى الذرى شامخ فى الهوى له نحو من أربعين أسطوانه وعواميد وأسوار شيدوا عليها أركانه وسددوا بنيانه يتسلق الفراشون الى أعلاه كالقرده كأنهم مسترقو السمع من الشياطين والمرده ويتعادون على سطحه حين يرفعونه بعد بطحه

﴿فصــــل﴾ وأخرج أهل المدينة ما عبوه من تجمل وزينة ونصبوه تجاه تلك السرادقات على مد البصر وتأنق كل واحد من أهل البلد بما وصلت اليه التقوى والقدر واجتهد كل ذى حرفة بما يتعلق بحرفته وبالغ كل من أرباب الصنائع فيما يليق بصنعته حتى أن ناسج القصب أخرج فارسا مكمل الاهبه واستقصى فى اكمال هيئته حتى أظافيره وهدبه واستوفى دقائق ما يتعلق من الآلات كقوسه وسيفه وسائر الاستعدادات كل ذلك من القصب ورفع ذلك فى مكانه من غير تعب ونصب وصنع القطانون من القطن مدينة رفيعه محكمة بديعه ذات قدر رشيق وصنع وثيق ومنظر أنيق ببياض جسم يسمو على الحور وكمال قوام يعلو على القصور ونصبوها فصارت بحسنها تستوقف النظاره وبعلو قامتها ترشد فى تلك المهمة المارة حتى غدت علما للسياره وعلى جوامع تلك الابنية مناره وكذلك أهل الحرف من الصواغين والحدادين والخفافين والقواسين وسائر الطوائف وأرباب الملاعب واللطائف ولقد كانت سمرقند مجمع الافاضل ومحط رحال أهل الفضائل فرتبت كل طائفة ما أخرجته على حدة فى مكانه امام سرادقاته وصيوان ديوانه ونصبت وراء ذلك كله الاسواق وضربت بين الناس بوقات الابواق وزينت الفيول وجياد الخيول بأفخر لباس وأطلق عنان الرخص والتمتع بأنواع الملاهى والملاذ للناس فسارع كل طالب الى مطلوبه واجتمع كل محب منهم مع محبوبه من غير أن يتعدى أحد على أحد أو يستطيل أعلى من يكون على أدنى من يكون من الجند وأهل البلد أو يجرى تعديا من شريف ما على وضيع ما

﴿فصــــل﴾ ولما استتبت الامور على مراد تسويل قرينته وأخذت الارض زخرفها وازينت من جنده وأهل مدينته وتوجه الى ذلك المرج على وقار وسكينته

وخرج على قومه فى زينته ثم أمر أن تجرى يواقيت الصهباء على زبرجد ذلك المرج الاحوى وسباها الكل ناظر وعام فسبح فى تيارها كل خاص وعام فدارت فى سماء تلك الارض للسرور أفلاك وهبطت فى أفقها بروج اللذات من أفلاك الملاحة أملاك فأصبحت تلك الأسود الحواذر وهى ظباء جواذر وتنزلوا من جحيم المنازلة الى نعيم المغازلة وتبدلت تلك الغلاظة والكثافة بالاطافة والظرافة وأصبحوا بعد حورهم يتحاورون وبمعنى ماقلته يتحاورون شعر

محا الظلم ما بين الورى سيف عدلنا * فلم يتشبث مستغيث بمعتدى

سوى قلب صب صاده طرف أحور * وخصر نحيل آده ردف أغيد

فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظ وهو مع ذلك مكسور ولا يجول ذابل الا ان كان رمح قدوهو مع ذلك بالعشاق منصور وصرت لاترى الاعودا يحرك أو يحرق أوقدحا يروق أو بروق أوشاديا يغرّد أوشاربا يعربد أوجارية تدق أوساقية تجرى أوخد ورد يعشق أوورد خد ينشق أوكاس ثغر يرشف أوغصن خصر للعشاق يقصف أوفرص عيش تغتنم أولسان حال ينشد ويترنم شعر

فى ربيع الوصل لما * أن وفى الظبى الشرود

وسرت بشرى الصبا * للروض تنبئ بالورود

خرت الأنهار والأ * غصان مالت للسجود

واجتمعنا فى رياض * حسنها يسبى الوجود

فالسحاب الصب فيها * بالحشا أمسى يجود

نثر الدر علينا * منه بلور الغمام

فوق صحن سندسى * فيه ملياقوت جام

وثغور من عقيق * زانها حسن ابتسام

وعيون من لجين * ناظرات لا تنام

وغصون الدوح حفتنا بأنواع النقود

طيرها غنى عليها * اذ علا عودا وطار

وشذاها ضاع فيها الـ * ـمسك لما منه غار

والصبا أمسى عليلا * فى رباها حين سار

جنـــة الفردوس فيها * وجـه بدرى حين نار
أصبحت جنات عدن * تشتهى فيها الخلود
يالها مـــن عشرة * جاءت بأنواع المنا
ليس فيها غـــيرائم * وارتشاف واعتنا
وكـؤس دائرات * وغناء وغـــنى
لو رآها زاهـــدمن * ربها كان انثنى
لم يسعه عنـدها من * زهـــده الا التجرد
قم نديمى هاطـــنى * فالدهر لا يسوى الحزن
كأس عيش يمحى * فى مزحها صرف الزمن
الطـلا والماء والخضـ*ـرة والوجـه الحسـن
لاتطع فى ذا عـذولا * انه خب كمن
فى حشـــاه غليان * لاتقـــل خل ودود

فحصـل الامن والدعه والفراغة والسعه ورخص الاسعار وقضاء الاوطار واعتدال الزمان وعـدل السلطان وصحة الابدان وصفاء الوقت وذهاب المقت وحصول المطلوب ووصال المحبوب مصراع وعنـد التناهى يقصر المتطاول واتفق له فى ذلك العرس من الابهة والعظموت والسطوة والجبروت شئ لم أظنـه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين ولا يقع فيما بعد لاحد من المتأخرين وان كان المأمون فرش تحته ليلة عرسه حصـيرمن الذهب ونثر على رأسها اللؤلؤ المنتخب ولم يلتفت اليه ولم يلتقط من ورائه ولا من بين يديه حتى قال قاتل الله أبانواس كأنه كان حاضرا حيث قال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

لـكن تيمور كان فى عرسه ذلك بنات الملوك وصائب وبنوها عبيدا كل منهم فى مقام العبودية واقف واجتمع عنـده قصاد الملك الناصر فرج من مصر والشام ومعهـم الحمولات والتقادم ومن جملتـه الزرافى والنعام ورسل الخطا والهنـد والعراق والدشت والسند وبريدى الفرنج ومن سواهم وقصاد كل الاقاليم أقصاهم وأدناهم ومن كل مخالف وموافق ومعاد ومصادق فأخرالجميع حتى شاهـدوا

عظمته

عظمته ورهايته واخبرونه فى ذلك العرس وأبهته فبادر ذلك على تلك الحال لا يخاف النكال ولا يخشى الوبال قلت شعر

قرير العين لا يرجو الهنا * خلى البال لا يخشى معادا

يتناول المحرمات ويبيحها ويروج عنده مستهجنها وقبيحها منهما أمر به جماعته فى ذلك امتثلوه يتباهون فى كل قبيح عملوه ولا يتناهون عن منكر فعلوه قلت شعر

تبدل من سفك وهتك جريمة * أحل بها ما حرمته الشرائع

وجعل يدعو الملوك والامراء وسلاطين الآفاق والكبراء وقواد القوامين وزعماء الجيوش والمقدمين ويسقيهم الكاسات بيده ويحل كلا منهم محل أخيه وولده ويخلع عليهم الخلع السنيه ويجزل لهم المواهب والعطيه ويجلس كلا منهم بجنبه ذات اليمين وأما ذات الشمال فانها النساء والخواتين فان النساء لا يستترن من الرجال خصوصا فى مجالس الاجتماع والاحتفال واستمر فى ذلك بين جنك وقانون وعود وأرغون وناى مرقص مطرب وشاد عجب مغرب وساق فاتن وذهب وات وهوى متبع وأمر مستمع وشمس تدور على نجوم وبدور وكأس ملآن وكيس يفرغ وأمر يقضى وأمل يبلغ حتى استخفه الطرب والبطر واستفزه النشاط والاشر فضبع الى من استعضده ومد للنهوض اليه يده فتعاضدوا لمعاونته وتعاونوا على معاضدته وحين استوى قائما تهدى بينهم بشيبته ومرحته راقصا قلت

ومن عجب الدنيا أشل مصفق * وأبكم قوال وأعرج راقص

فنثر عليه الملوك والكبراء ونساء السلاطين والامراء الجواهر واللآلى والفضة والذهب وكل نفيس غالى ولم يزل على ذلك حتى استوفى من اللهو حصته ودخل العروس منصته وانقضت تلك الامنيه وتفرقت هاتيك الجمعيه شعر

ما كان ذلك العيش الاسكرة * لذاتها رحلت وحل خمارها

(فصل) ولما بلغ من دنياه المرام وانتهى ليله الى الكمال والتمام وعرج فيما يرومه الى ما عرج وصعد فى سلم ارتقائه الى أعلى الدرج وقارب بدر عمره الافول وشمس حياته ان تزول رشقه الزمان بسهم أصماه فناداه أهله ونادى بلسان فصيح فرغ العرس يا بيت الاحماء لو سمع لكان يصيح قلت شعر

وما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات ما فيه نزول وانما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار أعلى كان أوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه

فأفاق من سكره وعاد الى عسكره وارعوى عما اعتدى وعلم أنه أضل قومه وما هدى ورأى أنه قد فرط في أمر الرياسه وحط من جانب الايالة والسياسه وانه سام الملك خسفا وساقى السلطنة وجد عليه ما انتظر يقي في التقصير وألفا فأخذ يتدارك ما كان فرط ويطلب التفصي عما فيه تورط

﴿ذكر بعض حوادث متقدمة لمتعلقات ذلك العابث﴾

وكان تيمور قد رأى في الهند جامعا للبصيرة مرتعا وللبصر رائعا عرشه في حسن بنائه ونقشه من الرخام الابيض كبساط فرشه فأعجبه شكله وأراد أن يبني له في سمرقند مثله ففرز لذلك مكانا في فرز ورسم أن يبني له جامع على ذلك الطرز وأن يقطع له أحجار من المرمر الصلد وفوض أمره الى رجل يقال له محمد جلد أحد أعوانه ومباشري ديوانه فاجتهد في بنيانه وتشييد اركانه واستقصى جهده في تحسينه من تأسيسه وتركيبه وترتيبه وتزيينه وأعلى له أربع ميازين وباهى فيه أئمة البنائين والاستاذين وظن أن لو كان على ذلك أحد غيره لما قدر أن يصنع صنعه ويسير سيره وان تيمور سيشكر له صنيعه وينزله عنده بذلك منزلة رفيعه فلما آب من سفرته وتفقد ما حدث في غيبته توجه الى الجامع لينظر اليه فبمجرد ما وقع نظره عليه أمر بمحمد جلد فالقوه على وجهه وربطوا رجليه ولا زالوا يجرونه وعلى وجهه يسحبونه حتى بضعوه على تلك الحال واستولى على ماله من أهل وولد ومال وأسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى امرأة تيمور العظمى أمرت ببناء مدرسه واتفق المعمارية وأهل الهندسه أن تكون في مواضع مقابلة لبناء هذا الجامع فشيدوا أركانها وشددوا بنيانها وعلوا على الجامع طباقها وحيطانها فكانت أرسخ منه تمكينا وأشمخ منه عرنينا وتيمور كان غري الطبع أسدي الوضع ماتكبر عليه رأس الا شدخه ولا تجبر عليه ظهر الا فضخه وكذلك كلما أضيف اليه أو وصل في النسبة عليه فلما رأى قامة تلك المدرسة طالت وعلى قد

جامعه الجبر ترفعت واستطالت تغل صدره غيظا واشتعل وفعل مع مباشر ذلك ما فعل فلم يصادفه فيما أمله سعد وهذه الحكاية متقدمة لما ذكر وبعد نكتة كان هذا الجامع كصاحبه أحاطت أوزار الاحجار بجوانبه وتثاقلت على غواربه ومناكبه ودقت عنق طاقته عن حملها ورقت وتلا لسان سقفه اذا السماء انشقت وما أمكن تيمور الاشتغال بهدمه ثم احكامه ونقض بنائه واستيفاء ابرامه فطوى ثوب عمارته على غره واستبقى خشب أخشبه على وهنه وكسره لكن أمر خاصته وذويه أن يجتمعوا ويجمعوا فيه واستمر ذلك فى حياته وبعد وفاته فكان اذا اجتمع الناس فيه للصلاة يرتقبون من تلك الحجارة ما يهبط من خشية الله وصار ملك الجبال فى تلك المحلة يتلو واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ففى بعض الاحيان وقد غص بالناس ذلك المكان وأخذ كل منهم حذره سقط من حجارته من أعلاه شذره ففر كل من كان حاضرا وانفضوا الى الابواب وتركوا الامام قائما وكان من جملتهم الله داد أحد الا كفاء الانداد فلما اطلعوا على حقيقة الخبر تراجعوا وزال عنهم الحور فلما قضوا الفرض وانتشروا فى الارض قال لى الله داد وكان من الدهاة ذوى الكياد والاذكياء النقاد له حوالى كعبة المخازى مائة شوط وألف طوف ينبغى أن يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلاة فيه بصلاة الخوف وقال لى الله داد وقد فهم معنى هذا الانشاد وينبغى أن ينشد فى شأن هذا المعبد ويكون رقم طرازه ونقش صدره ومجازه قول الشاعر

بنيت مسجدا من جباية * وأنت بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

(فصـــل) ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول كان استخلاص ممالك الشرق فى فكره يجول وقد ذكر أنه أرسل الى الله داد يستوصفه أوضاع تلك البلاد ولما انكشفت له أحوالها وتبينت له قراها ومضافاتها وأعمالها حتى شاهدتها عين بصيرته واستقرت كيفيتها فى سريرته جهز الى تلك النواحى رؤس هاتيك الضواحى ومن جملتهم بيردى بيك وتنكرى بيردى وسعادات والياس خواجه ودولة تيمور مع زيادات وأضاف اليهم طوائف من الاجناد ورسم أن يتوجهوا كلهم الى الله داد وأن يجهز الله داد أمره ويتوجهوا فيبنوا قلعة تدعى باش خمره

وهى من أشباره نحو من عشرة أيام ومن متعلقات المغل الطغام وكانت أمورها اضطربت وأكثر منازعة بين ملكه من خربت فتوجهوا الى تلك الداره بالعساكر الجراره واشتغلوا على غير عادتهم بالعماره وكان توجه هذه الفئة فى أواخر سنة ست وأوائل سبع وثمانمائه وقصد بذلك أن تكون لهم معقلا وعند توجههم الى الخطا وايابهم ملجأ وموئلا فلما أحكموا أساسها وصنفوا أنواع بيوتها واحكامها ورضعوا من احجار الاساسات أقدامها ورفعوا على أعلام الاسوار أعلامها أرسل اليهم مرسوما انهم يرجئون أمرها ويتناسون ذكرها ويأمرهم فيه بالرجوع والاشتغال بتعليق البلاد بالزروع بحيث أن فقهاء المدارس والديار من أهل القرى والامصار والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة من فلاحى الانجاد والاغوار وأهل الرزداقات والاكاره من حدود سمرقند الى أشباره يتركون مسائل المعاملة والمبايعه ويكررون البحث قولا وعملا فى درس المساقاة والمزارعه ويؤذن فى جماعتهم أن يقيم كل منهم فى الزرع صلاته وان اضطر أحدهم أن يترك صلاته فالحذر أن يترك فلاحته ورام بذلك أن يكون لهم فى سفرهم عتادا وان نقص لهم فى الدرب قضيم وخصيم زادا فتركوا العماره وقصد كل من الامراء دياره واشتغلوا باستخراج البقر والبذار واجتهدوا فى احياء جميع الموات كبارهم وأشار فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى المصيف بساطه ونشر رائد الخريف على العالم أعلامه وأغماطه

ذكر عزمه كما كان على الخطا ومجيئه سكرة الموت بالحق وكشف عنه الغطا ثم انتقاله من سفره الى سقره

فلما أفاق أخذ فيما كان عليه من التوجه الى الآفاق وقصد الحواشى والاطراف واستخلاص الممالك والاكناف وصرف عنان الذهاب نحو الخطا على عادته وكان ذلك عين الصواب فأرسل الى أمم عساكره أن يستوفزوا ويأخذوا أهبة أربع سنين أو أكثر ويتجهزوا فلبث كل أمة دعوة رسولها وشنفت باقراط مراسيمه آذان قبولها وحمل كل أسد حوزاء عتاده وامتطى جدى بغيه وعند كل ثور سنبلة زاده ودلو سقيه ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان وانسابوا انسياب

الحوت في بحار العدوان مجاوزين مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان فأبرد هلال القوس سهم برده بمرسومه الى كل صماخ يخبر أن جند الشتاء على عالم الكون والفساد أناخ فليستعد له الكفاة وليحذره العراة والحفاة ولا يكتفوا في كفه بكفافته فما كل كاف له كفوا لانه في هذه المرة آية من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا وان قصده بقدومه تبريد الانفاس وتشبيط الانوف والآذان واسقاط الاكارع وقلع الراس وأن فصل الخريف رائد جنوده وقائد بنوده وانموذج طلعته ومرآى عين غاشيته وعنوان مكاتبته ومقدمة كتيبته ثم تجري بعواصف رياحه البارده وخيم على العالم بخيام غيومه الصادرة والوارده فارتعدت الفرائص من زئيره ولاذ كل من الحشرات بقعر جحره خوفا من زمهريره وخمدت النيران وجمدت الغدران وارتجفت الاوراق ساقطة من الاغصان وخرت على وجهها الانهار جارية من الانجاد الى الاغوار وتحيست الاسود في أخيامها وتكنست الظباء في كناسها وتعوذ الكون من آفته واصفر وجه المكان من مخافته واغبرت خدود الرياض وذبلت قدود الغياض وراح ما كان بها من النضرة والارتياح وأصبح نبات الارض هشيما تذروه الرياح فاستسمع تيمور لفظات هذه النسمات واستبرد نفثات هذه النفحات وأمر باعداد لبوس القباب واستعداد بركستوانات الجباب واتخذ لصفاح الجد وسهام البرد من المبطنات الدرق ومن الفراء الزرد ثم ضاعف لملاقاة الشتاء مضاعفات اللباس وأفرغوا على قامة عزمه الثاقب وأمدها من كافات كفايته بأتراس ولم يلتفت الى كلام وملام واستكفى من الشتاء ما لبسه وأعده من كل كاف ولام وقال لعسكره لا تكترثوا بأمر الشتاء فانما هو بردو سلام وحين اجتمعت عساكره والتأمت أموره وأوامره امر أن يصنع له خمسمائة عجله وتضبب بالحديد ليحمل عليها اثقاله فبادر الشتاء خروجه بالدخول وأورد بانقطاع جراية عمره من ديوان الفناء الوصول فبرز في شهر رجب وقد أصبح البرد عجبا وأى عجب وسار لا يرق لمرق ولا يرثي لجسد من البرد محترق فوصل في سياحته الى سيحون وقد تجمد وبني عليه رائق النسيم الصرح الممرد قلت قد عنا شعر

على البحر قد عاينت جسرا ممددا * بناه اله العرش صرحا ممردا
بكيت مخلات الدمع في جنباته * رقيق رحيق في زجاج تجمدا

فعبره ومر ومضى على ذلك واستمر غاديا على لجاجه وأصر فقدم الشتاء عليه من
الجوانب بكل اعصار فيه نار وحطم جيشه بكل نكباء صرصر وضرب ثيات عسكره
بصره طول فيها وماقصر وهو بذلك الجمع الكثير يسير لا يحن لأسير ولا يجبر من
كسير يسابق البرد ببرده ويجاري الجرد بجرده ومرجه فجال فيهم الشتاء بجراجف
عواصفه وبث فيهم حواصب قواصفه وأقام عليهم نائحات صراصره وحكم فيهم
زعازع صنابره ونزل بناديه وطفق يناديه هلا يا مشوم ورويدا أيها الظلوم
الغشوم فالى متى تحرق القلوب بنارك وتلهب الاكباد باوارك فان كنت
أحد نفسي جهنم فاني أنا ثاني النفسين ونحن شيخان اقترنا في استئصال البلاد
والعباد فنحس بقران النحسين وان كنت بردت النفوس وبردت الانفاس فنفحات
زمهريري منك أبرد أو كان في جرائدك من جرد المسلمين بالعذاب وأصماهم وأصمهم
ففي أيامي بعون الله ما هو أصم وأجرد فوالله لا حابيتك فخذ ما آتيتك ووالله
لا يحميك يا شيخ من برد ريب المنون لواعج جمر ولا وهج لهيب في كانون ثم
هال عليه من حواصل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك الزرد وأنزل عليه وعلى
عساكره من سماء الزمهرير من جبال فيها من برد وأرسل عقيبها زوابع سوافيه
فحشتها في آذانهم وآماقهم ودستها في خياشيمهم فاستقبلت بها نزع أرواحهم الى
تراقيهم وجعلت تلك الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم
أصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج المنفضة كأنها عرصات القيامة أو
بحر صاغه الله من فضة فكانت اذا بزغت الصقعاء ولمع الصقيع ترا أي شيء عجب
سماء من فيروزج وأرض من بلور ملأ ما بينهما شذور الذهب فاذا هبت فيما بين ذلك
والعياذ بالله نسمة ريح على نسمة ذي روح أجمدت نفسه وجمدته وفرسه وكذلك
الجمل والجمال حتى أتت على كل مرتقى الحال وانتهى الشان الى ان طامت النار
وردا وصارت لواردها سلاما وبردا وأما الشمس فانها ارتجفت وجمدت عينها
من البرد ونشفت وصارت كما قيل

يوما تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وكان الرجل اذا تنفس جمدت أنفاسه على سباله ولحيته فيصير كأنه فروة
وقد رصع لحيته بجليده وان لفظ من فيه نخامة عاقده لا تصل الى الارض مع ما فيها

من الحرارة الا وهى بندقة جامده فانكشف ستر الحياء عنهم وأنشد لسان حال كل منهم شعر

فيارب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالى عالم لا تعلم
فان كنت يوما مدخلى فى جهنم * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

فهلك من عسكره الجم الغفير وأتى الشتاء على كثير من كبير منهم وصغير وشاط منهم أنوف وآذان وسقط وانحل عقد نظامهم وانفرط ولا زال الشتاء يهب ويصب عليهم بحارا وبحارا حتى أغرقهم فى بحارهم عاجزون حيارى ونودى عليهم مما خطيآتهم اغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وهو مع ذلك لا يلتفت الى من مات ولا يتأسف على ما فات

ذكر مرسوم أرسله الى الله داد بت منه الاكباد وفت القلوب والاعضاد وزاد ما حل فيه من هموم بانكاد

كان تيمور حين خرج من سمرقند أرسل الى الله داد باشباره مرسوما أذهب فيه قراره ونفر طائره عن وكر أحقانه وأطاره وفهم من فحواه بالاشاره أنه طالب دماره ومحتم أولا دمر وخرب دياره شدد عليه فيه المضائق وسد فى وجهه الطرق والطرائق واقترح عليه فيه بأمور يسهل عندها قطع الجبال ونقل الصخور ويعذب عند أدناها شرب البحور من أقلها أن يهيئ له بمفرده اقامة ليوم قدومه دون غده خبزا مأكولا له وقضيما لطعمه خيله ومن عرض ذلك مائة ألف حمل جمل طحينا خاصه وهو مخصوص به لليلة واحدة خاصه وانه مع عساكره الجراره لا يبيت سوى ليلة واحدة باشباره الى غير ذلك فلما اطلع الله داد على هذا الكتاب وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب علم أنه قد حل به العذاب فسلب وعيه وبذل سعيه وأخذ فى اعداد الطحين واجتهد فى ادارة الطواحين وكانت الطواحين أرقف من حال أديب فى هذا الزمن العجيب ومجارى مياهها أيبس من كف شحيح كان زمن القحط بذريه الدقيق فى الريح ودماء الانهار فى مجارى عروق الجبال ناضبه ودموع العيون فى آماق الغروب غاربه فبذل ما كان أعده لكل نائبة وشده وأهان نفائس الاموال واستعان على اجراء الماء بالمال

واستغاث بأولى النجدة من الرجال واستمد المدد من كل متردد واستنهض آراء المتفقين من الأصحاب واستدفع بهم ما نزل به من شخاب البلايات وناب وقرع لفتح ما ارتج عليه لا طاقة له به كل باب فاستجابوا دعاءه وأجابوا صداه ونداءه وتآوهوا لمضضه واستطبوا لمرضه وجمعوا من العملة والفعلة الأسود والسراحين فعملوا في سوق الأنهار من الأعمال ما يدير الطواحين وجعلوا يعاندون البرد ويقطعون في طريق الماء الجمد فكانوا كالضارب في حديد بارد والمكابد بترويق وعظه تليين قلب الجاحد حتى سهلت حزونه ورق لمكابدتهم فدمعت عيونه وصاروا لا يقطعون من الجليد مقدار ذراع بالحديد الأرهب نسفه يابسه على تلك الوجوه العابسه فاذا هب بارد النسيم قابله الماء بوجه بسيم فيبرد قلبه عن نارهم ويبرد لبه عن أوارهم فيجمد ما فرق ذلك فتضيق عليهم المسالك فيرجعون القهقرى ويمشون كالحبالى الى ورا والله داد مع ذلك يبذل الأموال وينادى مستغيثا يا للماء يا للرجال قلت

فكان كل منهم كالحمار * يخرج ما أمكنه بالمدار

يوقفه الماء لا جرئه * وكلما أرقفه البرد دار

الى أن وقع الاتفاق بين الرفاق أن هذه مسألة تكليف ما لا يطاق وحين تبين له أمرهم وتعين عنده عذرهم قارنه الحظ الحالك وتيقن أنه لا محالة هالك وأنه قد وقع في البلاء العريض الطويل وأن مخدومه ما طلب منه في ذلك المحز الدقيق الا لأمر جليل وكان بلغه ما رشاه به أضداده ونقل الى تيمور عنه أعداؤه وحساده وعلم أن خاطره تغير عليه وفعله مع محمد سلطان شاه وقد نقل اليه وكيف قتله شر قتله ونهب أمواله وأسر أولاده وأهله وكان متوقعا من تيمور أضعاف هذه الشرور لا يقر له قرار ولا يسكن له ليل ولا نهار وقد غسل من الحياة يده وودع حياته وأهله وماله وولده وقد قرب شهر الصيام وصار بينه وبين تيمور نحو من عشرة أيام وقد انقطعت الدروب وضعف الطالب والمطلوب مفرد

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الأمر أدناه الى الفرج

❊ذكر سبب انكسار ذلك الجبار وانتقاله الى دار البوار واستقراره في الدرك الأسفل من النار❊

وجعل تيمور يواصل التسيار حتى وصل كورة تدعى أنذار ولما كان بظاهره من البرد آمنا أراد أن يصنع له ما يرد الابردة عنه باطنا فأمر أن يستقطر له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحاره والافاويه والبهارات النافعة غير الضاره وأبى الله أن تخرج تلك الروح النجسه الا على سفات ما اخترعه من الظلم وأسسه فجعل يتناول من ذلك العرق ويتفوق أفاويقه من غير فرق لا يسأل أخبار عسكره وأنباءهم ولا يعبأ بهم ولا يسمع دعاءهم حتى سقته يد المنية كاسا وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم فانه لم يزل للقضاء معاندا وللزمان مجاهدا ولنعم الله تعالى جاحدا ولاشك أنه جاء ناقصا وتحمل مظالم فراح زندا فأثر ذلك العرق فى أمعائه وكبده فتزلزل بنيان جسمه وزعزع أركان جسده فطلب الأطباء وعرض عليهم هذا الداء فعالجوه فى ذلك البرد بأن وضعوا على بطنه وجبينه الجمد فانقطع ثلاث ليال وحكم أحوال الانتقال الى دار الخزى والنكال وتفتت كبده ولم ينفعه ماله وولده وصار يتقيأ دما ويأكل يديه حسرة وندما مفرد

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وجرعه ساقى المنية أمر كاس وآمن حينئذ بما كان جاحده فلم ينفعه ايمانه لما رأى الباس فاستغاث فلم يجد له مغيث ونودى عليه أخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث أخرجى ذميمه ظالمة أثيمه وأبشرى بحميم وغساق ومجاورة الفساق فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق يحمدلونه ويزبد شدقاه كالبعير المشنوق ولو ترى ملائكة العذاب وقد أظهروا استبشارهم وأخذوا على الظالمين ليحربوا ديارهم ويطفئوا نارهم ويهدموا منارهم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ولو ترى نساءه وحاشيته وهم حواليه يجأرون وأعوانه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ثم انهم أحضروا من جهنم المسوح وسلوا سل السفود من الصوف المبلول تلك الروح فانتقل الى لعنة الله وعقابه واستقر فى أليم زجره وعذابه وذلك فى ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان ذى الأنوار سنة سبع وثمانمائة بنواحى انذار ورفع الله تعالى برحمته

من العباد العذاب المهين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

(قلت شعر)

الدهر دولاب يدور * فيه السرور ومع الشرور
بينا الفتى فوق السما * واذا به تحت الصخور
كم من شموس فى سما * فلك العلاء لها يدور
لما استوت فى عزها * زالت وأ كسفها الفتور
وملوك دنيا أضرمت * من نار عدواها البحور
ملكوا البلاد وأهلها * ماضى الأوامر والامور
أغراهم الدهر الخؤ * ن وغرّ بالله الغرور
ضحك الزمان بثغره * لهم وقد ملكوا الثغور
فغدوا ذئابا فى الأذى * وغدوا أسودا فى الشرور
غنى لهم فتراقصوا * مثل الشخوص بلا شعور
وحكوا على باباتهم * طيف الخيال اذا يدور
وتوهموا أن الزمان مطاوع غير النفور
أو ان ما نالوه من * دنيا يفور ولا يغور
فتواثبوا وتضاربوا * وتكالبوا شبه الفور
وتلاكزوا وتلاحزوا * وتناجزوا الضرب المصور
وتناخزوا وتبارزوا * وتناقروا نقر النسور
هذا وان يتصالحوا * يتصالحوا مينا وزور
فتهافتوا فى نارها * متصورين النار نور
بيناهم فى عزهم * والدهر مكار غيور
انقض فيهم صرفه * كالصقر فى دقل الطيور
أمسوا كل منهم * كاللحم يلقى للصقور
لا ملك رذيد الردى * عنهم ولا ملك ودور
كلا ولا جيش ولا * ولد ولا مدد نصور
ثم اغتدت آثارهم * محوا لها نقش السطور

لم يبق منهم دهرهم * شيأ سوى ذكر يدور
ناهيك منهم فتنة * كالابحر الطاما تمور
الا هرج الدجال من * قصم الجماجم والظهور
داخ البلاد ودارها * ونوائب الدنيا تدور
أملى له الله الحليم * فزاد عدوا فى فجور
وأمده مستدرجا * اياه فى شئ يبور
اسيراه فى امضائه * حكما أيعدل أم يجور
فاجتاح كل الخلق من * عرب ومن عجم القطور
ومحا الهدى وغدى الردى * بحسامه الباغى يدور
أفنى الملوك وكل ذى * شرف وذى علم وقور
وسعى على اطفاء نو * ر الله والدين الطهور
بفر وع جنكزخان ذا * ك الظالم النجس الكفور
فأباح اهراق الدما * من كل صبار شكور
وأحل سبى المحصنات المؤمنات من الخدور
ورمى على النار الصغار كأنهم فيها بخور
وأضاف فى هذا الى * فعل الزنا شرب الخمور
طورا يرى نكث العهو * د وتارة نقض النذور
وعدا على السادات من * أهل الصيانة والوقور
من كل ذئب صائل * منهم ومن كلب عقور
فتمكنوا وقد بتكوا القلو * ب وبعد ما هتكوا الستور
وشووا جباها طالما * سجدت لدى الرب الغفور
وكووا جنوبا قد جفت * طيب المضاجع والظهور
واستخلصوا الاموال من * أيدى البرايا بالفجور
وسقوهم كاس السموم وجرعوا كاس الحرور
واستأسروا آل النبى * المصطفى الطهر الطهور
باعوهم من مشركى الا * تراك فى أقصى الكفور

وكذاك واحد أمه * من كل مقلات نذور
وجروا على هذى الجرا * ثم واستمر لهم مرور
مابين ايران وتو * ران البلاد لهم عبور
وامتد ذاك من الخطا * أخذا الى اقصى القطور
لما انتهى افساده * وتكاملت تلك الشرور
هجم القضاء لأخذه * ولكل تكميل قصور
حذفته أيدى الموت من * تلك القصور الى القبور
وتبدلت منه الكر * امة بالمذلة والعثور
ومضى الى دار النكا * ل بما تحمل من وقور
وتفرقت تلك الجمو * ع وهد ماشاد الدثور
أبقت عليه فعاله * لعنا على مر العصور
وتخلدت آثار ما * آذى على كر الدهور
فانظر أخى ثم افتكر * فى ذا المساء وذا البكور
لافرق عند الموت بين * شكور وفضل أو كفور
أين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالزبور
أهل السعادة والحجى * وذوو السيادة والوقور
المطفئو بدر السما * والمخجلو فيض البحور
كانوا اعظاما فى الصدور * وهم صدور فى البدور
طحن الردى تلك العظام وفت هاتيك الصدور
وسفتهم ريح الفنا * سفى الرمال يد الدبور
أين البنون ومن عدا * للقلب أقمارا ونور
كانوا اذا رفع الحجا * ب وزحزحت عنهم ستور
تلقى الدنا فدا أشرقت * كالشمس من حجب الخدور
من كل ظبى أحور * أو ظبية تزرى بحور
نشر الجمال عليهم * ثوب الدلال على حبور
وفدتهم مهج الورى * من شر أحداث الدهور

كانوا اذا سكنوا مكا * ناحركوه من السرور
كانوا على وجه الدنا * حدقا وللاحداق نور
وحدائقا لرياضها * وعلى حدائقها زهور
بيناهم في سكرهم * قد مازج الدل الغرور
والعمر غض والزما * ن مسلم لهم الأمور
واذا بساقي الموت فا * جأهم بكاسات الثبور
فسقى رياض حياتهم * قد حاأهاد الكل بور
تركوا فسيح قصورهم * رغما الى ضيق القبور
وسقوا كؤس فراقهم * صبرا الكل شج غيور
من شق حزنا جيبه * وافقدهم دق الصدور
لو كان ينفعه الرشى * او كان تجديه النذور
لفداهم و وقارهم * ورعاهم ربي الخدور
سكنوا الثرى فتغيرت * تلك المحاسن والشعور
ورعاهم دود البلى * وفراهم فرى الجزور
أمسوا رميما في الثرى * وثووا الى يوم النشور
يسعى المحب مخاطبا * أجداثهم يوما يزور
ينعى ويندب ناشدا * قبرا تناوشه الدثور
ويعزغ الخدين في * ترب يراها كالذرور
يدعو فليس يجيبه * الاصدى صم الصخور
بينما تراه زائرا * واذا به أمسى مزور
هذا بتقدير الاله * وحكم فعال صبور
دنياك جسر فاعتبر * واحرص على زاد العبور
واطمح الى اللب المنى * فجميع ما فيها قشور
لولم تك الدنيا وما * فيها هباء خيثعور
ماكان يزوى برها * عن كل صبار شكور
كلا ولا انقادت لمن * قد صار محتد الاكفور

هذا وقالب من عمى * في أرضها عرج وعور
خلق الحق فاشتوا * عنه الى مين وزور
يارب ثبتنا على * ما ترتضيه من الأمور
واغفر لنا ما قد علمت من الخطايا يا غفور
واختم لنا بسعادة * نكفى بها شر الغرور
وامنن لنا بتجارة * من باب فضلك ان تبور
وأدم سحائب رحمة * تهمى على بدر البدور
خير الأنام محمد * الشافع الزاكى الطهور
والآل والصحب الكرام وتابعيهم يا شكور

فصل فى ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور من حوادث وأمور وما ظهر من شرور وشرور

وكان لالله داد أحد الخلان يدعى سعادات نائب مدينة اند كان من ذوى النباهة والشهرة وهو أحد الامراء الذين توجهوا العمارة باش خمره فأرسل قاصدا الى الله داد انه ارتفعت مادة الفساد وأن تيمور ترك تبعة الممالك وتوجه بعماله الى درك مالك فوصل القاصد بهذا السرور رابع عشر رمضان من العام المذكور شهر ففرج عن الله داد همه وأزاح عنه غمه وكأنه استأنف له الحياة أورد راحلته التى عليها طعامه وشرابه بعد ان أضلها فى فلاه وسيأتى حكاية الله داد وأمره وما جرى له بعد ذلك الى آخر عمره

ذكر من ساعده البخت واستولى بعد تيمور على التخت

فلما انقضى تيمور نحبه وأزال الله عن العالم كربه لم يكن معه فى أجناده من اقاربه وأولاده سوى خليل سلطان بن أميران شاه حفيده وسوى سلطان حسين ابن أخته الذى هرب الى السلطان فى الشام عند وروده فأرادوا كتم هذه القضيه وأن لا يشعر بها أحد من البريه فشاعت وراعت وعلى رغمهم ذاعت فاضطربوا واضطرموا واصطدموا واصطلموا فاطلع الناس كلهم على ذلك وفهموا وعلموا أنه قطع دابر القوم الذين ظلموا فخلت العساكر وأخلوا وحملوا عظامه والى سمرقند قفلوا وساعد خليل سلطان البخت وخلاله الجو فاستولى على التخت وكان

أبوه أميرانشاه متولى ممالك أذربيجان وما والاه وعنده ولداه عمر وأبو بكر وبينهم
وبين ماوراء النهر من الاطواد والانهار مائة سباسب وألف سكر وكان أبو بكر
هذا فى الجغتاى من الفوارس والضار بين بالبيض الهمام والقوانس يذكر أنه كان
يوقف بقرة أو ينيخ بكرة ويضربها بالسيف ضربة لا ضربتين فيجعلها قطعتين
مفصولتين وأميرانشاه هذا قتله قرايوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك
أذربيجان وولده عمر قتله أخوه أبو بكر وأبو بكر قتله ايدكو متولى كرمان
ومصافاتهم مذكوره وحكاياتهم مشهوره وشاهرخ كان فى هراة من ممالك
خراسان وبير عمر كان فى ولايات فارس وتلك البلدان وتيمور كان جعل ولى
عهده محمد سلطان وهو وان كان من أحفاده لكنه قدمه على أولاده لما لاح
له من فلاحه وظهور رشده وصلاحه فعانده القضاء فيما يروم ومات كما ذكر
فى اقشهر من بلاد الروم وكان له أخ يدعى بير محمد فجعله تيمور ولى عهده من بعد
فلما هجم عليه رائد الموت وأهاب روحه الخبيثة بأزعج صوت كان مستغرقا فى بحار
غفلته مسترخيا ارجاء مهلته فذبحه اعتباطا وسام عسكره اختباطا وكان
اذ ذاك من أولاده وأحفاده بعيد الدار مستقر القرار آمنا من البوار فارغا عن الدمار
وهم كتيمور غافلون وبير محمد فى قندهار وهى بين حدى خراسان والهند وبينه
وبين ماوراء النهر سباسب وقفار فلم يكن أقرب الى دار الملك الذى أنشاه وهى
سمرقند سوى خليل سلطان بن أميرانشاه مع أن أقطان الشتاء وندافه كان قد بسط
على فراش الارض لحافه وندف عليه من أقطان الثلوج ما غطى وجه العالم وأطرافه
وطى ظهوره وأكنافه فلم يقدر أحد من أراذل الحشرات أن يخرج رأسه عن اللحاف
أو يفتح لثغر زهرة أغلاقه فى كم كميم خوفا من جانى النسيم أن يبادرها باختطاف
الاقتطاف فضلا عن أنه يتمطى فى فراش أهبة الى حركة سفر فيمد يده نحو بطش
أو رجله نحو طواف فاستولى خليل سلطان على ذلك المغنم البارد من غير منازع
وعديل واستبدل الملك ال العالم من جهنم الكوثر السلسبيل ونادى لسان
السلطنة فى رفعتها انعم البديل بدلت عن بغيض بحبيب وعن عدو بخليل وتمكن من
العساكر والامراء وخلاصة الجند وأساطير الزعماء واحتوى على تلك الأمم
وطوائف الرؤس من العرب والعجم وأدخل الجميع فى ربقة المتابعه وفتح لهم فى

أسواق الصداقة حوانيت الصلاة نعاملوه بعقود المبايعة ولم يمكن أحد منهم الخروج عن الدخول في الطاعة والتخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم ولا ساعة فطلق لهم البشرة وأحسن معهم العشرة وكان يوسفي الخلق محمدي الخلق خليلي الرفق اسماعيلي الصدق جمع حروف الآخرة وحاز صنوف الصباحة نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف والنون على أحسن ما يكون من الحركات والسكون فأول ما شق على لوح الجمال ألف قده القويم فباء له كل من قام عن لام عذاره متقوسا في خدمته كالدال والجيم وحسن لكل راء ما فيه من زين وما شين سين ثغره وميم فمه فاها بخلف ولا مين فاستقى بوابله كل قاف واستكفى بنائله كل كاف وأمطر من عين كفه العين فصاد من الجند كل ذي لام وباء ودال بذلك على كل من باء عن وعده ورجع عن عهده وفاء ففدت الواقيات مهجته ورقت من عين الحوادث بهجته وعوذت منه الارداف بالطور والاحقاف وحمت نون حاجبه وفاه وطرفه وطرته وردفه بحم عسق وفتحت له الملوك بالثناء فاها وخفضت لارتفاعه خدودها معوذة له قائلة ياسين وطاها

﴿ذكر خلاص العساكر من البلاء وقفولهم مع عظامه الى سمرقند﴾

ولما ذبح قصاب الفناء تيمور ونحره جزره كالجزور وحمل بخور كالثور وبقره ثم اراد أن يصليه من نار الجحيم حفره فاستغاث بخليله فاجاره وأخره وقال لا تعجل عليه وحمله في محفة بعد العجلة وصبره وألوى راجعا الى سمرقند وكان قد انحل نهر خجند وطالب الشتاء قد أدرك ثاره وبرد قلبه وسكنت الحرارة قلت

ورق للعالم قلب النسيم ✽ وأقبل الدهر بوجه بسيم

ثم هجم جيش الربيع المنصور فانهزم جند البرد فوقى وهو مكسور

﴿ذكر ما أضمره وراء تيمور وأخفاه كل منهم في التامور﴾

وكان في أفلاك ذلك العسكر سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر وبآرائهم يقتدى وبرؤيتهم يستضا قلت

من كل منتخب للامر منتجب ✽ كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما

قد هذبتهم الامور وشذبتهم بلا يتيمور واستفتح بهم المغالق واستوسع

بصدماتهم المضائق وتخاص بحملاتهم من شدة كل مارق وتوصل بعزمهم الى نيل المآرب وتوسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب وكان هو البدر وهم الهاله وهو الفاعل وهم الآله وهو الروح وهم الحواس وهم الأعضاء وهو الراس فلما كورت شمس مراكبهم وانتثرت كنس كواكبهم ورحل زحلهم وخاب أملهم قلت

وعرض الكون الدجا بالضحى * وبدل المريخ بالمشترى

أجال كل منهم قداح فكره وتدبر فى ذلك الحادث وعاقبة أمره واستصغر خليل سلطان وعلم أن موج المنازعة سيأتيه من كل مكان وأنه لا يصفو له ورد الملك من مكدر ولا هواه من مغير وأقل الاشياء أن يقول له رسول آكابر أقاربه كبر كبر فأعد لكل شدة شده ولكل عدة عده ولكل حزة حزه ولكل بوس البسا ولكل سهم ترسا ولكل نائبة نابا ولكل بائقة بابا ولكل خطبة خطابا ولكل خطاب جوابا ولكل حرب حرابا ولكل أمر أمرا ولكل غدر غدرا ولكل أزمة حزما ولكل نصب نصبه ولكل كسرة جزمه ولكن شكيمة البرد دقت جماح كل جموح وصفيحة الجمد قدت جناح كل صيوح فأوسع كلا منهم الا الاطاعه والانقياد لامر خليل سلطان بالسمع والطاعه واستمروا معه على القفول مضمرين لخليل ما أضمره للحبيب عبد الله بن أبى بن سلول وكان أحدهم يدعى برندق فرام الى التحصن بقلعة المخالفة التسلق فقال لخليل سلطان ان اقتضت الآراء أن تقدم وأمهد لك الأمور الى حين تقدم وأكون رائد دولتك وقائد سلطنتك فأشيد القواعد وأبشر الصادر والوارد فيكون كل مستعد للاقاة ومهيأ أسباب الموافاة فأذن له وأمامه أرسله فوصل الى سيحون وقد عقد عليه جسر بالمراكب وهيأت أسباب عبوره لكل راجل وراكب فعبره برندق بجماعته ثم أمر بقطعه من ساعته وأعلن العصيان وقصد سمرقند مجاهرا بالطغيان نظم اتفاق

فكشرت أسوارها * فى وجهه أنيابها

وأسبلت عصمتها * ببابها حجابها

واستعدات على جبين منعة نقابها

فاستدرك فارطه وسلك فى مسألة منطقة المغالطه ووصل خليل سلطان الى

الجسر فوجد عقده قد انحل ونظامه قد اختل فلم يكترث بزندق وما فعل بل عقده مرة ثانيه ودخل وولى ماوراء سيحون من البلاد متوليها أولا وكان يدعى خدايداد وهو من أكبر أعدائه ومن رفقاء تيمور ونظرائه ومنسوبا الى السلطان حسين وهو فى تلك البلاد بمنزلة الرأس والعين فلم يسع خليل سلطان الا مسالمته واقراره فى بلاده ومهادنته اذ أموره كانت فى أوائلها ففوض اليه أمرها والقلوب فى غوائلها

ذكر وصول خليل سلطان بما ناله من سلطان الى الاوطار

ثم توجه الى سمرقند واستقبله كبراؤها وخرج اليه ثانيها وزعماؤها ووفد عليه نواب البلاد منغمسين فى السواد لابسين أثواب الحداد وجاء الاكابر والعظام معظمين هاتيك العظام ومهنين خليل سلطان بالسلامه ونيل سرير الزعامه قلت

وجه كل قد غدا * مثل الربيع القادم
بعين سحب قد بكت * وثغر زهر باسم

وحملوا يقدمون التقادم السنيه والحملات البهيه وهو يقابل كلا منهم بما يليق بحشمته وينزله فى منزلته وقال ابزندق لاتثريب وقابله مقابلة الخليل الحبيب ومهد لهم بساط المباسطه وسلم اليه مسألة المغالطة وحين ثبتت أوتاده اقتلعه وألقاه على غفلة فى فم أسد المنية فابتلعه ثم أشلى على دياره كلاب النهاب وشهاب الالتهاب فرق أديمها وهتك حريمها ومحا حديثها وقديمها

ذكر مواراة ذلك الجثث والقائه فى قعر الجدث

ثم انه أول ما اشتغل بمواراة جده وتجهيز أمره والقائه فى حفرة لحده فوضعه فى تابوت من أبنوس وحمله الرؤس على الرؤس ومشى فى تشييع جنازته الملوك والجنود حاسرى الرؤس لابسى الثياب السود ومعهم طوائف الأمراء والأعيان وأنزلوه على حفيده محمد سلطان فى مدرسة حفيده المذكور بالقرب من مكان يسمى روح أباد وهو موضع مشهور فكان هنالك على أثاف فى سرداب معلوم غير خاف وأقام عليه شرائط العزاء من اقراء الختمات والربعات والدعاء وتفريق الصدقات واطعام الاطعمة والحلاوات وسنم قبره وتجز أمره ونشر على قبره اقمشته وعلق

على الجدران أسلحته وأمتعته كل ذلك ما بين مكلل ومرصع ومزركش ومصنع أدنى شيء من ذلك يقوم بخراج الاقليم وجبة من كدس تلك الجواهر تفوت التقويم وعلق نجوم قناديل الذهب والفضة فى سماء غواشيها وبسط على مهادها فروش الحرير والديباج الى أطرافها وحواشيها ومن جملة هذه القناديل قنديل من ذهب زنته أربعة آلاف مثقال رطل واحد بالسمرقندى وبالدمشقى عشرة أرطال ثم رتب على حضرته القراء والخدمه وارصد على المدرسة البوابين والقومه وقدر لهم الادرارات من المسانهات والمياومات والمشاهرات ثم نقله بعد ذلك بمدة الى تابوت من فولاذ صنعه رجل من شيراز ماهر فى صنعته أستاذ وقبره فى مكانه المشهور تنقل اليه النذور وتطلب عنده الحاجات وتبتهل عنده الدعوات وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما وربما تنزل عن مراكبها اجلالا له واكراما

(فصل فى اعتدال الزمان واخبار خليل سلطان) ولما أخذت تيمور الصيحة بالحق فصار غثا وقعد خليل سلطان على التخت وقام الشتاء بعد ان كان جثا مد الشعراء ألسنتهم للزمان بالمدح ولخليل سلطان بالتهنئة ولتيمور بالرثا فسمع الشتاء وغنى صوته وأجاز ورفع عن العالم فى نهوضه الكلاكل والاعجاز فابتهج الكون بورود الربيع وشكر الروض للسحاب ما أسداه اليه من حسن الصنيع ورفع على الروابى من الشقائق أعلامه ونصب مما أظهره خيام الصنع من أزهار الاشجار خيامه ونور الحدق بأنوار الحدائق واستنطق بتسبيح الخالق من خطباء الاطيار على منابر الأغصان فى جوامع الرياض ما استنصت بلغاته كل ناطق من كل مغرب فى ديوان الفصاحة رائق ومعجب بأسرار البلاغة فائق فرقصت الاشجار لغناء الاطيار وصفقت الانهار واعتدل الليل والنهار واكتسى البسيط الاغبر خلع السندس المزهر وتبدلت الأغصان من قطنى الثلوج كل ثوب بأصباغ القدرة مزهر وبدمقس الأزهار منسوج وكل قباء صار مزهرا فى كل دف أغن اسكل طائر وفروج وبسط الكون على المكان لاقدام خليل سلطان شقق الورد والريحان

(فصل) ولما فرغ خليل سلطان من ذلك شرع فى تمهيد الممالك وتسليك المسالك وعلم أنه لا يتقيد به انسان الا بقيد الاحسان ولا يجتمع له البال الا بتفريق

المال فعقد القلب على فك طلسمات الختوم وحل الرموز وصرف الموانع والتوابع عن تلك المطالب والكنوز وقوى العزيمة على فتح الخبايا وصيد عصافير القلوب بحب قدحبات الهبات تحت شباك العطايا ففرق ما كان شتت جده في جمعه وشغل البرايا وثقل الكواهل بتخفيف ما أثقل ظهر غيره بالمآثم والخطايا وأوسق أجمال الآمال وربوع الاطماع بالاموال وأمطر أيادي يمينه بالنوال ففاض الخير من صوب الشمال وملأ الافواه والمسامع والمقل من الناس بما أفرغ من حواصل الكنوز والصناديق على أغتام الجند والاكياس فنثر أغصان الدوح عند ورود الربيع أصناف أزهاره فكأنه أنامل كفه المنتظمة في نثار درهمه وديناره وجاد السحاب بدرده وأمطاره فضاهى جود جوده الهامي على العالم وأقطاره فقيد الناس كلهم بهذا القيد ومحا صراف بذله من بين له بالاطاعة فرق عمرو وزيد

ذكر من أظهر العناد والمراء وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء

غير ان بعض تلك القواد وزعماء الوزراء والاجناد أعلن ما كان أسر ووضع المضمر من العصيان موضع المظهر فأول من شهر سيف العصيان وفوق سهام العدوان وشرع بمخالفة الرديني خدايداد الحسيني متولي ماوراء نهر سيحان وأطراف تركستان فوجد من كان عزم على نقض يده من عقد الطاعه اماما يقتدي به في البغي ومفارقة الجماعة لاسيما وقد كان صواغ الربيع قد أذاب بجمراته سبائك الجمد والثلوج ورصع بما أخرجه من ذلك ديباجة الارض وروضات الجنات وأرباض المروج واسمعت أصوات الحشرات صيحة الرعود بالحق فقالت ذلك يوم الخروج فاقتفى خدايداد في العصيان والعناد شيخ نور الدين وكان عند تيمور من المتقدمين وذوي الآراء والتمكين فنخزل جهارا وسار ليلا ونهارا فوصل الى خدايداد وقوى منه الظهر والاعضاد وشاركه في التمرد والفساد ثم بعده فرط نظام الطاعة شاه ملك وأخذ في طريق المخالفة وهو منهمك وخرج من سمرقند وهو يصرخ وقطع جيحون ووصل الى شاه رخ وكان نظير شيخ نور الدين اذا رأى مكين وفكر رصين فلم يكترث خليل سلطان بالعاصي وأكرم من لم يعص وعمم بتاج انعامه كل راس وما خص

(ذكر أخبار الله داد صاحب أشباره واخلائه اياها وقصده دياره وما سنه في تدبير الملك وآثاره قولا وفعلا واشاره الى ان أدرك في ذلك دماره وبواره)

ثم ان الله داد جمع أخصاءه ليلة ورود الخبر اليه وشاورهم فيما يصنع وما يبنى أموره عليه فاتفقت كلمتهم واجتمعت مشورتهم على قصده دياره واخلائه أشباره فانهم كانوا في ذلك المكان كالفسيق في شهر رمضان والزنديق بين قراء القرآن فلما طوى الجوملاءته المسكيه ونشر على المكان مروطه الكافوريه وألقى ثعبان الفجر من فيه على هذا السقف المرفوع خرزته المضيه حضر الى خدمة الله داد أمراء الجيش على عادتهم ورؤس الاجناد من الترك والخراسانيين والهنود والعراقيين فاختلى بافاضلهم وصدارة مقاولهم ونشر لهم من هذه القضيه طيها وطلب من آرائهم فيها رشدها وغيها واستكتمهم أمرها لئلا يستنشى المغول نشرها وانى لعين الشمس في الصحو الاستتار وكيف يخفى على ذي عينين النهار فكل منهم فوض الامر الى مرسومه وطرح قصة هذه القضيه في جيب مكتومه فاستدعى من أولئك الرفاق ان يكونوا معه فيما يراه على طبق الوفاق فاجابوه الى سؤاله وربطوا أفعالهم باقواله فاكد ذلك بطلب ايمانهم وان أسرارهم في ذلك كاعلانهم فشرع كل في المحالفه انه ليس في موافقته مخالفه وانه مهما رآه الله داد امتثله وما أمر به فعله وحين أمن مخالفتهم وعصيانهم وحصل له اليسار بربط أعناقهم بايمانهم قال أي جماعة الخير وقيم الضر وكفيتم الضير أرى ان أكون في صلاة هذا الامر امامكم فاتقدم بجماعتي الى سمرقند امامكم فامهد الامور لكم وارسل الى بلدكم هذا بدلكم وايم الله لا آخذ في قرار ولا هدو ولا اترك كلكم مضغة لماضغ ثغر العدو فان رأيتم ان تضبطوا بحسن الاتفاق أموركم وتحفظوا قريحة وردقلعتكم من سورة شارب العدو وسوركم فلن امهلكم الا بقدر ما أقطع نهر خجند واصل الى سمرقند فامهلوني ريثما أصل وبخليل سلطان أتصل فتبعوا مراده واتفقوا ما أراده وعاهدوه أن لا يختلفوا من بعده ولا يحلوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده ثم أمر عليهم رأس جنود العراق وكان هو أكبر الرفاق بالاتفاق وقرر لكل مسلحة في أمر ارها من كل سالح جزأ مقسوما

وصار زعيم أولئك الصالحين كالنبي في أمته مع أنه كان يدعي معصوما

﴿فصل﴾ ثم أمر الله داد بتجهيز الامور وخرج سابع عشر شهر رمضان المذكور ولم يلتفت الى بردو حر وكان قد استوطن اشبارة واستقر ونقل اليها حريمه وأولاده وبذلك أمر حاشيته وأجناده فاقتلع الكل معه كبيرا وصغيرا ولم يدع مما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا فساروا تارة دبيبا وحينا زحفا وطورا تسومهم الارض من تحتها خسفا وآونة تسقط السماء عليهم كسفا فادركهم العيد الموموق في مكان يدعى فولاتجوق من أبرد البلاد كأنه ينبوع ريح عاد قلت شعر

اذا احتاجت جهنم زمهريرا * تنشق منه أنفاس الهجير

﴿ذكر ورود مكتوبين الى الله داد من خليل سلطان وخدايداد تخالفت معانيهما وتصارمت مجاريهما﴾

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان يذكر فيه ما حصل لجده من حادث الزمان وانه استولى على سريره وأطاعه من الملوك كل كبير القدر وصغيره وان الامور بحمد الله مستقيمة وقواعد الملك على عاداتها القديمة مقيمة فلا يحدث أمرا ولا يخرج من بحر مدينته برا وليسد ذلك مكانه وليتثبت باشبارة مع طوائف جنده وأعوانه وليطب خاطرا الجزء والكل فانه عقيب ذلك يرسل اليهم بدل الكل من الكل فتحير الله داد وتفكر وحاسب نفسه هل يربح في سفره ذلك أو يخسر ففكر وقدر فقتل كيف قدر فبينما هو في أمره يعيد ويبدي ويلطم في شقة أفكاره ويسدي واذا بقاصد خدايداد ورد عليه يستحثه على الخروج من أشبارة والوصول سريعا اليه فوجد الخروجه من أشبارة عند خليل سلطان مندوحه وعاش فنام وهو مغمض العينين بعد أن مات وعيناه مفتوحه فطوى بساط تردده وتوجه يبسط أمله نحو مقصده ولكن كان بينه وبين المراد خرط القتاد والموانع التي ذكرها صاحب الوصول الى سعاد مع زيادة ثم رسيحون وخدايداد فواصل التأويب والاسآد حتى وصل الى خدايداد فابتهج برؤيته واستنجح مقصوده بطلعته ثم قطعا نهر خجند وقصدا ضواحي سمرقند ووصلا على حين غفلة وفترة الى مكان يسمى تيزك وقد شهرا للعدوان الحسام وشرطا للفتك النيزك فاحتاطا على جشار تيمور فنهباه وتغلبا على

ما وصل اليه من نقد وجنس فسلباه وأكثراهنالك شرا وفسادا وأشبها في ذلك تسعة رهط ثمود وارعادا وكانت هذه أول شرارة شر ويدعة سقطت من سقط الزند وبسطت يدها بالفتن بعد قبض تيمور في ممالك سمرقند لان أهلها كانوا قد أمنوا الشرور ووقوع الفتن في حياة تيمور فجئهم أولئك المفترون أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك في شوال سنة سبع وهو العام الذي خلا فيه من تيمور الربع وما امكن السلطان خليل تدارك هذا الخطب الجليل

﴿ذكر من خلفه الله داد باشبارة من الطوائف وما وقع بعده بينهم من التناكر والتخالف﴾

وأما أمر من خلفه الله داد في أشبارة من طوائف الاجناد فانهم خافوا من المغول حلول حينهم فتحزبوا واختلف الاحزاب من بينهم فنهم فرقة قال قائلهم أنا على عهدي قوي فلا أخون وأمين وقد استمسكت يدي بعروة عهد مكين وارتبطت بحبل حلف فلا أصير من أهل الشمال باليمين وأدنى ذلك ان نصبر حتى يصل من الله داد رسول أو كتاب وننظر ما يبين فيه من سلوك سنة فنميز بصائب نظرنا الخطا في ذلك من الصواب فان وافق ذلك مرادنا امتثلنا ما يقول واتبعنا في ذلك الكتاب والرسول وتوجهنا في تلك الساعة سالكين اسنة مع الجماعة وان جاءنا في كلامه بخطاب أجلح عدلنا الى الاعتزال ومال كل منا في مصلحة نفسه الى القول بوجوب رعاية الاصلح ومنهم شيعة مالت الى رفض تلك الداره والمبادرة الى الخروج من أشباره وانتقلوا من تكرار هذه المجادلة الى القتال وقطع رأس أحد رؤس الخراسانيين في مصف النزال ومنهم طائفة أهمتهم أنفسهم فلم يلبثوا الاعشية أو ضحاها ثم تحملوا وخرجوا من المدينة وتركوا الدار تبكي على من بناها فلم يسع الباقين الا اتباعهم في الخروج لان مقامهم من أول الزمان هنالك كانت كبنيان القصور على الثلوج فتحملوا بقضهم وقضيضهم وتجهزوا بصحيحهم ومريضهم وتركوا البلد بما فيه من غلات ومستغلات ونعم وخيرات وأموال رائقه ونفائس مدهشه ولم يبق فيه من تلك الامم المسجونه سوى ما عجزوا عن حمله من أموال مشحونه وسوى امرأة واحدة مجنونه ولحقوا بالله داد وهو عند خدايداد

لم يعنف واحدا منهم بما فعل واعتذر اليهم بأن خدايداد منعه أن يتوجه الى سمرقند ويجهز لهم البدل وأمرهم بالاقامة معه مستوفزين وأن يكونوا الفرصة التوجه الى سمرقند اذا لاحت منتهزين

﴿ذكر ما تم لالله داد مع خدايداد وكيف ختله وخبله واسترق عقله وسلبه﴾

ثم ان خدايداد تحقق بوقوع هذا الفساد تأكد العداوة بين خليل سلطان والله داد فركن اليه بعض الركون وجعل يستشيره فيما يصير من أمره وما يكون وكان عند خدايداد طائفة من مماليك الاجناد تخلفوا من العساكر في تلك البلاد وقد ضيق عليهم المسالك واراد أن ينتقم من مالك الى مالك فلم ينعم له الله داد بذلك وقال ان عادة الاكياس استجلاب خواطر الناس خصوصا في مبادي الامور وحدوث أوائل الشرور فلا تنفر عنك الخلق وطامنهم أولا بالاحسان والملق وأى فائدة في قتل هؤلاء وتعزيق أديهم سوى نفي الصداقة وتأكد العداوة بيننا وبين مخاديمهم وربما يكون في خاطر أحدهم مخاديمهم نفرة من خليل سلطان ويروم لذلك ظهيرا أو ملجأ يلوذ به من رفيق ومكان فتلجئه الضرورة الى أن يقصد ممالك تركستان فاذا آذيته في متعلقيه أفى يبقى له اليك ركون واطمئنان وأقل ما تفعل مع هؤلاء بالاحسان امساك بمعروف او تسريح باحسان ومخاديم هؤلاء لنا رفقة ولخليل سلطان أصدقاء فان زرعت معهم الجميل ملكت كل رفيق وخليل وألقيت العداوة بين من عاداك من صديق وخليل فلما سمع كلامه ألقى الى يده من ذلك الامر زمامه فأشار عليه بسراحهم واحسان اليهم في غدوهم ورواحهم فزاد في نجاحهم وراش مقصوص جناحهم وصرفهم بالعز في طريق مراحهم فدارت بالسعد أفلاكهم واجتمعت بهم أملاكهم وملاكهم

﴿ذكر ورود كتاب من خليل فيه لفظ رقيق لحل أمر جليل﴾

ثم ان وافد خليل سلطان وفد الى الله داد يطلب منه السعي في لم الشعث فيما وقع بينه وبين خدايداد وأن يستعطف خاطره الى الرضا ويستقبل المودة في الحال ويعفو عما مضى ومهما طلبه يتكفل به ويعد قربه من أفضل قربه ويكون هو السفير بينهما ويقرب الصلح عنهما فتوجه الله داد الى خدايداد وأبلغه هذه الرساله وبين له

ماقى هذا القول من رقبته وجزاله وسبب العداوة التى كانت بين خليل سلطان وخدايداد على ماذكر أن خليل سلطان كان فى أوائل الزمان مجاورا لخدايداد فى تلك البلاد وكان جده جعله ناظرا عليه وفوض أمور تربيته اليه وكان كزا جافيا وخلفا جاسيا فكان يعامله بالفظاظه ويقابله بالكثافة والغلاظه وكان خليل سلطان لطيف الذات ظريف الصفات نسيم أخلاقه لا يحمل من خدايداد زعازعه وبرد مزاجه اللطيف لرقة حاشيته لا يثبت لمجاذبة المشاقة والمنازعه فتولد من تلك القساوه بينهما العداوه وسعت بينهما الوشاه الى ان دس له مهلكا فسقاه فكانه أحسه فتدارك نفسه وتعاطى علاجه ومايصلح مزاجه فقضى الزمان أن نصل من تلك الداهيه فجاء منها رايتها كانت القاضيه وبقى فيه من ذلك أرج وأورثه العرج فصارت العداوة خاصه عامه وغدت هذه الفعلة لهذا المعلول علة تامه

(فصل) ثم ان الله داد حلف لخدايداد الايمان الغلاظ الشداد وأكد هذه الايمان بأن استصحب معه القرآن واشار اليه ووضع يده عليه وزاد تأكيدا بأيمان الطلاق وبالالتزامات والنذور والعتاق انه لا يقبض عن طاعته يدا ولا يستحيل عليه أبدا وانه ان توجه الى سمرقند يجهد فى رأب ما انصدع ورد ما انقدع ورتق ما بين الجانبين انفتق ورقع ما فى خواطرهما من الشحناء والعداوة انخرق وأن يجهزله تومان احدى نساء تيمور وحاصل الامر انه تكفل بحسم مواد الشرور واصلاح الأمور وان عجز عن رفع الشنآن ومحو سطور العدوان فانه لا يستحيل عن مصادقة خدايداد فى السر والاعلان وصار يتماق ويترقق ويتوصل بتمويهات زخارفه الى مجارى فكره ويتساق ويشدد ايمانا ترجف القلوب وتصدع بالله الواحد ويثنى بالطلاق الثلاث من زوجاته الأربع وكان مخيمهم على ساحل سيحون عندا وهو من شاهرخيه نحو من بريدين بعدا فعبرسهم ختله الى سويداء قلبه بمكر ودخل وغربله اذ ظحن معه ناعما ما زرعه بينه فى ساحله ونخل الى أن سمح باطلاقه بعد تأكيد عهده وميثاقه فرحم الله داد الى وثاقه واجتمع بحاشيته ورفاقه وكانوا فى شاهرخيه وأخبرهم بهذه القضيه وكان قد هيأ قبل ذلك أمره وأخذ من كل جهة أسلحته وحذره ثم انه شمر الذيل وقطع سيحون بالمراكب تحت جنح الليل

﴿ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان وحلوله مكرما معززا فى الأوطان﴾

وحين حصل على هذا الجانب ولم يبق له فى ذلك الجانب حاضر ولا غائب أمرفى الحال بعكم لا احمال وشدد الاثقال وأخذ الاهبة قبل النهبه فأفرغوا عليهم سوابغ السلاح وأذن بصلاة الرحيل قبل الصباح وقدم ضعفة أهله والاثقال أمامه ونقض بهذا الاذان شروط الاقامه وطير الى خليل سلطان مخبرا بهذه الأخبار وماجرى بينه وبين خدايداد وكان وصار ويستمده باستقبال المدد وارسال العدد لاحتمال أن خدايداد الابله يتفطن لغاية هذه الفعله فيخطر بباله رده م ويرسل وراءهم من يصدهم ثم ساروا كالسهم الصائب وصاروا كالنجم الثاقب فما أصبح لهم الصباح الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح وجازوا كل قاتم الاعماق خاوى المخترق وقطعوا على أتوال السير بما أسدته مطاياهم من زهر الرياض ألوان الشفق فواصلوا بالسير سراهم فساروا نهارهم أجمع حتى غشيهم مساهم وحين أخذهم اللغوب وكل الراكب والمركوب وسدلت عليهم صنفاة الظلام الجناح عدل بهم الى بعض البطاح وحط عنهم واستراح ورسم أن توقد نار ولا يطمع أحد فى طعم النوم بغرار ولا يشام فى جفن طرف سيف ولا سيف طرف ثم لتهموا ما يسد الرمق وصلوا صلاة الخوف فعبدوا الله على حرف وأهملوا ريثما قطعت الدواب العليق ثم أمر فحملوا وركبوا متن الطريق

﴿ذكر تنبه خدايداد بان الله داد خلب عقله بانكال وانكاد﴾

ثم ان خدايداد تنبه من رقدته وارعوى من ليلته وعلم أن الله داد خلبه نهاره ذلك وسحره وكشف شمس عقله واعب به فى دست حافسه وقمره فعض كما يعض الظالم على يديه وعين فى الحال عسكرا جرارا وانفذه اليه فأسرعوا وراءه والتمسوا لقاءه فلم يروا له عينا ولا اثرا ولا رووا عنه من أحد حديثا ولا خبرا فلم يزالوا فى طلبه حائرين دائرين ثم غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ووصل الله داد الى مقصده فوجد وظيفة الوزارة شاغرة فستولى عليها بمفرده اذ قبل دخوله كان شيخ نور الدين قد خرج وشاه ملك وكل من رام العصيان كان قد دب ودرج فابتهج بقدومه خليل سلطان وقدمه كما كان على سائر الوزراء والأركان فتمكن الله داد

كيف شاء وتصرف فى معانى الملك ببديع بيانه اخبارا وانشاء وتعاطى فى الحال تمهيد الأمور وتجهيز السرايا وحفظ الثغور فتراجع أمر الناس وانضبط وانتظم عقد الملك بعد ما انفرط واستقر حال الناس وتمكنت القواعد على الاساس وكان هو وبرندق وأرغون شاه وآخرون يدهى تحول يدبرون مصالح المملكه ويسلكون بكل أحد مسلكه ولكن الله داد هو الدستور الأعظم والمشار اليه المفخم وعليه مدار القبض والبسط ونظام عقود الحل والربط واستمر شيخ نور الدين وخدايداد يغيران على البلاد ويزيدان فى الشرور والفساد واستوليا على أطراف تركستان وعمالك تلك البلدان منها اسبرام وناشكند واندكان وخجند وشاهرخية وتنكار وسغناق وغير ذلك مما فى تلك الأكناف والآفاق فكانوا ينطعون سيحون ويتوجهون الى ممالك ماوراء النهر ويغيرون فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان وتارة يجهز لهم طوائف من الجند والأعوان وعلى كل تقدير فانهما كانا لاينثنيان وينهزمان وسيأتى ذكر ذلك كما كان

﴿ذكر ماوقع فى توران بعد موته من حوادث الزمان﴾

وأما المغول فانه لما اتصل بهم خبر وفاة ذلك المخذول وكان بلغهم أنه قد صوب أحجار كيده الى هدم تلك الثغور وفوق نبال قصده الى خرق تلك البطون والنحور ولم يشكوا فى أن ذلك شرك مكيده وأحبولة صيده فلم يقر لهم قرار وتنادوا الفرار الفرار وتشتتوا فى البلاد وتشبثوا بأذيال القلاع ورؤس الاطواد ولجأوا الى الحصون والجروف وتماووا فى قعر المغارات والكهوف وكذلك كل ذى عين من أهل الدشت والشمال وتوزعوا فى الاحقاف والرمال وصار أهل المشرق والخطا الى حدود الصين ومن فى ذلك الوجه يسرحون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون والحق أنه كان فى هيبته وعتوه قد عرج الى أن ملك العالم شرقا وغربا بالادرج وصار كما قيل

تكاد قسيه من غير رام * تمكن فى قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم استلالا
تكاد سوابق حملاته تغنى * عن الاقدار صونا وابتذالا

فلما ترادف هذا الخبر وتكرر بسمرقند هذا السكر واشتهر اسناده حتى ترقى من الآحاد الى التواتر وتقرر هذا الحق عند كل أحد فلم يسع فيه جحود ولا تناكر تراجع فؤاد كل الى جوفه وتبدل أمنا من بعد خوفه وتنادوا بالثارات وشرعوا فى شن الغارات وقصد كل مستحق استرجاع حقه وكل مسترق استفكاك رقه فأول من نهض من الشرق المغرل وقصدوا اشارة رآمى كول وامتدوا فى تلك البلاد حتى جاوروا خدايداد فهادنهم وصافاهم وشرط لهم رد ما أخذه تيمور من ماواهم وأن يكونوا يدا واحدة على من ناواهم وأحسن كل منهم مع الآخر الجوار واطمأنت بواسطة هذا الصلح تلك الديار

﴿ذكر نهوض ايدكو بالتتار وقصده ماوراء النهر وتلك الديار﴾

ثم نهض من جهة الشمال ايدكو بعساكر كالرمال وتوجه بحزم وجزم الى مملكة خوارزم وكان نائبها ايدعى موسيكا فلما أحس بالتتار وخاف على نفسه البوار أخذ أهله ومتعلقيه وسار وذلك بعد أن هجمت التتار الزرمية المضافة الى ارغون شاه وعبر واجيحون وهو جمد ورجع ارغون شاه الى مأواه فوصل ايدكو الى خوارزم واستولى عليها واستطرد بخيله الى بخارى فنهب باحواليها ثم رجع الى خوارزم وقد أذكى فى الجغتاى اللهب وأنكى وولى من جهته فى خوارزم ولاياتها شخصا يدعى انكا فتمهدت أيضا تلك الاماكن واطمأنت الظواعن والسواكن بواسطة أن خليل سلطان قابل كل من أساء اليه بالاحسان وصار يسترضى كل ساخط ويستدنى بمكارمه كل شاحط ويصطاد النفوس بالنفائس ويفترس الأسود بالفرائس فأحبه الاجانب والأباعد ورغب فيه كل صادر ووارد غير أن شيخ نور الدين وخدايداد تماديا فى الفساد ولجا فى العناد فخرب ما بين الطرفين من البلاد

﴿ذكر بير محمد حفيد تيمور ووصيه وما جرى بينه وبين خليل وليه﴾

ثم ان بير محمد ابن عم خليل سلطان وهو الذى عهد اليه تيمور وكان بعد موت أخيه محمد سلطان خرج من قندهار وقصد سمرقند بعسكر جرار وأرسل الى خليل سلطان وسائر الأكابر من الوزراء والاعيان بأنه هو ولى عهده وخليفة جده تيمور من

بعده فالسر برحقه فأنى يغصبه والملك مالكه فكيف يسلبه فكل منهم جاوبه بما
يليق ويخاطبه وأما خليل سلطان فتصدى للمعارضه وقابل كل مسألة من الخطاب
بما ينافيها من المعاكسة والمناقضه وقال لا تخلو مسألتنا يا فلان من أن الملك في هذا
الزمان اما أن يكون بالانتساب أو يظفر به بطريق الاكتساب فان كانت
الاولى فثم من هو أحق به مني ومنك وأولى وذلك أبي أميرانشاه وعمي شاهرخ أعني
أخاه فيكون بينهما بالسوية نصفين فمالك كلام مع وجود هذين وأنا أولى أن
أكون صاحبه فأرعى جوانبه واسلك مذاهبه اما ان يقطع كل منهما المشاغبه
ويترك لي ماله فيه من ولاية المطالبه ويقنع بما هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه
واما بأن يجعلني خليفته في سلطانه فأصون نصيبه ونائبه وان كانت الثانية
فكلامك لا يستقيم لأن الملك كما زعموا عقيم ومن قبلي وقبلك قيل في الاقاويل

شعر
صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم * وشمروا انها أيام من غلبا

وان زعمت أن جدك عهد اليك أو عول في وصيته لك عليك فهو من أين استولى الا
بطريق التغلب وأني حصل له ملك وملك الا بالاغتصاب والتألب وعلى تقدير
التسليم وان أمر وصيته مستقيم فانه كان في حياته قسم بلاده ووزع عليها
أولاده وأحفاده فولى والدي ممالك اذربيجان وقرر عمي في ولايات خراسان
وابن عمي بير عمر في عراق العجم وتلك الديار وولاك أنت من جملة ذلك قندهار
وجعلك وصيه كما رسم وأشار وتحمل هو المظالم والاثقال فأين نصيبي أنا من هذا
الثقل فاجعلوا حصتي من ذلك ما استوليت عليه وليقنع كل منكم بما تقرر فيه
وفوض اليه ومع هذا ان تابعك أبي وعمي تابعتك أو صادقاك على الوصية
وبايعاك بايعتك وان سلكنا في ذلك طريق الحق فالملك صيد والاولى به من حاز
فيه قصب السبق وان الله أزاح علله اذ ثبتني بأسبابه وأباحه لي مباحا ومن
سبقت يده الى مباح فهو أولى به هذا وان كلا من مدرسي فقه الملك تابعني ومن
له في عقود السلطنة شركة ترك المضاربة وطاوعني وعدة عقد توليتي مرابحة ولما
وقف على سيري ألقى الى السلم وبايعني وأما الوزراء والاعيان فأجابوه بما
لا طائل فيه سوى ما تمجه أذن مستمعيه غير أن الخواجا عبد الأول وهو صدر
صدور العلماء والمتصرف في رؤساء ما وراء النهر من السادات والكبراء المنفذ

سهام أحكامه في جميع الامراء والزعماء أجاب فأجاد وأصاب وأفاد واختصر واقتصر وهصر من بير محمد والخليل سلطان انتصر فقال في جوابه مجاريه في خطابه نعم أنت ولي العهد وخليفة الامور تيمور من بعد ولكن ما صادف طالعك سعد ولو ساعدك البخت كنت قريبا من التخت والأولى بحالك أن تقنع بمالك ومالك وتبقي على خيلك ورجالك وتضبط ما في يدك من عمالك وان أبيت الا الطلب الفنا ولم تقنع بما قسم الله لك ورضي وخرجت من مملكتك الى هذا الفضاء فانك تقع في العناء وتخرج ولا يبقى من يدك فتصير مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

❊ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمناصرته وخروجه عن خليل سلطان وقبضه على أمرائه وتخالفهم❊

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بدقائق هذه الاقوال واردفها بحقائق الافعال وأمر بتجهيز جند مجند الى استقبال بير محمد وأضافهم الى ابن عمه والد السلطان حسين وعين فيهم من أمراء الجغتاى كل رأس وعين وضم اليه الظهور والاعضاد ومنهم كجول وارغون شاه والله داد فساروا سابغي العده كاملي المده وذلك في سنة سبع منتصف ذى القعدة فهم راجحون الى بلخ وخيمروا في نواحيها وانبثوا في اقطارها ونواحيها وبينما هم مرفهو الحال فارغو البال قرير والعين عارض السلطان حسين ثم انه دعا الأمراء ليقررهم فيما هو بصدده الاراء وقد كمن لهم كمينا وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا وحين ولجوا خيمه ودخلوا كيسه وثب عليهم وثوب الليث على الفريسه واغرى بهم أسوده فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الفريسه ثم نادى من معه من الرفاق ضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وكان كجاز كرداطيش وشجاعه وتهور ورقاعه وصولة وجوله يسبق فعله قوله فاهريق في تلك الساعه دم واحد من تلك الجماعه يدعى خواجا يوسف وكان في حياة تيمور نائب الغيبة بسمرقند وهو أمير مشهور ففي الحال قتل والى الدار الآخرة نقل ثم استقل لنفسه بدعوى السلطنه ودعا الخلائق من ههنا ومن هنه فدهشت أولئك الرؤس وعلموا أنه قد حل بهم النقم والبوس

﴿ذكر خدع الله داد سلطان حسين وتلافيه تلافه بالمكر والمين﴾

غير أن الله داد ثبت جاشه المزؤد واستحضر تلك الساعة عقله المفقود فابتدر سلطان حسين مناديا واستفتيه في أمرهم مناجيا وقال له بعبارة فصيحة ان لي اليك نصيحة ثم استخلاه وقال أنا كنت مترقبا منك هذه الفعال ومترصدا منك اظهار ما أنت بصدده ومن أين لخليل سلطان أن يحتوى على الملك بمفرده غير أن هيبة مولانا السلطان باسطه ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مباسطه ولو كان عندي من ذلك أدنى شعور لرتبت المصالح على ما تقتضيه الاوامر الكريمة والأمور ثم ان الخاطر الكريم يشهد بصدق هذا الحديث وأنا عبدك من قديم وسل من من كان من المماليك والاجناد الذين كانوا محصورين في أمر خدايداد من خاصهم من حبائل أسره وانقذهم من ضرام ضره وأطفأ عنهم ما التهب من شرار شره اذ لولا أنا لكان أبادهم وأيتم أولادهم وفجع بهم طريفهم وتلادهم فانك ان تسلهم يخبروك وعلى حقيقة الامر وجلية الحال يظهروك وربما أخبرك بذلك لما أتوك ومع هذا استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك ولا زال يطفئ بماء خزعبلاته شواظ تفرعنه وطيبه ويذكى في خياشيم رعونته عنبر احتياله متمسكا بمسكه وطيبه ويرمي عن قوس ختله الى سويداء اختبالاته نبال مكر أنفذت فيه نصال القضاء والقدر لانها كانت مصيبه فشرب مكره وتبع أمره وجعله ظهره واستقدح في أموره فكره ثم انه بعد ان امتن عليه باستبقائه استشاره في قتل رفقائه فقال له لا شك ان خليل سلطان ملك الناس بالانعام والاحسان وهو وان كان في الشجاعه قاصر اليد قليل البضاعه لكن استعبد أبطال الرجال بحسن الخلق وبذل الاموال غير أن المال بعرض الفناء والزوال وأنت بحمد الله مآثرك مشهوره ومنازل منازلاتك الابطال معموره ورايات كسرك قرون الاقران على جبين الكباش منشوره ورؤس مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان أبدا منصوره قلت

فكم لززت شجاعا في البراز فذ * رأى محيالك ولى ضارما وجرى
مذ كنت رأسا وعينا في الحروب أرى * في رأسك الفتح بل في عينك الظفرا

وأنا أعلم أن عامة الجند سيبتهج بطلعتك ويرقص فؤاده لحصول سكونه فرحا

بحر كتلك فانه لابد لهم من رأس يسوسهم وضابط همام يصون بتدبيره نفائسهم ونفوسهم وقرم كالليث الحادر والسيل الهامر بل كالبحر الغامر منصور ان دعا وان دعى فناصر موصوف بما قال الشاعر

آضاف الى التدبير فضل شجاعة * ولارأى الاللشجاع المدبر

وبما قال شعر

ولا يكشف الغماء الاابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

وهل ثم فى هذا العصر موصوف بهذه الصفات الأأنت وما النجدة والكرم والحسب والنسب الاراحل حيثما رحلت وساكن أيما سكنت ولوحدث شاه ملك وشيخ نور الدين أن وراءهما منك الحصن الحصين لاسند اليك رواية هذا السند السديد ولأويا من جنابك العالى الى ركن شديد وحاصل الامر انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد واذا كان الامر كذلك فقد ملكتهم فسواء عندك أبقيت عليهم أوأبدتهم ولكن ابقاء أولى ولازالت العبيد تترقب مراحم المولى فان اقتضى الرأى السعيد أن نكون كلنا موثقين فى الحديد معزيادة قيد اعان أكيد فرأيه أعلى واتباع ما يقتضيه أحرى وأولى فاتقى رأيه واتخذه علما لامور وورأيه فاستتبعه لحينه وقال اسلك ورايه

﴿ذكر أخذ سلطان حسين على الأمراء الميثاق ومشيه على خليل سلطان وهم معه فى الايثاق﴾

ثم انه أحضر الأمراء وهم فى قبضة سطوته أسراء وقد نارح كل من متعلقيهم من ناحيه وتوجه الى دار كل المخبرون فقامت عليهم النائحة والناعيه وأرثقهم بقيدى الحديد والاعان بأن يكونوا معه فى السراء والضراء على خليل سلطان فمد كل منهم الى القيد رجله والى اليمين يده وعاهده على ما يختار وأن يقدم له نفسه وأهله وماله وولده فحين استوثق منهم أزاح بالأماني السوء عنهم وتركهم موثقين فى البند ونكص قاصدا سمرقند وأرسل الى خليل سلطان يخبره بما دب من أمره ودرج فليستعد لمبارزته فها هو قد عبر جيحون وخرج وأنه هو أيضا طالب من ملك خاله حصته ومنازع خليل سلطان فى السرير منصته

﴿ذكر

﴿ذكر تبريز خليل سلطان من سمرقند لالتقاء سلطان حسين بطوائف جنده ورجوع سلطان حسين عاير وهو بخفي حنين﴾

فاستقبله خليل سلطان وخرج من سمرقند لاستقباله في أسرع زمان ثم ان السلطان حسين أحضر الله داد ومن معه من الشياطين المقرنين في الاصفاد واستأنف عليهم العهود وأكد عليهم قيود العقود وأحل كلا منهم محله وأجاز عقد وده له وخلع عليه وأجاره واحترم حرم حقيقته ومجازه وبش بانعامه الى متعلقيهم وهش وسار بهم حتى وصل الى مدينة الكش والله داد كان قبل ذلك بزمان أرسل الى خليل سلطان يخبره بوقوع هذا الهم وما جرى عليهم من شرور وماتم ثم قال له ان فالك سعيد وأمرك حميد فانهض برأي رشيد وعزم سديد وجناح حديد فان صدك مصيد والله تعالى ناصرك قريبا غير بعيد فلا تخف من كيد مكيد وان كنت طفلا فانك فتى شبت أهواء القلوب نسمات محبته فصرت شيخ السلطنة وكل الانام لك مريد فوصل خليل سلطان الى ذلك المكان فعبى السلطان حسين جيشه واستعمل تهوره وطيشه وجعل الله داد على الميمنه ورفيقيه على الميسره ولما ترا آى الجمعان وتدانى الزحفان وحقت الحقائق وسدت المضائق وتعادت الاسود والغرانق وبادر كل منهم من مكانه وقصد كل من الله داد وأقرانه عساكر خليل سلطانه فتخبطت عساكر السلطان حسين وسلب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا من ظنونه ثوبي خيبة وحين ودهمه من البلاء ما أنساه سلمه فرجع بخفي حنين ومر على وجهه قاطع الفلاة حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ صاحب هراة فلم تطل له عنده مدة فاما سقاه هلكا واما مات حتف أنفه عنده فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

﴿بقية ما جرى لبير محمد عما قصده من فرح وهم وكيف آل ذلك الى وبال وحزن فنقض ما تم﴾

ثم ان بير محمد تمادى في خروجه واستمر يرتع في روض الطلب ومروجه وتكررت بينهما دروس المراسله وتقررت مسائلها بعد مطاولة المقاوله أن ينزلوا منازل

المنازله ويحلو ابروج المقابلة والمقاتله وكان متولى أمور ديوانه ومشيد قواعد ملكه وسلطانه شخصا يدعى بير على تاز حامى حقيقة باب الملك وحارس المجاز سدة بطحاء ملكته وقطب سماء دائرته وقدوة علماء عوالمه وقوة خوافى عسكره وقوادمه فجرد من عساكر قندهار كل طود لو مال على قندهار هار وتوجه بعزم أمضى من البتار وحزم أنفذ من الخطار قائد ذلك الخضم المدار والسيل الثرثار والغمام المدرار حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار ثم أمر ذلك البحر العجاج أن يركب من جيحون الاثباج ويصادم منه تلاطم الامواج فرج الله البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج فخروا منه بسفنهم النحر وجاوزوه مجاوزة بنى اسرائيل البحر وسار بذلك الأخشب حتى أرسى على ضواحى نخشب

﴿ذكر مقابلة العساكر الخليلية جنود قندهار بصدق نية والقائهم بعزيمتهم اياهم فى أشر بلية﴾

وكان قبل ذلك خليل سلطان قد نجز أمره كما كان ونفث أعطار مندل الايثار وقوى العزائم على الملوك بالاستحضار ليجنوا من أشجار الجرايات ثمار الادرار ما يستعدون به الاقاة شياطين قندهار فلبى دعوته العام والخاص وكل بناء من عفاريت الجنود وغواص واجتمع من أعيان أولئك الأعوان كل مطيع مقتطف ثمر احسان ذلك البستان من انس وجان وجاء ذلك البحر أفواج أمواج العساكر من كل مكان وهم ما بين رؤس الجغتاى والجتا وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا وفوارس فارس والعراق ورستمدار وجان قربانية خراسان والهنود والتتار ومن كان تيمور أعده لضائق الامور ولم يفارقه فى سفر ولا حضر وأرصد لكل نائبة من خير وشر شعر

فوارس لا يملون المنايا ❁ اذا دارت رحى الحرب الزبون

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح واستخلص منهم لمنادمته كل صديق نصوح وأسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات وضاعف على قامة آمالهم من خلع انعامه المضاعفات ففتحت عليهم الارض خزائنها وصبت عليهم من معادنها ولزائها ظاهرها وكامنها فصار كل راجل منهم رفارس وقد تحلى فيما تحلى به من تلك النفائس

يزري بحسن هيئته على مخدرات العرائس فساروا ونسمات النصر من انفسهم فائحه ولمعات الفتح من بوارق ابصارهم لائحه والسبع المثانى لأبواب النجح والفتوح فى وجوههم فاتحه ولازال ذلك الزاخر يرسي ويمشي حتى حط على ضواحي قرشي وهي المدينة المذكوره فاستقرت تلك العساكر المنصوره وذلك يوم الاحد مستهل شهر رمضان سنة ثمانمائة وثمان فبات كل من ذينك البحرين وقد ضم ذيله وكف عن التبذر والتبدد سيله وحفظ من الأغيار رجله وخيله وأحيى فى معتكف المراقبة الى الصباح ليله قلت

الى آن بدا لم الضيا فى ظلامه * يلوح كمرج الماء من سجف طحلب

ولما سل الفجر صارمه الفضي وابرز ابريز ترسه ومسح على لوح الجو ماطرسه مسود الليل من دخان نقشه تهيأ كل من أولئك الاطواد للاصطدام واشتعلت فى قلوب تلك القبائل نار الحمية للاصطلاء والاصطلام فعبى كل عسكره ما بين ميمنة وميسره ومقدمة ومؤخره ثم تدانوا وتكانوا وتعارنوا وتهانوا وتراجزوا وتغانوا وتعانقوا وتهانوا وتناجزوا وتفانوا والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل وارتفع ظلام القتام الى رؤس الأسنة فرأوا فى صلاة الظهر نجوم الليل وجرى فى ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل ثم عند منتصف النهار انكشف الغبار عن ان طود قيدو هار وسعد أولئك الكبار بار رهابهم غبار العثار ثار وخبرهم بالانكسار سار وصيت خليل سلطان الى الأقطار طار والى الآفاق بالانتصار صار فولى بير محمد وعلى رأسه بحر الدمار مار وفى قلبه زناد البوار وار حتى كأن فى قلبه جمر الغضا والفار فار وفى كبده نار طب المرخ والعفار قار وجندلت رجاله وأبطلت أبطاله ونهبت أثقاله وتحولت أحواله وسبى حريمه وعبيده وسلب طريفه وتليده وتشبث هو بأذيال الهزيمه وعلم ان اياب سالما نصف الغنيمه كما قيل

ايابك سالما نصف الغنيمه * وكل الغنم فى النفس السليمه

ورجع خليل سلطان وقد استنار به الكون والمكان وأسفرت دولته واستطارت صولته وشكر الله الملك وأتم صيام رمضان فى مكان يسمى حكدايلك

﴿ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان وتجاهرهم بالخروج وقصدهم الاوطان﴾

ثم في ليلة الاثنين عشر شوال خرج من العراقيين الرؤس والابطال ومعهم حريمهم واتباعهم وأولادهم وأشياعهم وكبيرهم شخص يدعى حاجى باشا وهم يحاربون تحت أمره كيف ماشا وكانوا ذوى صولة وجوله وصحبتهم السلطان علاء الدولة ابن السلطان احمد البغدادى اصلبه وكان قد وقع في أسر تيمور فسجنه في سجن محنته وكربه فأفرج عنه خليل سلطان وجعل له عنده ذا مكانة ومكان فبينما الناس مشغولون بأمور العيد رفع أيديهم أولئك الصناديد وكأنه كان تقدم لهم بذلك موا عد فخرجوا تحت جنح الليل وشمروا نحو عرائس العراق الذيل وطلقوا مخدرات ما وراء النهر ومالوا عنها كل الميل لانهم كانوا اقدسمعوا أن دار العراق أنزلت بانيها ومياه أنهر سلطنتها عادت الى مجاريها فلم يقف أحد أمامهم ولا مشى خلفهم ولا قدر على أن يربط عن السير رجلهم وكفهم فقطعوا جيحون ووصلوا الى خراسان فتصدى لهم كل من سمع بهم من كل مكان فانفرط نظامهم لعدم اتفاقهم فتقطعوا في البلاد قبل وصولهم الى عراقهم وأين ايران من توران ودجلة من جيحان فعيد خليل سلطان في ذلك المكان ثم ألوى راجعا الى الاوطان

﴿ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره وما صنعه بعد وصوله الى قندهاره﴾

ولما وصل بير محمد الى قندهار واستقرت به الدار تلملمت أموره وحامت حول قصوره صقوره ودارت من سيارات عسكره بدوره بدوره وتسعرت شموعه وحروره وتطاير شراره وشروره فتارق وعرق وتحرق أسفا قلبه وتحرق وتمزق غيظا أديمه وتفرق وكان ذا حماقه وقلة لياقه فطير أجنحة مراسيمه الى سكان أقاليمه واستنهض على خليل سلطان كل حبيب صحيح الود وكليمه واستطب لجريح قلبه كل قريح الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه فلبوا دعوته بالاطاعه وأجابوا نداءه بالسمع والطاعه ثم سالت الأودية والجبال بالخيل والرجال وأرسل الى خليل يقول ضمن كتاب مع رسول ان أول مصافنا كان فلتة فتنة وشرارة تسوهل في اطفائها فالتهبت وطمت ولواني استقبلت من أمرى ما استدبرت

وتحذرت ما استحقرت واستكبرت ما استصغرت لا انتصرت ولا انكسرت واعثرت على مرادي وما عثرت ولكن أضعت الحزامة فحرمت السلامة وتناولت أمرك برؤس الأنامل فأكلت يدي ندامة مع أن صلابة جندك وقوة ظهرك وعضدك ونبال نبالتك وساعد سعدك وعضب غضبك ورمح رشدك وحد صارمك وصرامة حدك انما كان رؤس العراق وما حصل لك منهم من الاتفاق وأما الآن فقد وقع منهم نفاق واتفق لك منهم عدم اتفاق وظهر تباعد وشقاق ففت لذلك كبدك واختل فكرك وجندك وها أنا قد جئتك بجد جديد وبالحد والحديد فاستعد للقاء وتيقن عدم البقاء فان الحرب كما علمت سجال وكما أديل لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال

ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثاني كره وما حصل عليه في ذلك من كره وفره وتوليته الدبر كما بدا أول مره

ثم توجه بتلك الجنود والاعوان وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان فتوجه اليه خليل سلطان ومعه من عساكر الرجال والفرسان وجراد الجيش وقله وضفادعه ما يجري من الدم الطوفان فرتب تلك الاطواد والبحار وسرى وهو ما بين رام وسار حتى وافى جنود قندهار وكان كما ذكر من قبل قد قدح في حراق أحشاء العساكر القندهارية من خوف نار الخليل زناد النبل فكانوا ملسوعين والملسوع يخاف من جرّ الحبل فقبل أن يزعق لنفير ويضرب الطبل نفر من كل فرقة منهم طائفة وتنادوا أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة فالبس بير محمد خلعة الحلم ولم يكن له بها طوق فالمع الى القلعة القلع وأرصد الابواب وأحكم الاسوار واستعد في حصار شادمان للحصار فأحاط به من العساكر كل جارح وكاسر ودار عليه من بني يافث كل سام وحام وحد في المحاصرة منهم كل طاعن وضارب ورام فتندم بير محمد على ما قصد في ذلك وتعمد وتذكر ما قال له أول الخواجا عبد الاول لكنه اعتذر بالقضاء والقدر فرماه القضاء بسهم جواب أجاد فيه وأصاب * وقال

وعاجز الرأى مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

فانعكس منه كل رأى وقال وتغير عليه كل أمر وحال وذهب عنه منعطفا ما بيده من ملك ومال ونفر عنه كل أسد أصلى الحرب نارا حامية لما سطا على حام وصال ورجع عنه لسوء تدبيره كل ذى قرابة حين اغرله بالامانى الكاذبة كل سراب وآل وتمزقت شقق تدبيره على منوال تفكيره سدى ولحمة فلم يبق له من دون الله من وال

(ذكر ما صنعه بير محمد من حيلة عادت عليه بافكاره الوبيله لان جدواها كانت قليله)

ولما عدم حوله أحذق أعمال الحيله فاستدعى عدة مضبوطة من الجلود المخطوطة الجيدة الدباغ المصبوغة بالوان الاصباغ ثم فصلها البوسا لكل بوسا وسمر عليها المرايا المصقوله وبعض صفائح معموله وموهها وأحكمها بالمسامير وأحضر من سوقة بلاده رؤس الجماهير واستكثر من الرعاع والهمج الجوع ثم أحضر تلك الدلاص والدروع ووزع على تلك الرؤس والظهور هاتيك الشطوع فصار كلما صارت الشمس بازغه أصعدهم الى الاسوار وخارج البلد تلك الاسود وعليهم تلك الدروع السابغه فاذا رآهم الناظر من بعيد توهم رجالا ولم يعلم أنهم بندق العبيد واذا ترا آى ذلك الهباء والجمهور الذى ملأ الفضاء كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء واستمر على ذلك مدة يقاسى المعاناة ويعانى الشدة وكان الذى تعاطى هذا المكر الجلى دستور عاكته أعنى بير على ومع ذلك كله لم تنفعه تلك الحيله وعادت عليه أفكاره الوخيمه ووساوسه الوبيله وانكشف سره وانهتك ستره فضاق ذرعا وقصر منه باع المجال ومد ينقص عدده وعدده وزاده الدهر النكال

(ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم وطلبه الصلح والقائه السلم)

فبسط بساط التضرع وطلب وسائط التشفع وعلم أنه لا عاصم من أمر الله الا من رحم فناشد خليل سلطان الله والرحم وقال معنى ما قلت

يعطى الكريم ولا يمل من العطا * والعفو شيمته اذا وقع الخطا

فاجاب خليل سلطان مقاصده وتأكدت من الطرفين معاقدة المعاهده بان لا يقصد أحدهم بلاد صاحبه واذا كان الله تعالى رفعه لا يضع من جانبه ويسلم اليه ما فى يده ويبقى على الود والصداقة فى يومه وغده ثم تحالفا أن لا يتخالفا وتواثقا أن يتوافقا وتصادقا أن يتصادقا وتفارقا على أن يترافقا وتوافقا أن

لا يتنازعا وراقبا الال والذمه وراعيا القرابة والحرمه وانشمر كل عن صاحبه ما معه من فئة وذلك فى سنة تسع وثمانمائة

ذكر مخالفة زنده وعب بين بير على وبير محمد أزاحت ثوب الحياة عنهما وأراحت مخالفيهما منهما

ولما وصل بير محمد الى وطنه واستقر بين خدمه وسكنه خرج عليه بير على تاز واستقل بدعوى الملك وامتاز ثم قبض عليه وكبله ثم انه خذله وجدله وشرع يقول وهو يصول ويجول امور الدنيا اضطربت واشراط الساعة اقتربت وهذه دولة الدجالين واوان تغلب الكذابين والمحتالين يعنى تيمور وهو الدجال الاعرج وهذا زمان الدجال الاقرع وسيأتى بعد هذا الدجال الاعور وان كان أحد يجزع من اقرعيته وانجم باله اذ لم يوجد فى تناول هذا الامر لمحظور من مهيج ولم يكن لذلك الوعد فى مهام الملك غير المنيح والسفيح فدعا أرباب مملكتها تضرعه وخيفه فكشر كل فى وجهه انيابه وجاذبه هذه الجيفه فلم يبق له قرار ولا ثبات فسل بده ومد رجله صوب صاحب هراة فبمجرد وقوعه عنده فى شرك الاقتناص قبض عليه واجرى عليه احكام القصاص وصفف له ممالك قندهار من غير مضارب ولا مضار واستراح خليل سلطان أيضا من الانكاد والمضار

ذكر ما وقع من حوادث الزمان فى غيبة خليل سلطان

وفى هذه السنة بادرت بالهجوم تتار الروم ووصلوا بالعزم وقطعوا جيحون بالرجل وهو جمد من خوارزم وقصدوا بلادهم فتصدى لهم من كل جانب من شتتهم وابادهم وحصل لهم من عدم الاتفاق ما حصل لعساكر العراق وايضا فى غيبة السلطان خليل واشتغاله بهذا السفر الطويل اغتنم الفرصة خدايداد وشيخ نور الدين فتوجهوا الى سمرقند طامعين واخذوا عليها ونهبوا ما حواليها فتحصنت منهم وترفعت عنهم فنهبوا اثمارها وجاوروا رجعوا ونحو بلادهم انقلعوا

ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد وتوجهه الى شيخ نور الدين وخدايداد

ولما رجع خليل الى سمرقند أراح طوائف عسكره وجنده ثم دعا أصحابه ووجه نحوهما ركابه وهيأ أنصاره وأطلابه وسار بتلك القبائل المضطربه والاسود الحوادر والفحول المغتلمه واستمر ذلك الطود الراكون بين حركة وسكون حتى وصل الى سيحون وحين شرع فى ذلك الطور والنار ذات النور على نهر سيحون فى العبور رأيت البحر المسجور فاذعن له شاهرخية وخجند وتحصنت منه تاش كند فتوجه لحصارها وعزم على هدم أحجارها فبعد أن حاصرها مده وأذاقها البأس الجوع والشده لجأت الى طلب الامان وسلمت اليه قياد الاذعان فاجاب سؤالها ورقع بالصلح حالها ثم قفا آثارهما طالبا دمارهما

(ذكر ايقاد شيخ نور الدين وخدايداد نار للخليل ليحرقاه فاطفأها الله تعالى ووقاه)

وكان خدايداد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى ويترقبان من فرص النهب والسلب معانى عسى ولعلما فتوجه وراءهما ورام اقتناصهما فجعلا يرحلان عن رأى منه وسمع وينزلان بأمل فيه ومطمع وجعل يقتفيهما فى كل منزل فاذا رحلا يتبع قفاهما وينزل وكان خليل سلطان معتمدا على عسكره متيقنا بحلول نصره وظفره فكانه فى بعض الليال غفل عن التحرس وكان لهم فى جيشه من دأبه التجسس والتحسس فخبيء الظن وخانه وسط على مكان يسمى شرابخانه وكان قد تقدم على الثقل فطار جاسوسهما اليهما اعلامافعل فاقبلا كالسيل وبيتاه بالليل فخرج من عسكره جماعه وكانما قامت القيامة فى تلك الساعه ثم تركاه وردا وفرا عنه وندا وتشتتا فى المهامه والمواحى ومن أين للسلطان اقتناص الحرامى فكف عنهما عنان الطلب وقصد بالسلامة دياره وانقلب

(ذكر مفارقة شيخ نور الدين خدايداد وتقاسمهما تلك البلاد)

ولما كانت مودة خدايداد وشيخ نور الدين كالفخار وأساس ما بينهما من الصداقة كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار اختلفا وما ائتلفا وتجاذبا شقة الشقاق ونفق فى تبايعهما بضائع النفاق ولم يعلم أحد من راق وظن أنه الفراق فقرر شيخ نور الدين نحو سغناق واستولى على تلك الاطراف والآفاق

(ذكر رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار والتنصل عند خليل مما كان منه وصار)

ثم أرسل شيخ نور الدين خليل سلطان واعتذر عما صدر منه من العصيان وطلب منه أن يقابل اساءته بالاحسان ويرجع اليه عوائد صدقاته كما كان فأجابه الى سؤاله وأسبل على سوأة جرمه ذيل النسيان وأرسل اليه امرأة جده تومان

﴿فصل﴾ ولم يزل على الوفاق وشق شقة الشقاق مرتبة اربقة الرفاق حتى وقع خليل سلطان فى الرباق وصفا للشاه رخ ملك سمرقند وزاق توجه اليه شاه ملك مظهر الصلح ومضمر النفاق واستنزله بالمكر من قلعة سغناق بعد أن أحكما العهد والميثاق ووقع بينهما الاتفاق وأن يتلاقيا ركبانا ويتبثا الاشواق بعد السلام والاستسلام والعناق وكان فى جماعة شاه ملك شخص يدعى أرغوداق ثم أقبل شاه ملك بجماعته ونزل شيخ نور الدين من قلعته وسار شاه ملك وحده من غير عدة وعده وتعانق هو وذلك المغرور وبثه ما نابه فى غيبته من أمور وسرور وشرور فأكد عليه الميثاق والعهد ووصى كل منهما ما يفعل الآخر من بعد ثم ودعه وانصرف واتصل بجماعته ووقف وسارع كل من جماعته بمفرده الى مصافحة شيخ نور الدين وتقبيل يده حتى أفضت النوبة الى أرغوداق فتوجه بما أضمره من الخداع والنفاق وكان فى الشجاعة أسدا وكالفيل قوة وجسدا فوصل اليه وقبل يديه ثم التزمه عناقا وأحكمه اعتناقا فاقتلعه من سرجه وأهبط نجمه من برجه وقطع رأسه وجمع به ناسه ولما سمع بذلك شاه رخ طفق يندب ويصرخ ولعن شاه ملك ونهره وضرب أرغوداق وشهره لكن ما أمكنه وصل ما قطعاه ولا غرس ما قلعاه كما قيل وليس لما تطوى المنية ناشر واستمر مدة لا ينظر اليهما ثم بعد ذلك رضى عليهما واستمر خدايداد متشبثا بأذيال العناد مشتركا بين العتو والفساد غير مسلم الى الصلح القياد الى ان أباره الدهر وأباد وسنذكر كيف جاد بأعدائه وأجاد

﴿ذكر أمر خليل سلطان ببناء زمد التى خربها جنكيز خان وتجهيزه العساكر لهذا الشان﴾

ثم فى شهر صفر سنة عشر وثمانمائة ارسل خليل سلطان من الجنود فئة وأضافهم الى الله داد وضم اليهم من رؤس الاجناد الياس خواجا وابن قارى منصور

وتوكل قرقراودولة تيمور الى ترمذ مع آخرين ليعمروها فاستمروا سائرين حتى وصلوا الى ترمذ فجمعوا فى الحال احتياجاتهم من الاحجار والاخشاب والقرميد ثم تقاسمت تلك الرؤس أبدانها وحلوا عن أن يتسوروا وأقلة أسوارها حيطانها وجعلوا يعملون ولا يلبثون ويبنون بكل ريع منها آية يعبثون وتركوا بالنهار أكلا وبالليل نوما فأتموا بنيانها فى نحو من خمسة عشر يوما وحصونها واصلاتها وفرزوا دروبها وطرقاتها ورفعوا أعلام مساجدها ومناراتها وبنوا مواضع أسواقها وأبياتها ثم أمروا الباقين من ذرية النازحين منها من أهلها وكل من رحل من خراب عمرها الى عمرانه سهلها أن يرجعوا اليها ويخيموا عليها وكان أولئك الساكنين قد استوطنوا منها البساتين وبنوا فيها أسواقهم وبيوتهم وجمعوا فيها أسباب معائشهم وقوتهم واستمروا على ذلك من وقت جنكيزخان الى وقت تيمور كوركان فكانوا فى وطنهم آمنين وعن حركات الانزعاج والتقلقل ساكنين فلما مات تيمور وحدث شرور وأمور أراد خليل سلطان أن يصونهم فأرسل من شيد حصونهم وكانت الجديدة عن العتيقة نحوا من فرسخ فصارت العتيقة أحصن من الجديدة وأرسخ لا سيما وقد علا البانون منارها ونهر جيحون يصافح أقدام طود جبل أسوارها بخلاف الجديدة فان قصورها مساكنها غير مشيدة وهى عن النهر بعيدة فلما ناجوا الناس أن ادخلوا الى دار قراركم فكأنهم كتبوا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فلم ينتقل الا عداد عليهم ولا اكترث فى ذلك ولا التفت اليهم ولم يظهر فى ذلك عنادا ولكنه حشر فنادى أن كل من سبقت يده من أهل البلد الحشى من هذه الاماكن والعمائر الجدد فهو له من غير منازع ولا ممانع ولا مدافع ثم أمر بانتقال الخبازين والقصابين والطباخين والسمانين وميزهم منازلهم ومأواهم ولم يتعرض لمن سواهم فجعلوا يبيعون على العساكر ويشترون ويربحون فى ذلك ولا يخسرون فاختل نظام سائر الجمع اذ الانسان مدنى بالطبع فألجأهم الاضطرار أن يتبعوهم بالاختيار فتفقد ما يليق به أحوال كل من كبيرهم وصغيرهم وقرر على ما اقتضته أوامره قواعد أجورهم ثم جهز من جنده وقفل الى سمرقنده

﴿ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان فى مقابلة ما فعله خليل سلطان﴾

ولما سمع شاه رخ بما فعله خليل سلطان جهز طائفة من عساكر خراسان وجعل عند ذلك السحاب المنجاب من بحر أمراء أمير يدعى مرزاب وهو أخو جهان شاه الذى كان تيمور على محاصرة قلعة دمشق ولاه وأمر رؤس تلك الجنود أن يبنوا قلعة تسمى حصن الهنود وهى من أقصى بلاد خراسان يفصل بينها بين ترمذ نهر جيحان فغفلت من البناء العساكر الخراسانيه نحو ما أعربت عنه العساكر الخليلية السلطانيه وفى أثناء مدة البناء تراسل الله داد ومرزاب وتصافيا وتواصلا بالاحتشام والاحترام وتهاديا ‐

(اشارة الى ما حدث فى أقاليم ايران وما جرى من سيول الدماء عند تصوب ذلك الطوفان)

ثم ان السلطان أحمد وقرايوسف رجعا الى العراق ووقع بينهما على سياسة الملك الاتفاق واستقر السلطان أحمد فى بغداد ووثب قرايوسف على الجغتاى بالعناد ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد وكتب الفتح على راياته آيات نصر من الله فاستخلص ممالك أذربيجان بعد أن أبادهم وانفهم وقتل أميرانشاه وسيدعنان الكلام فى استيفاء هذا المقام بخر جناح الحق بصدده من المرام الى أن وقع بينهما الشقاق وتخبطت أذربيجان والعراق ثم قتل قرايوسف السلطان أحمد باشارة بنطام وذلك فى شهور سنة ثلاثة عشر وثمانمائة من هجرة النبى عليه السلام وأما عراق العجم فانها كانت أحصن أجم فاستقل بدعوى الملك متوليها بيرعمر فنهض عليه ذوقرابة له يدعى اسكندر فقاتله وكسره ثم قبض عليه وهمر واستقل بدعواه فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراه فقبض عليه وأباده رجمع به أهله وأولاده واستصفى بلاده فخلصت لشاه رخ ممالك العجم كلها وانثال الى خزائنه من أموالها وابلها وطائها من غير ان يعانى فى ذلك نصبا أو يقاسى فى تحصيله تعبا ووصبا مع أن مملكته كانت أوسط الممالك فلم يتطرق اليه أحد بسوء لذلك وأنه كان حسن الجوار قليل الحركة وأبوه قد حسم عنه بقتله ملوك العجم مادة شر وهلكه فثبت فى مكانه بين أسود شمخت وثبت وكبت ماله من الاعداء بماله من أصدقاء وثبت فاهتزت أراضى دولته بنبات الثبات وربت وكان عيون السعد كانت

تراقبه وعراقى الملك تناجيه وتخاطبه بقوله شعر

نزه فؤادك عن سوانا والقنا * تجدنا بنا حل لكل منزه

واصبر طلاسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

﴿ذكر خروج الناس من الحصر وطلبهم أوطانهم من ما وراء النهر﴾

وفى أثناء هذه الحالات قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات وطلب كل غريب وطنه وتحرك يبغى سكنه وقطنه اما بإجارة واحتيال واما بهزيمة واختفاء فأول من استجاز من أهل الشام وراء المسير شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير ثم تفرقت الطوائف مجما وعربا وتبددوا فى الآفاق شرقا وغربا ووقع فى سمرقند القحط وغلاء الاسعار ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار ثم حصل بعد ذلك الرفاهيه واجتمع للناس الرجاء والامنيه وطاب الزمان وحصل الامان وذهب المقت وصفا الوقت وعند صفو الليالى يحدث الكدر

﴿ذكر ما أثار الزمان الغدار من دمار وبوار ألقى به الخليل فى النار﴾

وكان خليل سلطان تزوج بشادملك زوج سيف الدين الامير وملكه سلطان هواها اذ كان فيه كالأسير فمال بكل جوانحه اليها بحيث انه قصر نظره عليها وصارت محبته كل يوم تزداد وانست قصته قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد فكان كما قيل شعر

أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدان

والثم فاها كى تزول صبابتى * فيشتد ما ألقى من الهيمان

كان فؤادى ليس يشفى الذى به * الى أن يرى الروحين يمتزجان

واستمر ذلك الى أن ران هواها على قلبه وأخذ بمجامع لبه وربط جوارحه وحل جوانحه وفصل قيصا واسعا فكانا بلسانه واتحدا فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه وصارا ينشدان والى حالهما يرشدان

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا

بل كانت القضية بالعكس قلت

انما كانت بروح تحتجب * هذه أرواح بها فى بدنين

وكان لا يصدر أمر الا عن رأيها ولا يستقصى في سياسة الملك الا بنور ذكائها فسلمها قياده واتبع مرادها مراده وهذا من غاية البله والعته وكيف يفلح من ملك قياده امرأته وكان لها خادم قديم ليس من بني الأحرار ولا بكريم بل كان من أطراف الناس يبيع في أول أمره البز والكرباس يدعى باباترمش بطرف معمش ووجه مغبش وصورة قبيحة وسيرة غير مليحة وكان يتقاضى حوائجها ويدخل عليها قبل وصول خليل سلطان اليها فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت وحصلت لها المرتبة التي لغيرها ما حصلت ارتفعت درجة خدمها وزادت حشمة حشمها واستفاد باباترمش من اضافته اليها التعظيم وبحسب كرامة المخدوم يحصل للخادم التكريم فصار يرأس جماعتها ويسوسهم وعجز الستها تحلى بخلعة هم القوم لا يشق جليسهم ثم ترقى حتى صار عليه مدار أمرها ثم تخطت قدمه الى التكلم في أسباب الملك وغيرها ثم تدرج الى فصل المحاكمات الديوانيه واجراء القضايا السلطانيه ثم ترفع الى التوليه والعزل وتعاطى ذلك على سبيل الجد والهزل وانتهى في ذلك فصار دستور المالك ولم يقدر أحد على رد كلمته لحدة شوكته بقوة مخدومته فبسط يده ولسانه كما اختار وامتثل كل أحد ما أمر به وأشار واستطال على الله داد وأرغون شاه فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما أبرماه وبلغ في قلة الأدب الى أن كان عند رجله بحضرتهما ولا يقوم بذرة من واجب حرمتهما ثم تجرأ ان لا تنفصل قضية الا عشورته وان كان غائبا فينتظر حضوره أو يتوجه الى حضرته ومن حين نبغ الى أن بلغ ما بلغ كان نحوا من ثلاث سنين وعفاريت الجغتاى وجنهم لا يشون معه في العذاب المهين فحصل لالله داد وأرغون شاه من هذا التدرج غاية الضرر ونهاية الحرج وبلغا الغايه في الاهانة والنكايه وأعضل داؤهما وأعجز دواؤهما واستلذا ذهاب العيش وزواله على البقاء في هذا الحال

ذكر ما افتكره الله داد ودبره في مراسلة خدايداد

ثم ان الله داد استعمل فكره ولكن أخطت اسنه الحذره فطبخ قدرا فانقلبت عليه ونسج كدود القز شبكة حتفه بيديه قلت

اذا انعكس الزمان على لبيب * يحسن رأيه ما كان قبحا
يعانى كل أمر ليس يعنى * ويفسد ما رآه الناس صلحا

فلم يجد لتبريد الاكباد الا مراسلة خدايداد فلما عليه صورة هذه القضية وأخبراه بما عن وضوح رجليه وأشارا عليه أن يتوجه بآمل فسيح ويقصد بعساكره سمرقند وخاطره مستريح فنهض من ساعته وتوجه بجيشه وجماعته ودب دبيب الدبا فوصل الى مكان يدعى أوراتبا فلما سمع بذلك خليل سلطان أرسل الى الجنود والأعوان وتعجب من وقاحته وتعوذ من كلاحته وجهز الله داد وأرغون شاه مع العساكر الجرارة للملاقاة فسارا حتى دانياه فقاتلاه وما قاتلاه ثم أرسلا الى خليل سلطان يستدعيان المدد ويقولان ان هذا الرجل بالغ من ملاحاته وشدة دعارته وقلة مبالاته انه لم يتزعزع من مناخه ولا دخل رعب هيبتنا فى صماخه فأمدهما بباقى العسكر وحصل بتشوف لما يكون من الخبر وأرسلا أيضا أن هذا قد آذى وزاد فسادا وجارى فى عداوته عودا وارعادا فأمدنا بنفسك وأدركنا بحدسك وحسك فان هيبتك أقوى وطلعتك أصوى وما ارتكب هذه الجرأة ولا أقدم على هذه الجيشة الا وقد أضمر شرا كبيرا وطوى فى باطنه قارا وقيرا فأدركنا بباقى المقاتله فان هذه المرة تكون الفاصله فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن وخاطر على حلول الحوادث متمكن وأمل فسيح وصدر منشرح معجبا بشبابه مغرما بأصحابه متمايلا بين أحبابه متهاديا بين أترابه فى شرذمة قليله وطائفة نبيله أبعد ماعنده نزولهم وأشرد ما لديه حلول نكد وغم يقذيه الكمال وينادية لسان الجمال بقوله

تدللا فأنت أهل لذا كا * وتحكم فالحسن قد أعطا كا

فوصل بتلك العصابة السلطانيه الى قصبة تسمى سلطانيه فأرسل الله داد الى خدايداد أن الركاب السلطانى خرج من سمرقند فى اليوم الفلانى وفى الساعة الفلانيه يحل كورة سلطانيه

﴿ذكر ما قصده خدايداد من المكيد ووقوع خليل سلطان فى قنص الصيد﴾

فقصد خدايداد المخاتله وترك ثقله مقابل المقاتله ونبذ العساكر وراء ظهره

وتأبط شره شراره وهراوة هزه واستصحب من أبطال القتال ورجال النضال والنزال طائفة جاسرة غير خائفة على ماقيل شعر

رزانا اذلاقوا خفافا اذا دعوا * كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا

والتحف ذيل الليل وامتطى ظهر الخيل واستطرق الى مطلوبه طريقا عوجا واستقود الى مقصوده قواد الدجى كما قيل شعر

لاتلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

حتى وصل الى سلطانية وهى قصبة أنشأها تيمور ولم يكن لأحد به شعور فلم يفجأ خليل سلطان الا وقد جاءه موج البلاء من كل مكان فنهض كل من معه من الأصحاب وأخذوا فى الحرب والطعن والضراب وقاتلوا قتال الموت وأيقنوا حلول الفوت فعضت عليهم الحرب العضوض وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ ومرضوض فقتل حقيرهم وجليلهم ووقع فى نار عدوهم حبيبهم وخليلهم ثم رجع خدايداد الى معسكره فرحا بنجحه مستبشرا بظفره

(فصل) ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان بأشد مايكون وأبلغ من من أنواع الايمان انه لايقصده بأذى ولا يرمى فى عين معيشته بخيال قذى ولا يؤذيه بقول ولا عمل ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر ودخل وسيرى نتيجة ماحلف وان الله تعالى عفا عما سلف

(فصل) ثم التمس منه أن يرسل الى الله داد فمن دونه من الأجناد أن يستسلموا لخدايداد وأرسل خدايداد أيضا الى الناس بأنى قد استوليت منكم على الراس فان أطعتمونى أطعته وان لم تصلونى قطعته ولما رقم خليل سلطان فى هذا الكرب تصور ان هذا سهم غرب ثم ظهر له مكان ذلك المكمن وتحقق كيف أخذ فى المأمن وعلم من أين صب ذلك البلاء عليه وأنى أخذ من ذلك الجانب الذى يأمن اليه فقال بلسان الحال

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف

فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى * من الناس الا من نود ونعرف

ثم أرسل الى سائر الامراء ورؤساء الجيش والوزراء أن يستسلموا لخدايداد ولا ينازعوه ولا يدافعوه فيما يريد ولا يمانعوه فاستسلم الكل اليه واستقبل ذراه

وسلم عليه فاستولى على تلك الجنود المجنده وتحصن من غوائل المخاتلة بالرماح المدده والسيوف المهنده وقدم جنود جند وخجند وأغنام تركستان وطغام أوزجند وآخرين سوى أولئك وتقدم الى سمرقند ولم يلتفت الى الله داد فمن دونه وتحقق الله داد أن صفقته فى ذلك مغبونه فسلخ الزمان عنه ما كان ألبسه من ثوب عز وسلب وانتزع من بين يديه ما كان فيه من جاه ومال وذهب وكان قيام ذلك الحشر فى سنة ثمانمائة واثنتى عشرة

﴿ذكر ما جرى من الفساد بسمرقند عند قدوم خدايداد﴾

فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل فتغيرت تلك الرسوم والدول وكأنه ظهر اختلاف الملل والنحل وكان له ابن يدعى الله داد فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد وتفحص عن مكامن الخزائن ونقب فى أطوادها عن الفلزات والمعادن ونقر عن مضمرات الضمار وبحث عن الخبايا والدفائن وتغيرت الاوضاع وتبدلت بالفظاظة رقاق الطباع وصاروا كما قيل شعر

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها

وتنكرت الصفات حتى كأنما تحولت الذوات أو بدلت الارض غير الأرض والسموات شعر

وتنكرت أرض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا

﴿ذكر بلوغ هذه الامور شاهرخ بن تيمور وتلافيه تلك الحوادث وحسمه مادة هذه العوائث﴾

ولما اتصل بشاهرخ هذا الخبر عبس وبسر وتضجر وزجر وازور وازبأر وكشر واكفهر وتغير وجهه وتغبر واستغاث وتقلق وولول واسترجع وحوقل وتحرق وتنكد وتأوه وأنشد شعر

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

ثم طير بطائق مراسيمه كل مطير الى أطراف ممالكه بجمع العسكر وأمر شاه ملك أن يسير غير مرتبك ويستديم السير ويسابق بعتاقه عتاق الطير فيتدارك ما انفرط من النظام ويطارده ويردا ممالكه الاغنام الطغام فلا يدع رائدهم أن

يعل ويعاجل مستعجل قدرهم أن يعل فصار شاه ملك في الحال بعساكر في المدد كالجبال وفي العدد كالرمال ثم أتبعه شاه رخ بسائر الاساوره وكواسر الأكاسره وسار لا يلوي على أحد ولا يسكن في حركته الى طالع ولا رصد حتى وصلوا جيحون وعبروه غطوا وجهه وستروه فانبسط ذلك السيد على وجه الماء فكان البحر غطى بالغمام المتراكب وغرق في بحر الحياء

(فصل) ولما قطع البحر تلك الأطواد واتصل الخبر بخدايداد تيقن أنه لا طاقة لذبابه ورقوده بذئاب جنود شاه رخ وأسوده وأن حل عساكره يفترعنه ويسلمه ويقبض عليه ولشاه رخ يسلمه فأسرع في تخبيز آربه وبادر الى تجهيز مطالبه وأخذ ما وصلت يده اليه من أموال وأوسق ما بلغت طاقته من نفائس وأحمال واستصحب خليل سلطان وتوجه الى ايدكان وأودع الله داد وأرغون شاه وبابا ترمش في القلعه وانف أن يستصحب أحدا منهم معه وترك شاه ملك أيضا في المدينه بفراق خليل راهينه وبسلب ما كانت فيه من العز مهينه

ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجنديه وقبل وصول الشواهين الشاهرخيه

ثم لما رحل خدايداد وانفصل ولم يكن أحد من جهة شاه رخ وصل وما كان للناس ظهر ولا راس اراد الله داد وأرغون شاه أن يتوجها الى شاه رخ ويستقبلاه فرفع خواجا عبد الأول عليهما يده واقام لمنعهما عن الخروج من القلعة رصده واستعان بشطار المدينه وكان الله داد قبل ذلك أنكاه بنكاية أورثته ضغينه كما قيل مصراع

من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

فلم يختلف في رياسته اثنان ولا انتطح فيما أمرهم به عنزان وصارت اشارته الآمرة الناهيه وجداول مراسيمه فيما بين الناس جاريه وأزرار الطاعة في تلك الأيام الخاليه والعلم يرفع بيت الاعمادله ولم يزل خواجا عبد الأول يسوس الرعيه ويوصي على الله داد ورفيقيه ومن معهم ويشدد مضائق القضيه الى ان طلعت طلائع شاه ملك وأعقبتها العساكر الشاهرخيه

ذكر بدور بدور الدولة الشاهرخية في ممالك ما وراء النهر بعد غروب شمس النوبة الخليلية

فخرج اهل المدينة لاستقباله مستبشرين برؤية جبين هلاله فنزل كل احد في منزلته ووضع كلا من الناس في مرتبته ثم قبض على الله داد ورفيقيه وعاقبهم بأنواع العقاب وصنف في تعذيبهم واستخلاص الاموال منهم انواع العذاب ثم قتلهم صبرا ونقلهم من الدنيا الى الاخرى الا بابا ترمش فانهم عاقبوه وبأنواع العذاب الهبوه ففي بعض الايام وقد انكت فيه من العذاب الآلام أخذ الموكلين به ليطلعهم على قضيه أو يذهب بهم الى خبيه فرواه وهو في قيد وثيق على حوض ماء عريض عميق فاستل من قراب أيديهم عضب يده الداق ورمى بنفسه وزخ في ذلك الماء على غفلة فغرق

﴿فصل﴾ ثم ان شاه رخ زار باه وأقام شرائط عزاه وجدد ترتيب القراء على تربته والقومه واستأنف معالم المرتبين في ذلك والخدمه ونقل الى خزائنه جل ما كان على حفرته من أقمشته وأمتعته وأسلحته وعفر بيادر الخزائن وحفر تخوم تلك الكنائن وشرع في تمهيد القواعد وترتيب مراتب الاقارب والاباعد

﴿فصل﴾ وقبضوا على شاد ملك واهانوها وشانوها بعد الامن صانوها وصبوها بالعذاب صب السلمه وهزوها لاستخراج الاموال منها هزات أعوان الظلمه ثم بعد ذلك الابتذال واستخلاصهم منها أنواع الاموال حزموها وشددوا منها الوثاق وشهروها منادين عليها في الاسواق واستقرت على شاه رخ الامور وارتفعت صدور وانقصمت ظهور وعلا انسان وانحط انسان فسبحان من هو كل يوم في شان عز شانه وتعالى سلطانه يغير الدول ويقلب الاحوال ولا يعتري سلطانه تغير ولا انتقال

﴿ذكر ما قصده خدايداد من اتمام النكد والفساد وكيف آل ذلك النكال الى ان جرى عليه الوبال﴾

وأما خدايداد فحين حل في مكانه وخلا بخليل سلطانه في اندكانه حذره عهوده ومواثقه أنه أمنه مكره وبوائقه وذكر أن ذلك النكال والنكاد انما فعله معه ارغون شاه والله داد مع احسانه اليهم واسباله ذيل انعامه عليهم وانهم كافأوه مكافأة التمساح وقابلوا بافساده منه الاصلاح ثم قال له اذكرصنيعك معي أولا

وظاهرا وانظر ما أفعله معك باطنا وآخرا وسأفعل معك ما يتحقق به خلوص الطويه وصدق النيه بحيث يذهب الكدر ويبقى الصفا وينمحى الجفا ويثبت الوفا ونعيش باقى عمرنا متصافين وفى رياض الهنا متوافين متكافين فنمحوا ما انكتب فى الواح صدورنا من المحبة والشفقه مساطير الاساطير المكتنبة فى باب الجامعة المطروقه وسأردك ان شاء الله تعالى الى دار عزتك وأجتهد فى تحصيل ما يعيدك الى نشاطك وعزتك ثم خطب باسمه فى اندكان وأمر بذلك فى أطراف تركستان

تتمة ما جرى من خليل وخدايداد من المعاقدات وتأكيد العهود والمودات الى أن أدركهما هادم اللذات

ثم تأكدت بينهما وثائق الايمان وذهب خدايداد يستمد المغول لخليل سلطان وترك خليل سلطان باندكان وكان المغول لما بلغهم موت تيمور المخذول سلبوا قرارهم وأخلوا ديارهم ولجأوا الى الحصون وتشبثوا بأذيال كل كهف مصون كما ذكر أولا فلما تحققوا موته واستثبتوا فوته تنادوا بالامن والامان وجاوروا خدايداد فى ذلك المكان وأرسلوا يهنئون خليل سلطان وبعثوا اليه هدايا سنيه وتحفا فاخرة ملوكيه من جملتها كرسى من ذهب أفرغ صائغه فى قالب العجب فأكرم خليل سلطان رسلهم وأعظم نزلهم وأجمل معهم حوارا وأجرا وجازاهم بكل حسنة عشر امثالها

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

ولازالت خلع المرده بينهم تنتسج ووجوه المكارمة والمحاشمة يوما فيوما تبتهج حتى جرى له ما جرى وجرى عليه من بحر القضاء والقدر ما جرى فساعة وصول خدايداد اليهم قبضوا عليه وأرسلوا الى خليل سلطان ينهون صورة الحال اليه وقالوا انه علم ما بيننا وبينك من خالص الوداد وانا عالمون بما وقع بينك وبين خدايداد وانه كان السبب فى تبددك وخروج الملك من يدك وقد جاء يستمدنا لك فارسم لنا ما بدا لك فان رسمت قتلناه وان اشرت أمددناه وفى الجملة مهما أمرت به امتثلناه فأرسل يقول قد علمتم كيف آذانى ومزق عرضى وأخزانى وأخرجنى

من مالكي وسلطاني وغربني من أهلي واخواني وأذاني اذ رأسني بمفارقة ذي وأوطاني والآن فقد جعلني ترسا يتقي بي الحوادث والباسا وقد عرفتم كيف يريد أن يتصرف وعلى كل حال فالعارف لا يعرف ومع هذا فما رأيتم في ذلك من المصلحة فافعلوه ففي الحال قطعوا راسه واليه أرسلوه

﴿ذكر عود خليل سلطان من عمالك أنه كان وقصده عمه شاهرخ ولعبه بالنفس مع ذلك بارخ﴾

واستمر خليل سلطان في ذلك المكان وأطراف تركستان يرسل بالفارسي الاشعار العراقيه وينشئ في حبيبته مايشبه القصائد الزيدونيه ويذكر ما هو فيه من الغربه وماجرى عليه من الفراق والكربه فيصدع بذلك القلوب ويفتت الاكباد الى أن مل المقام في تلك البلاد فنفض منها ذيله وضم رجله وخيله وقصد عمه وركب الطريق وأمه فاكرم عمه مثواه ولم يذكر له اخبار ما أنشاه وضم اليه حبيبته وتم الى خليل جليلته وقرر قاعدة ذلك الاقليم وشيده وولى فيه أولوغ بيك ولده ونقل الى خراسان مستصحبا معه خليل سلطان ثم ولاه ممالك الرى ولم يقم بها الا أدنى شئ وانتقل الى رحمة الله وكان عمه دس له شيأ سقاه فدفن بمدينة الرى وطوى نشر ذلك الحاتم أى طى وحين وقعت شاد ملك في هذا الخطب الجليل واشتعلت أحشاؤها بنار الخليل قالت لا ذقت فقدك ولا عشت بعدك وانت ورنت وانشدت وغنت شعر

كنت السواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

ثم أخذت خنجرا فوضعته في لبتها واتكأت عليه بقوتها فنفذ من قفاها وأحرقت بنارها كل من رآها فدفنا في قبر واحد وأمسى لسان حالهما ينشد شعر

أجارتنا انا غريبان هنا * وكل غريب للغريب نسيب

وصفا الشاه رخ ممالك ماوراء النهر وخراسان وخوارزم وجرجان وعراق العجم ومازندران وقندهار والهند وكرمان وجميع بلاد العجم الى حدود أذربيجان الى يومنا هذا اعنى سنة ثمانمائة واربعين ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه

واطفه والحمد لله رب العالمين

﴿ فصل في صفات تيمور البديعه وما جبل عليه من سجية وطبيعه ﴾

وكان تيمور طويل النجاد رفيع العماد ذا قامة شاهقه كأنه من بقايا العمالقه عظيم الجبهة والراس شديد القوة والباس عجيب الكون أبيض اللون مشربا بحمرة غير مشوب بسمرة ضخم الاطراف عريض الاكتاف غليظ الاصابع سبط الاكارع مستكمل البنيه مسترسل اللحيه أشل أعرج اليمين عيناه كشمعتين غير زهراوين جهير الصوت لا يهاب الموت قد ناهز الثمانين وهو مع ذلك بجاش مكين وبدن مستمسك متين صلب شهما كأنه صخرة صما لا يحب المزاح والكذب ولا يستميله اللهو واللعب يعجبه الصدق ولو كان فيه ما يسوءه لا يأسى على ما فات ولا يفرح بما يجيئه وكان نقش خاتمه راستى رستى يعني صدقت نجوت ويسم دوابه ورسم سكته على الدرهم والدينار ثلاث حلق هكذا لا يجري في الباقي مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم ولا من سبي ونهب وغارة وهتك حرم مقداما شجاعا مهابا مطاعا يحب الشجعان والابطال ويستفتح بهم أقفال الاهوال ويفترس بهم أسود الرجال ويستهدم بهم وبصدماتهم قلال الجبال ذا أفكار مصيبه وفراسات عجيبه وسعد فائق وجد موافق وعزم بالثبات ناطق ولدى الخطوب صادق قلت

فكم قدحت آراؤه زند فتنة * جمعه لدى الباسا وأردت قبائلا

مجاجا دراكا للعدو والملزه مرتاضا مستيقظ الرزه لا يخفى عليه تلبيس ملبس ولا يمشي عليه تدليس مدلس يفرق بين المحق والمبطل بفراسته ويدرك الناصح والغاش بدربة درايته يكاد يهدي بأفكاره النجم الثاقب ويستتبع بآراء فراسته سهم كل كوكب صائب قلت

يشاهد أعقاب الامور بعقله * كما شاهد المحسوس بالعين ناظر

اذا أمر بأمر أو أشار بشيء لا يرد عنه ولا يثني عنان عزيمته عن شيء منه لئلا ينسب الى قلة الثبات وركاكة الرأي والحركات قلت

اذا قال قولا أو أشار اشارة * ترى أمره في ذاك كالنص قاطعا

وكان يقال له في ألقابه صاحب قران الاقاليم السبعة وقهرمان الماء والطين وقاهر

الملوك والسلاطين يحكى ان قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون
المالكى قاضى القضاة بمصر كان صاحب التاريخ العجيب والسالك فيه الاسلوب
الغريب على ما ذكر لى من رآه واطلع على لفظه ومعناه من الاذكياء المهرة والادباء
البررة مع انى لم أره وكان قد قدم الشام مع عساكر الاسلام وحين ولت العساكر
الادبار انشبته فى مخاليب تيمور الاقدار قال له فى بعض مجالسه وقد أنس به وآنسه
بالله يا مولانا الامير ناولنى يدك التى هى مفتاح فتوح الدنيا حتى أتشرف بتقبيلها
وقال له أيضا لما اراد ان يستصحبه معه وقد سرد عليه شيأ من تواريخ ملوك الغرب وكان
تيمور مغرما باقراء التواريخ واستماعها فاعجبه ذلك غاية الاعجاب ورغب منه فى
استصحاب يا مولانا الامير مصر حرجت عن ان يتولى فيها نائب غيرك أو ان يجرى
فيها غير أمرك ولى فيك عوض من طريفى وتلادى وأهلى وأولادى ووطنى
وبلادى وأصحابى وأخدانى وأقاربى وخلانى وملوك الناس وعن كل ظهر
وراس بل وعن كل الورى اذ كل الصيد فى جوف الفرا وما أتأسف ولا أتلهف
الا على ما مضى من عمرى وانقضى من دهرى كيف تقضى ذلك فى غير خدمتك
ولم تكتحل عينى بنور طلعتك ولكن القضاء جاز وسأستبدل الحقيقة بالمجاز وما
أولانى ان أكرر على لسانى قوله

جزاك الله عن ذا السعى خيرا * ولكن جئت فى الزمن الاخير

فلاستأنفن فى ذراك عمرا ثانيا ولاعدن الزمان بابعادى عن حضرتك عاديا
ولاتداركن ما مضى من عمرى بصرف ما بقى فى خدمتك والتشبث بغرزك ولاحسبن
ذلك أعز أوقاتى وأعلى مقاماتى وأشرف حالاتى ولكن ما يقصم ظهرى الا كتبى
التى افنيت فيها عمرى وصرفت جواهر علومى فى تصنيفها وظمئت نهارى
وسهرت ليلى فى ترصيفها وذكرت فيها تاريخ الدنيا من بدئها وسير ملوك شرقها
وغربها وانى ظفرت بها لاجعلنك واسطة عقدهم وخلاصة نقدهم ولاطرزن بسيرك
خلع دهرهم ولاصيرن دولتك هلال جبين عصرهم اذ أنت أبو المقادم والبازغ
بدر نصره فى شرق الغرب من دياجير الملاحم والمكاشف به على لسان كل ولى
والمشار اليه فى الزوايج والجفر المنسوب الى أمير المؤمنين على وصاحب القران
المنتظر فى آخر الزمان وهى فى القاهرة فلو حصلت عليها ما فارقت ركابك

ولا هجرت أعتابك والحمد لله الذى رزقنى من يعرف قيمتى ويحرز خدمتى ولا يضيع حرمتى مع كلام فصيح صادع بديع بليغ خلاب خادع فاهتزت فرحا أعطافه وتراقصت مرحا أطرافه وأعجبه ذلك وأغراه ميله الى كتب التواريخ والسير واستهواه حب معرفة أحوال الملوك الذى ذكر حتى شده عما خلبه بسحره هذا البيان البديع وسلبه ثم انه استوصفه بلاد الغرب وممالكها واستوضح أوضاعها ومسالكها وقراها ودروبها وقبائلها وشعوبها كأنه ودأبه وشأنه والقصد فى ذلك امتحانه لانه لم يكن محتاجا لذلك اذ فى خزائن تصوره صور جميع الممالك وانما أراد بذلك معرفة مقدار علمه وكيفية ابداء نصحه له وكتمه فاملى كل ذلك من طرف لسانه كأنه يشاهده وهو جالس فى مكانه وشرح تلك الامور كما فى خاطر تيمور ثم قال له كيف تذكرنى وتجتمع مع الملوك الاكابر ولم تنل فى النسب تلك المفاخر وما نحن من يعاسيب النحل فانى تعيننا مع النحل فقال أفعالكما البديعة أوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعة فاعجبه هذا الكلام وقال لجماعته اقتدوا به فانه امام ثم أخذ تيمور خبر القاضى عما وقع فى بلاده وما جرى بين ملوك الغرب وأجناده ولا زال يذكر له أخبار الناس حتى سرد عليه أخبار متعلقيه وأولاده فتحير القاضى من املائه وقال ان الشيطان ليوحى الى أوليائه ثم ان تيمور عاهد القاضى ان يتوجه الى القاهره ويأخذ أهله وأولاده وكتبه الزاهره ولا يلبث أكثر من مسافة الطريق ويرجع اليه بامل فسيح وعهد بنيل الاماني وثيق فجهزه الى صفد واستراح من ذلك النكد

﴿فصل﴾ وكان تيمور محبا للعلماء مقربا للسادات والشرفاء يعز العلماء والفضلاء اعزازا تاما ويقدمهم على كل أحد تقديما تاما وينزل كلا منهم منزلته ويعرف له اكرامه وحرمته وينبسط اليهم انبساط رحمة ممزوجا بهيبه ويبحث معهم بحثا مندرجا فيه الانصاف ولطفه مندرج فى قهره وعنفه مندرج فى بره

شعر متفرق الطعم بين مجتمع القوى * فكأنه السراء والضراء

وقيل

مر المزاق على أعدائه بشع * حلو الفكاهة للاصحاب كالعسل

وكان مغرما بارباب الصناعات والحرف أى صناعة كانت اذا كان لها خطر

وشرف يبغض بطبعه المضحكين والشعراء ويقرب المنجمين والاطباء ويأخذ بقولهم ويصغي الى كلامهم ملازما للعب بالشطرنج لكونه منقد الفكر وكانت علت همته عن الشطرنج الصغير فكان يلاعب بالشطرنج الكبير ورقعته عشرة في احدى عشر وفيه من الزوائد جملان وزرافتان وطليعتان ودبابتان ووزير وأشياء غير هذه وسيأتي وضعه والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلاشئ مواظبا لاقراء التواريخ وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وسير الملوك وأخبار من مضى من الأنام سفرا وحضرا كل ذلك بالفارسي وعادكررت قراءتها عليه وطنت نغماتها على أذنيه قبض ذمام ذلك وملكه حتى صارت له ملكه بحيث ان قارئ ذلك اذا خبط رده الى الصواب من الغلاط وذلك لأن التكرار يفقه الحمار وكان أميا لا يقرأ شيأ ولا يكتب ولا يعرف شيأ من العربيه ويعرف من اللغات الفارسية والتركيه والمغوليه حسب لا غير وكان معتقد اللقواعد الجنكيزخانيه وهي كفروع الفقه من الملة الاسلاميه ومشيالها على الطريقه المحمديه وكذلك كل الجغتاى وأهل الدشت والخطا وتركستان وأولئك الطغام كلهم يقدمون قواعد الملعون جنكيزخان على قواعد الاسلام ومن هذه الجهة افتى كل من مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد البزاري رحمه الله ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد البخاري م أبقاه الله وغيرهما من العلماء الاعلام وأئمة الاسلام بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانيه على الشريعة الاسلاميه ومن جهات أخر أيضا وقيل ان شاه رخ أبطل التوراة والقواعد الجنكيزخانيه وأمر أن تجرى سياستهم على جداول الشريعة الاسلاميه وما أظن لذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار كالملة الصريحه والاعتقادات الصحيحه ولو اتفق انه جميع مرازبه ومواخذه في دسكره ويغلق أبوابها ويطلع عليهم من منظره ويفتح عليهم شيأ من هذا الباب لحاصوا حيصة الحمر الى الأبواب

﴿فصل﴾ وكان فريد الطور بعيد الغور لا يدرك لجر تفكيره قعر ولا يسلك في طود تدبيره سهول ولا وعر قد أقعد في ممالكه نواميسه وأقام في سائر الممالك جواسيسه وهم ما بين أمير كاطلاميش أحد أعوانه وفقيه فقير كمسعود الكججاني من أصحابي ديوانه وكان ذلك في القاهرة المعزيه وهذا بدمشق أحد

الصوفية بالشيصاثيه ومابين متسبب وتاجر ومصارع شرير وبهلوان فاجر ومكدوصنائعي ومنجم وطبايعي وقلندري قوال وحيدري جوال وبحري سباح وبري سياح وسقاءظريف وحذاء لطيف وسعلاة دلاله وشيخة محتالة كدلة المحتاله ومن مرت به التجارب وضرب أكباد الابل مشارق ومغارب وبلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال منزلة الكمال وألف بلطيف ختله ودهاه بين الماء والنار والهدى والضلال وجاوز في الحيل والكيد ساسان وأبا زيد وألزم في حكمته وجدله ابن سينا وأسكت في منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا فجمع بين المتنافيين وألف بين المتعاديين قلت

فاق من قاد للعدى كل جيش * بكلام ثنى البعيد قريبا *
مزج النقل في القياد بعقل * فهدى عاشقا وأهدى حبيبا

فكانوا ينهون اليه حوادث الاطراف وأخبارهم ويكتبون اليه ماقدموا وآثارهم ويذكرون لديه أوزانهم وأسعارهم ويصفون منازلهم وأمصارهم ويصورون منهم وأوعارهم ويخطون بيوتهم وديارهم ويبينون مدى ذلك بعدا وقربا وما في ذلك ضيقا ورحبا وجهات وأقطار اشرقا وغربا وأسامي الامصار والقرى وألقاب المنازل والذرى وأهل كل مكان ورؤساءه وأمراءه وكبراءه وفضلاءه وشرفاءه وأغنياءه وفقراءه واسم كل واقبه وشهرته ونسبه وحرفته وسببه فكان يطالع بفكره ذلك ويتصرف بتفكيره في سائر الممالك وكان اذا حل ببلد واجتمع به من أعيانها أحد شرع يسأله عن فلان وفلان وماجرى لفلان في الوقت الفلاني مما زانه من أمر وشان والى م آلت تلك الواقعه وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما من المنازعه فيبهت ذلك الرجل ناظرا ويظن أن تيمور كان في تلك الحالة حاضرا وكان كثيرا مايطرح عليهم من أغاليط المسائل ويحكي صور مباحثات جرت لهم ورسائل فيتصورون ان له في ذلك العلم قدمه أو كان منه للعلماء خدمه ولذلك تصور بعض الناس أن ذلك الوسواس الخناس كان مقيما بالسلاريه وبعض بالغ حتى قال انه رآه في فقراء الشيصاثيه

﴿فصل﴾ ومما يحكى عن فراسته انه لما نزل على سيواس وقد حصنها منه أولو النجدة والباس قال لعسكره اعملوا الحيله انا فتحوهـذه في ثماني عشرة ليله

فكان كذلك فلاشك ان ذلك الاعرج كان ملهما أو مستدرج وكان ذا مغالطات وحركات لها مغاورات اذا دهمه أمر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه وربما يظهر الرغبة عن شئ وهو مريد حصوله ومشتهيه وقد مر نظائر هذا كله فمن مغالطاته انه اذا كان له فى مكان روم أو أراد أن ينزل بساحة قوم قصد الاخفاء والتعمية وطلب الايهام والتوريه وبحر عسكره لا يخلو من عماح تجسس أو سرطان متحسس ولو لم يكن لاحد فى عسكره عين فان بزوغ العين لا يخفى على ذى عين فانه يجمع أركان دولته وأعيان مملكته وذوى ارائه ومشورته بحيث انه لا يتخلف منهم أحد ولا يحزى مولود من الدولا والدعن ولد ثم يظهر لهم خفية أموره ويطلب منهم المشورة فى جهة مسيره ويطلق لهم عنان الكلام ويقول لا تثريب على من خاض فى ذلك من خاص الانام ناظر فى عقاب الامور ما بين يوم وعام فليتكلم كل ولا حرج فسواء هوى الى حضيض الخطأ والى أوج الصواب عرج فان أخطأ فلا انقصان وان أصاب فله أجران فيبذل كل جهده ويعانى فى ذلك وكده ويبدى فى ذلك ما أدى اليه اجتهاده ويتصور ان ذلك يوافقه مراده فتتفق الاراء على ناحية من الانحاء ثم ينفض ذلك المجلس ويجتمع بخصائه ويجالس كسليمان شاه وقارى وسيف الدين والله داد وشاه ملك وشيخ نور الدين ويمحضون القضية محضا غير ذلك ويبحثون فيها بحثا دقيق المسالك فيقع آخر الامر الاتفاق على التوجه الى بعض الآفاق ثم يدعو براندهم وساقتهم فى ذلك وقائدهم ويأمرهم بالتوجه اليه فيتصدعون على ما عول فى ذلك عليه وحين يقوض الظلام خيامه وينشر رائد الصبح أعلامه ويضرب الكوس للرحيل ويأخذ الناس فى التحميل ويتوجه الناس الى الجهة التى أمرهم بالمسير اليها ووقع الاتفاق عليها دعا عشيته بعد ما رحلوا وأخذوا فى المسرى وأمرهم أن يعتزوا ويرحلوا الى جهة أخرى لم يكن أبداها لاحد من الجماعه الا فى تلك الساعه ولولا الضرورة لما افشاها ولا أعاد سريرتها لاحد ولا أبداها فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا ويأخذ الصبا كرشرقا ويأخذ غربا فتضطرب تلك الاطواد وتخبط وتنفرط عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط وتنحل قوائم مواشيها عن المسير وترتبط ويعوج بعض الناس فى بعض وينعكسون عما فى أرض وطولا فى عرض ويتوله كل أحد ويتدله ولا يدرى الى

أين يتوجه فان كان فى عسكره بيثه أو من يراقب ذهابه ومجيئه فبمجرد ما رأى
تحميلهم وشاهد تحويلهم ورحيلهم طار الى مخدومه وأظهر له ما فى معلومه
من توجه العساكر الى الجهة التى اتفقوا عليها وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا اليها
فيأخذ حذره أهل ذلك الجانب وتطمئن سائر الجوانب من النوائب فلم يشعر الا وقد
دهم على الجانب الذى قصده وحطمه ونبذه من نار العذاب الموقدة فى السعير
والحطمه وكم كان له من دهاء ومكر فى وذكاء ومن جملة ذلك انه لما كان بالشام
وقد قابلته عساكر الاسلام أشاع أن سوار أساورته تحلل وتأخر قليلا الى وراء
وتحلل وأذاع انه أعوز خيله ورجله الزاد وانه صاحب صوب بغداد ثم أصفرت
القضيه عن ان انهزمت العساكر المصريه وكان قصده بذلك تثبيت جاشهم
واستقرار رؤسائهم وأوباشهم وان يكر كل منهم على ما أزم فيربض فى مكانه ولا
ينهزم فيحيط بالكل كيده ويصير المجموع صيده وهاتيك من شدة عزمه وثباته
على ما يقصده وحزمه وحلول نقمته عن يعارضه ويعاكسه فيما يرومه ويناقضه أنه
لما توجه بالجنود الى بلاد الهنود بلغ الى قلعة شاهقة أقراط الدرارى بآذان
مراميها عالقه ورجوم النجوم الخارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه
كان بهرام فى مهواه أحد سواطيرها وكيوان فى مسراه خادم نواطيرها والشمس فى
استوائها افرة جبينها وقطرات السحاب فى الانسكاب تترشح من قعر معينها وشقة
الشفق الحمراء على آذان مراميها وأنوف أبدانها سرادق وكربات نجوم القمة
الخضراء لعيون مكاحلها وأفواه مدافعها طابات وبنادق فيها من الهنود طائفه
ثابتة الجنان غير خائفه جهزت أهلها وما تخاف عليه الى الاماكن المعجزه وتثبتت
هى فى تلك القلعة حافظة لها تحرزه مع انها شرذمة قليله وطائفة ذليله لا خير
عندهم ولا مير ولا فائدة سوى الضرر والضير ولا للقتال عليها سبيل ولا حواليها
لا خدمة ميت ولا مقيل بل هى مطلة على القاتله مستمسكة من المقاتله فأبى أن
يجاوزها دون أن يناجزها بالحصار ويناجزها واللبيب العاقل ما يترك خصمه
وراءه معاقل فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد ونصب كل من أهلها عليهم من
أسباب المنايا ما يريد كما يريد فكان كل يوم قتل من عسكره ما لا يحصى والقلعه
تزداد بذلك اباء واستعصا وهو يأبى الرحيل عنها الا أن يصل الى غرضه منها ففى

بعض أيام المحاصرة مطروا وبواسطة المطر انحصروا وصار بعضهم على القتال وركب لينظر ماذا يصنعون في تلك الحال فلم يرتض أفعالهم لما عكست أحوالهم أحوالهم فدعا منهم رؤس الامراء وزعماء العسكر والكبراء وأخذ يزق أديم عصمتهم بشفار شتمه ويشق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه ونفخ الشيطان في خيشومه فألهب فيهم نيران غضبه وشومه وقال يالئام وأكلة الحرام تتقلبون في نعمائي وتتوانون عن أعدائي جعل الله نعمتي عليكم وبالا وألبسكم بكفرانها خيبة ونكالا يافاجري الذمم وكافري النعم وساقطي الهمم ومستوجبي النقم ألم تطؤا أعناق الملوك بأقدام أقدامي وتطيروا الى آفاق الدنيا بأجنحة احساني واكرامي وتفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتي وتسرحوا في متنزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دولتي بي ملكتم مشارق الارض ومغاربها وأذبتم جامدها وأجمدتم ذائبها شعر

ألم أك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما ألجأتم من ورائيا
وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا

ولا زال يهمهم ويغمغم ويهذرم ويبرطم وهم مطرقون لا يحيرون جوابا ولا يملكون منه خطابا ثم ازداد حنقا وكاد أن يموت خنقا فاخترط السيف بيده اليسرى وهم به على قمم أولئك الاسرى وهم أن يجعل رقابهم قرابه ويسقي دمائهم فرنده وذبابه وهم على تلك الحال في الخزي والاذلال باذلون وهم ناكسو رؤسهم ثم تراجع وتماسك وملك نفسه قليلا وتمالك فأغمد عن تفريقهم حسامه ولم يلو لامر دقيقة ولا ديرة نفاف غربه وشامه ثم نزل عن مركبه واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به وكان عنده شخص يدعى محمد قاوجين وهو لديه ذو أمكان مكين ومقام أمين مقدم على كل الوزراء ومبجل دون سائر الامراء مسموع القول مقبول الرأي ميمون النقيبة محبوب الشكل فتشفعوا اليه وعولوا في حل هذا الاشكال عليه وقالوا ساعدنا ولو بلفظه وراقبنا ولو بلحظه واعمل معنا بهذا المعنى قال شعر

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

وعاقيل

وأهون مايعطى الصديق صديقه * من الهين الميسور أن يتكلما

وبما قيل

وان امرأ قد ضن عنى بمنطق * يسد به من خاتى لضنين

فأجابهم والتزم أن يرده عما تأزم به وأزم وراقب مجال المقال وراعى فرص المجال وأخذت أفكار تيمور تغور فى أمور القلعة وتغور وجعل يستضوى أضواءهم ويستورى آراءهم ولا يسع كلا منهم الا القبول لما يستصوبه رأيه ويقول ففى بعض الاحايين اتفق أن قال محمد قاوجين وقد زل به القضاء وأحاطت به نوازل البلاء أطال الله بقاء مولانا الأمير وفتح بمفاتيح آرائه ورايانه حصن كل أمر عسير هب انا فتحنا هذه القلعة بعد ان أصيب منا جانب من أهل النجدة والمنعه هل بقى هذا بذا ويوازن هذا النفع بهذا الأذى فما احتفل بخطابه ولا اشتغل بجوابه بل استدعى شخصا من المرقداريه فظا قبيح المنظر ذا حالة زريه يدعى حراملك ذا عرق سهك ووجه بالسواد سدك أوسخ من فى المطبخ وأسنج من فى المسلخ لعاب الكلب طهور عند عرقه وعصارة القير حليب بالنسبة الى مرقه فخن ماحضر لديه ووقع نظره عليه أمر بثياب محمد قاوجين فنزعت وبخلقان حراملك فخلعت ثم ألبس كلا ثياب صاحبه وشدوسطه بحياصته ودعا دواوين محمد ومباشريه وضابطى ناطقه وصامته وكاتبيه ثم نظر ماله من ناطق وصامت وذائب وجامد وملك وعقار وأهل وديار وحشم وخدم من عرب وعجم وأوقاف وأقطاع وبساتين وضياع ومماليك وأتباع وخيل وجمال وأحمال وأثقال حتى زوجاته وسراريه وعبيده وجواريه فأنعم بذلك على ذلك الوسخ وأمسى نهار وجود محمد قاوجين وهو من ليل تلك النعمة منسلخ ثم قال تيمور أقسم بالله وآياته وكلماته وصفاته وأرضه وسمواته وكل نبى ومعجزاته وولى وكراماته وبرأس نفسه وذاته ان آكل محمد قاوجين أحد أوشاربه أوماشاه أوصادقه أوصافاه أوآوى اليه أوآواه أوراجعنى فى أمره أوشفع عندى فيه أواشتغل بعذره لأجعلنه مثله ولأصيرنه مثله ثم طرده وأخرجه وقد سلبه نعمته وأحرجه فصار مسلوب النعم قد حلت به نوائب النقم ومحبوه بالحلق ورأى نعمته على أقل الخلق واتصل غيره بالحلق وقطع منه الحلق فقلقت حبسة قلبه أى قلق واستمر على ذلك فى

فيمن مر وعمر حالك وحاشا أن تشبه قصته قضية كعب بن مالك فكان يستحلي مرارة الموت ويستبطئ اشارة الفوت وكل لحظة من هذا الحيف أشد عليه من ألف ضربة بالسيف فلما مات تيمور أحياه ورد عليه خليل سلطان ما سلبه جده اياه

(فصل) وكان من أبهته وعظمته وشدة شكيمته رعبه وحرمته أن ملوك الأطراف وسلاطين الاكناف مع استقلالهم بالخطبه واستبدادهم بالسكه وانفرادهم بالزعامة والرياسه وقيامهم بأمور الايالة والسياسه كالشيخ ابراهيم ملك ممالك شروان وخواجا علي بن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان واسفنديار الرومي وابن قرمان ويعقوب بن علي شاه حاكم كرمان وحاكم منشا وطهرتن أمير ارزنجان وسلاطين فارس وأذربيجان وملوك الدشت والخطا وتركستان ومرازبة بلخشان ومراجيح مازندران وعلى الجملة فالمطيعون من ملوك ايران وتوران كانوا اذا قدموا عليه وتقدموا بالهدايا والتقادم اليه يجلسون على أعتاب العبودية والخدمه نحوا من مد البصر من مرادقاته قائمين بشرائط الأدب والحرمه فاذا أراد منهم واحدا أرسل اليه من الفراشين أو نحوهم قاصدا فيهيب ذلك القاصد وهو يعدو كالبريد وينادي ذلك الواحد باسمه يا فلان من مكان بعيد فينهض في الحال من سجته مجيبا لبيك لبيك دعواه ويعدو نحوه متعثرا في أذياله متلقيا ما رتب به مراسيمه بقبوله واقباله مطرقا رأس التذلل والخضوع مصغيا بأذان الخنوع والخشوع مفتخرا على أضرابه لكونه أهله ودعاه واجتبى به وقيل كان أناس من جماعته يلعبون بالنرد فتمرقوا فرقتين واختلفوا في نقش الكعبتين فقال أحد اللاعبين ورأس الأمير تيمور كذا وكذا كان نقش الكعبتين فرفع يده خصمه ولطمه وسبه ولعنه وشتمه كأنه ذبح يحيى أو زكريا فشر أو كفر بمحمد أو قدم موسى على أبي البشر وقال يا ابن الفاعله والغاسل ابن الغاسله بلغ من انتهاكك الحرم أن تذكر الأمير تيمور بفم رأى لك أن تجعل خدك موطئ مداسه فضلا أن تحلف برأسه انه لأجل من أن يتفوه مثلي ومثلك باسمه أو يتلفظ بشيء من حدوده ورسمه وانه لأعظم من كيخسرو وكيكاوس وكيقباد الذين ملكوا المشارق والمغارب وأنجم من بختنصر وشداد

وقيل انه قصد فى بعض الاوقات الاصطياد وأرسل يمنة ويسرة على العادة طوائف الجيش والأجناد ورسم أن يخرج مشاة تلك الرقاع ورجالة هاتيك القرى والبقاع فيمتدوا فى الوهد والبقاع وحين تلتئم على الوحوش حلقة الكيد ويصح أن يتنازع فى لا رمى وأصمى كلا من عمرو وزيد لا يشير أحد بضربة ولا طعنة ولا رمية الى صيد بيدائم يردون أوابد تلك البيداء الى بهرة ذلك البيد فامتثل كل ما به أمر وحين صار كالبنيان المرصوص صف تلك الأحزاب والزمر وأحاطت صافات تلك العساكر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر ماجت بحار الوحوش فى ذلك البحر ولم تجد لها من دردور تلك السيول الهامرة من مخرج ولا معبر فدارت ومارت وخارت وحارت وثارت وبارت واستجارت بعد ما جأرت واستكانت بعد ما زأرت وانطوت أرضها التى طالما عليها انتشرت وطرزت خلع أعلامها بأعلام واذا الوحوش حشرت فبينما هى على تلك الحال فى أشد ما يكون من الأهوال أمر بأن تضرب الطبول من كل الجهات وينفخ فى صور المزامير والبوقات فدق الكوس وزعق النفير وامتلأت الدنيا من الشهيق والزفير ورجت الارض رجا ومارت الاقطار هرجا ومرجا وحين سمعت السباع صوت الطبول ورأت الوحوش هذا الامر المهول سقطت قواها وتقطعت كلاها وجثت وما انبعثت ثم تقاربت وتلاءمت وتقارنت وتضامت وتصورت أن القيامة قد قامت وأخذ بعضها بعنق بعض ونامت فعانق الثور منها اللبوه وضاجع الاسد فيها الظبيه واختفى السرحان بين الغزلان واستجار الثعلب ببنات الأرنب ولاذ بالأروى النعام والأرنب بالعقاب وعاذ الضب بالنون واليربوع بالغراب فعند ذلك أمر الاطفال من أولاده وأولاد الامراء وأحفاده أن يرموا ويصموا ويفنوا مهما أرادوا ولا يطنوا وجعل ينظر اليهم ويتفرج عليهم ويزهزه لأفعالهم ويقوقه على أحوالهم ويجرؤهم على الاقدام والنضال ويشجعهم بذلك على صيد الابطال وجعلت حواشى الجيش تجزع لى ما أصموا وتجهز على ما أغوا وصار ذلك المفسد يترنم وينشد شعر

صيد الملوك أرانب وثعالب * فاذا ركبت فصيدى الأبطال

(فصــــل) وكان يحمل اليه الجيش من بخشان والفيروزج من نيسابور

وكازرون ومعادن خراسان والياقوت من الهند والماس منها ومن السند واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا والبشم والمسك وغيره من الخطا ومن سائر الأقطار خالص الفضة ومصفى النضار

(فصل) وأنشأ في سمرقند بساتين عديده وقصورا شوامخ مشيده كل له ترتيب غريب ووضع أنيق عجيب أحكم أساسها وطهم بأنفر الفواكه غراسها سمى أحدها بستان ارم والآخر زينة الدنيا والآخر جنة الفردوس والآخر بستان الشمال والآخر الجنة العليا ثم انه هدم مصرا وبنى في كل بستان منها قصرا وصور في بعض هذه القصور مجالسه وأشكال صورته تارة ضاحكة وأخرى عابسه وهيآت مواقعاته وصور محاضراته ومجالس صحبته مع الملوك والأمراء والسادات والعلماء والكبراء ومثول السلاطين بين يديه ووفودها بالخدمات من سائر الاقطار اليه وحلق مصائده وكمائن مكائده ووقايع الهند والدشت والعجم وصورة انتصاره وكيف انكسر عدوه وانهزم وصورة أولاده وأحفاده وأمرائه وأجناده ومجالس عشرته وكاسات خمرته وسقاة كاسه ومطربي ايناسه وتغزلات مقاماته ومقامات تغزلاته وحظايا حضرته وخواتين عصمته الى غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك مدى عمره المتقارب المتدارك كل ذلك كما وقع ووجد ولم ينقص من ذلك شيأ ولم يزد وقصد بذلك الافاده لمن كان عالم الغيب عن أحواله بالشهاده فكان اذا توجه الى مكان وخلت سمرقند من الظلمة وأعوان الشيطان تخلو تلك البساتين ويتوجه اليها أهل المدينه الأغنياء والمساكين فلا يوجد أعجب منتزها منها ولا أحسن ولا أوفق مرتفقا ولا آمن وأما ثمارها الطيبة فانها مسبله بحيث انه لا يباع منها قنطار بخردله وأنشأ في ضواحي سمرقند وأطرافها قصبات سماهن بأسماء كبار البلدان والامهات كمصر ودمشق وبغداد وسلطانيه وشيراز عرائس البلاد وأنشأ بستانا في ضواحي سمرقند على طريق الكش وبنى به قصرا سماه تخت قراجا حكى أن بعض مشيدي عمارته ضاع له فرس واستمرت ترعى في البستان ستة اشهر حتى وجدوها

(فصل) ونساؤه الملكة الكبرى وهي أقدم وأكمل والملكة الصغرى وهي أحسن وأجمل وهما من بنات ملوك الخطا وتومان بنت الامير موسى أمير

تخشب المار ذكره فى أول الكتاب وجلبنان كانت كالبدر عند الكمال وكالشمس قبل الزوال قتلها فى حياته لشئ بلغه عنها وكان غير واقع واغا فعل ذلك معها لانه قيل ان صدقا وان كذبا وأظنها كانت من الخطايا وأما السرارى والخطايا فأكثر من أن يحصين فالملكتان المذكورتان عمتهما شاه ملك خوفا منهما على خليلها وتومان أرسلها خليل سلطان الى شيخ نور الدين بسغناق كامر وبعده جاءت الى سمرقند وسمعت أنها عزمت فى يومنا هذا أعنى سنة أربعين وثمانمائة على الحج والله تعالى أعلم

﴿فصل﴾ أولاده لصلبه المخلفون من بعده أميرانشاه قتله قرا يوسف كما ذكر وشاه رخ وهو المتملك فى يومنا هذا وبنت تدعى سلطان بخت زوج سليمان شاه كانت مترجلة لاتحب الرجال وذلك لما أفسدها النساء البغداديات لما قدمن سمرقند ولها تواريخ سوء أحفاده غالبهم انقرض الا أولاد شاه رخ وأمثلهم أولوغ بك حاكم سمرقند وابراهيم سلطان حاكم شيراز وباى سنقر حاكم كرمان ماتا كلاهما فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وجوكى وهو الذى مشى على اسكندر بن قرا يوسف وشتت شمله بعد موت قرا يلوك وذلك فى شهور سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ثم مات فى أواخرها

﴿فصل﴾ أمراؤه ووزراؤه لايحصون وأشهرهم من ذكر فى هذا الكتاب وما مات الا عن الطبقة الثالثة من الأمراء والوزراء كذا أخبرنى شيخى الشيخ علاء الدين البخارى رحمه الله تعالى (دواوينه) الخواجا محمود بن الشهاب الشهروى ومسعود السمنانى ومحمد الشاغرجى وتاج الدين السلمانى وعلاء الدولة واحمد الطوسى وغيرهم (منشى ديوانه) وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس الدين قاضى زمانه وفاضل اباته فارسيا وعربيا يعرف أخبار الانشاء كيف شاء كان قلمه فى فتح أقاليمه أنفذ من سنان مخدومه ولما مات تيمور احتجب وطوى بساط الأدب فقيل له ضحكت البشرة الا تباشر وصفت العشرة فهلا تعاشر فقال ذهب الذى كان يعرف قيمتى فانا لا أذهب فى خدمة الاحداث حرمتى (امامه) عبد الجبار بن النعمان المعتزلى (صدور مملكته) مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك وابن عمه الخواجا عبد الاول وغيرهم (قارى قصصه وتواريخه) مولانا عبيد (أطباؤه) فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام كان وغيرهما وكان دائما يستعمل معاجين الانجاز

وفى سنة ذلك يجتنى باكورة الابكار (مخموره) لايحضرنى اسماؤهم

﴿فصــل﴾ حصل فى أيام استيلائه بسمرقنـد من الفقهاء مولانا عبد الملك وهو من أولاد صاحب الهـداية كان يلقى الدرس ويعلم الشطرنج والنرد وينظم الشعر فى حالة واحدة ونعمـان الدين الخوارزمى أبو عبـد الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثانى وكان أعمى والخواجا عبد الاوّل ابن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة فى ماوراء النهر بعد ابن عمه ومولانا عصام الدين بن عبد الملك انتهت اليه الرياسة فى يومنا هذا بعد ابن عمه عبـد الاول ومن المحققين مولانا سعد الدين التفتازانى توفى فى محرم الحرام سنة احدى وتسعين وسبعمـائة بسمرقند والسيد الشريف محمد الجرجانى توفى بشيراز ومن المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن الجوزى كان أخذه من الروم وكان قد هرب اليهـا من مصر بعـد توجهه من بلاد الشام قبـل الفتنة توفى بشيراز والخواجا الـكبير المفسر الحافظ المحدث محمد الزاهد البخارى فسر القرآن الـكريم فى مائة مجلد توفى بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم سنة اثنين وعشرين وثمانمائه ومن القراء محمد ومولانا فخر الدين ومن حفاظ القرآن المجودين قراءة وصوتا عبد اللطيف الدامغانى ومولانا أسد الدين الشريف الحافظ الحسينى ومحمود المحرق الخوارزمى وجمال الدين أحمد الخوارزمى وعبد القادر المراغى الاستاذ فى علم الادوار ومن الوعاظ والمتكلمين مولانا أحمـد بن شمس الأئمة السراى كان يقال له ملك الـكلام عربيا وفارسـيا وتركيا وكان أعجوبة الزمان ومولانا أحمـد الترمذى ومولانا منصور القاشانى ومن الـكتاب المجودين السـيد الخطاط ابن نقـد كير وعبـد القادر المذكور وتاج الدين السلمانى وغيرهم ومن المنجمين أناس برعوا لا أعرف من أسمائهم غير مولانا أحمد الطبيب النحاس المستخرج قال لى استخرجت من زايجة الطالع الى مائتى سـنه وكان هذا الـكلام فى سنة ثمان وثمانمائه ومن الصواغـين الحاج على الشيرازى والحاج محمـد الحافظ الشيرازى وغيرهمـا ومن الحـكاكين طائفة جمة وأمثلهم التون وكان آية فى فنه بنقش الفصوص ويحفر اليشم والعقيق بخط أحسن من ياقوت ومن الشطرنجيين محمد بن عقيـل الحلبى وزين اليزدى وغيرهمـا وعلامة ذلك علاء الدين التبريزى الفقيه المحدث كان يعطى لزين اليزدى بيدقا ويغلبه ولابن عقيـل فرسا ويركبه ولقـد دوخ تيمور الاقاليم شرقا وغربا وقرن فى دست مصافاته كل سلطان

وكل شاه مات عنده جدا أو لعبا وكان يقول له أنت فى ملك الشطرنج فريد كما أنى
فى سياسة الملك وحيد وكل منى ومن مولانا على شيخ فى فنه ذو كرامات لم يوجد له نديد
وله فى لعب الشطرنج وعلم مناصيبه شرح وما كان أحد يقول انه ينتج ولا د فكره
فى لعبه معه من غير طرح وكان فقيها شافعيا محدثا أريحيا حسن البهجة
صادق اللهجة حكى لى أنه رأى أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه فى المنام وأنه
ناوله الشطرنج فى كيس فلم يغلبه أحد بعد ذلك من الانام ومن أوصافه فى لعبه أنه
كان لا يتفكر وبمجرد ما يلعب خصمه بعد التفكر والتأمل الطويل ينقل من غير
أن يتدبر وكان يلعب على الغائب مع خصمين ويعلم مع الطرح ان هو فى جهته على
الجهتين وكان يلعب هو والامير بالشطرنج الكبير ورأيت عنده شطرنجا مدورا
وشطرنجا طويلا والشطرنج الكبير فيه من الزوائد ما مر ذكره وهذه صورته

(١) موضع بيدق الرخ (٢) موضع بيدق الفرس (٣) موضع بيدق الذبابه (٤) موضع بيدق الطليعه (٥) موضع بيدق الزرافه (٦) موضع بيدق الشاه (٧) موضع بيدق الفيل (٨) موضع بيدق الجمل (٩) موضع بيدق الوزير (١٠) موضع بيدق الفرزين (١١) موضع بيدق البيدق (١٢) موضع الرخ (١٣) موضع الفرس (١٤) موضع الذبابه (١٥) موضع الطليعه (١٦) موضع الزرافه (١٧) موضع بيدق الشاه (١٨) موضع الزرافه (١٩) موضع الطليعه (٢٠) موضع الذبابه (٢١) موضع الفرس (٢٢) موضع الرخ (٢٣) موضع الفيل (٢٤) موضع الجمل (٢٥) موضع الوزير (٢٦) موضع الشاه (٢٧) موضع الفرزين (٢٨) موضع الجمل (٢٩) موضع الفيل

٢٣		٢٤		٢٥	٢٦	٢٧		٢٨		٢٩
١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
		٣			٢			١		
١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤
٢٥	٢٤	٢٣	٢٢	٢١	٢٠	١٩	١٨	١٧	١٦	١٥
٣٦	٣٥	٣٤	٣٣	٣٢	٣١	٣٠	٢٩	٢٨	٢٧	٢٦

(١) موضع بيدق الفيل (٢) موضع بيدق الكشف (٣) موضع بيدق الثور (٤) موضع بيدق الرخ (٥) موضع بيدق الاسد (٦) موضع بيدق الزرافه (٧) موضع بيدق الطليعه (٨) موضع بيدق الوزير (٩) موضع بيدق الشاه (١٠) موضع بيدق الفرزين (١١) موضع بيدق الذبابة (١٢) موضع بيدق الجمل (١٣) موضع بيدق الفرس (١٤) موضع بيدق البيدق (١٥) موضع الرخ (١٦) موضع الفرس (١٧) موضع الذبابة (١٨) موضع الطليعه (١٩) موضع الزرافه (٢٠) موضع الكشف (٢١) موضع الزرافه (٢٢) موضع الطليعه (٢٣) موضع الذبابة (٢٤) موضع الفرس (٢٥) موضع الرخ (٢٦) موضع الفيل (٢٧) موضع الاسد (٢٨) موضع الجمل (٢٩) موضع الثور (٣٠) موضع الفرزين (٣١) موضع الشاه (٣٢) موضع الفرزين (٣٣) موضع الثور (٣٤) موضع الجمل (٣٥) موضع الاسد (٣٦) موضع الفيل

وطريقته أعلم بالفعل أقوى وليس فى شرحه بالقول كثير جدوى ومن المطربين عبد القادر المراغي المذكور وولده فى الدين وختنه نصر بن وقطب الموصلي واردشير الجنكي وغيرهم ومن النقاشين كثير وأعلاهم عبد الحي البغدادي وكان ماهرا فى فنه ومن التجبرية شهاب الدين أحمد الزردكاشي ومن نقاشي الزجاج والنحاس وغيرهم مالا يحصى وهؤلاء كل منهم كان علامة دهره وأعجوبة عصره ولو رصعت حلى الالفاظ بجواهر أوصاف هؤلاء الأعيان للأت الأكوان من فرائد الجمان وقلائد العقيان وهؤلاء من حضرنى ذكره من أعرفه وأما من لا أعرفه أو أعرفه ولا يحضرنى ذكره فأكثر من أن يحصى وأغزر من أن يستقصى وحاصل الامر أن تيمور كان جبى كل حى وجبى الى سمرقند ثمرات كل شئ فكان بها من أهل كل فن عجيب وأسلوب من الصنايع غريب من هو على جبين الفضل شامه وبرز على أقرانه فصار فى فنه علامه

﴿فصل﴾ وكان فى سمرقند انسان يسمى بالشيخ العريان فقير أدمي بشكل جنى وعزم سمى قبل ان عمره على ما هو فيهم شائع وبين أكابرهم وأصاغرهم ذائع ثلاثمائة وخمسين سنة مع أن قامته مستوية وهيئته حسنه كان المشايخ المرمون والاكابر المعمرون يقولون لقد كنا ونحن أطفال نرى هذا الرجل على هذا الحال وكذلك نروى عن آبائنا الاكرمين ومشايخنا الاقدمين ناقلين ذلك كذلك عن آبائهم والمعمرين من كبرائهم وكان أطلس وله قوة ناهضة وحدة من رآه يتصور أنه لم يبلغ أشده لم يكن للكبر بوجهه تجعيد ولا أثر وكان الامراء والكبراء والاعيان والصلحاء والفضلاء والرؤساء يترددون الى زاويته ويتبركون بطلعته ويلتمسون بركة دعوته وفى سمرقند مسجد يسمى مسجد الرباط يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط والروح والنشاط وقيل ان أحد فعلته كان وليا يسمى الشيخ زكريا هو معتقد تلك البلاد ومزاره فى مكان مشهور على طود من الاطواد وقبره يستجاب عنده الدعا وهو عن سمرقند نحو يوم فى المدى وهو بالكرامات موصوف وفى كرخ هذه المقامات معروف وهو فى ربوة ذات قرار فيها جنات تجرى من تحتها الانهار محفوف باليمن والانس كأنه اقتطع من حظيرة القدس يحكى انه لما كان فاعلا فى ذلك البنيان وقطع فى جبهته نقطة من الطين

فرأى ذلك أحد المباشرين واستمر ذلك الطين على هذه الحال نحوا من ثلاث ليال فلما أرادوا وضع المحراب وقع الاختلاف في الخطا والصواب وكثر في ذلك الصخب والاضطراب فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب على هذه الفقره ولا تعدلوا عنها يمنة ولا يسره فقال ذلك المباشر لمن في ذلك المكان حاضر يا للعجيبه والقضيه والغريبه رجل لم يغتسل وجهه ثلاثة أيام يرشد الناس الى معالم الاسلام فقال ذلك العابد الزاهد أو رجل هو من لم ينم ثلاثة أيام بوضوء واحد ولكن تعال أيها الجاحد قف مكانك وثبت جنانك ولا تكن ممن أنكر وتولى وانظر الى عروس الكعبه كيف تجلى فنظر ذلك الذى انكر فاذا الكعبة أمامه تتبختر ثم التفتوا الى الشيخ ففقدوه وطلبوه أرضا وسماء فلم يجدوه وهذا المسجد فيه شئ عجب عدة أسطوانات من خشب من جملتها سارية شمخت ارتفاعا نحوا من خمسة عشر ذراعا وغلظ جسمها وبدنها فلا يقدر الرجل على ان يحتضنها وباقى السوارى بها قد حطن قيل انها شجرة قطن ولها خاصية عجيبه طريفة غريبه من كان به وجع الضرس يضع عليه مقدار حبة من خشب ذلك الغرس فانه ينفعه ويسكن فى الحال وجعه جربته فصح ويسأل من يدعى رؤية سمرقند عما رأى فيها من العجائب وشاهده من علامات الظرف والغرائب فان أخبر برؤية هذه السارية الفائقه كانت رؤياه صادقه واعتدله بصدق الكلام والا كانت رؤيته أضغاث أحلام

❊فصل❊ سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان ولا يجرى على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان ورطل سمرقند أربعون أوقيه كل أوقية بالمثاقيل مائة فيكون رطلهم أربعة آلاف مثقال كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة أرطال حكى لى مولانا محمود الحافظ المحرق الخوارزمى ولقب بالمحرق لان سهام ترجيعاته كانت تصيب حبات حشاشات اذ ترمى وتفوق رنات أوتارها نحو آذان القلوب فتصمى طائرها ولا تخفى فان صدعت من القلوب حجرا تطاير من اقتداحها فى الارواح شرار فيحرق برناته الارواح ويشغل بنغماته الاشباح قال استصحبنى تيمور فى بعض أسفاره فكنت ملازم خدمته فى ليله ونهاره فنزلت عساكره على حصن لحصاره وضرب خيمته على مكان عال ليشرف منه على القتال ويتفرج فى

صنع الرجال ففي بعض الزمان حضرت عنده أنا ورجلان وكان قد حصل له حمى أورثته كربا وغما وكانت سماء النزال ذات حبك واحتباك ورماح القتال في التواء واشتباك فأراد أن يطالع أحوالهم ويشاهد أفعالهم وأفرطت شهوته الى الغيمه فقال احملوني الى باب الخيمه فدخل ذلك الرجلان تحت أبطيه وأوقفاه بباب الخيمة وأنا بين يديه فجعل يشاهد حربهم ويتميز طعنهم وضربهم ثم أراد أن يأمرهم بشيء فقال لي يا محمود الي فأسرعت اليه ودخلت تحت عضده فأرسل أحد الرجلين الى عسكره يأمرهم بما دنا من عجره وبجره فكأنه لم يبرح قليلا ولم يروشيلا الاثقال الذادهاني وعلى الارض ضعاني فوضعناه فسقط كأنه رمة باليه أو لحمة لي باريه ثم أرسل ذلك الرجل الآخر اليهم وأمرهم بما اقتضته آراؤه وأكد عليهم فبقيت أنا رهو وحدنا لم يبق أحد عندنا فقال لي يا مولانا محمود انظر الى ضعف بنيتي وقلة حيلتي لا يد لي تقبض ولا رجل تركض ولو رماني الناس هلكت ولو تركوني وحالي ارتبكت لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا أجلب خيرا ولا أدفع شرا ثم تأمل كيف سخر الله تعالى لي العباد ويسر لي فتح مغلقات البلاد وملأ رعبي الخافقين وأطار هيبتي في المغربين والمشرقين وأذل لي الملوك والجبابره وأهان بين يدي الاكاسرة والقياصره وهل هذه الافعال الا فعاله وهذه الاعمال الا أعماله ومن هو أنا غير سطيح ذي فاقه لا باب لي في الدخول الى هذه الافعال ولا طاقه ثم بكى وأبكاني حتى ملأت بالدموع أرداني فانظر الى هذا الوزير كيف ملك بهذا القول مسلك القائلين بالجبر وأنشدوا فيه بالفارسي بيتين وهما شعر

نيم تنى ملك جهانرا كرفت * چشم كشا قدرت يزدان ببين
پاى نه وتخت بزير قدم * دست نه وملك بزير نكين

(ترجمته فقلت دوبيت)

قد أظهر قدرة بخافي حكمه * من ملك سقا الدنيا جافي قدمه
لا كف له والملك في خاتمه * لا رجل له والتخت موطي قدمه

(فصل) وأما عساكره وطرائق سلوكهم فانهم على دين ملوكهم كانوا استدرجوا من حيث لا يعلمون ورزقوا من حيث لا يحتسبون مسخر الهم خفيات الدفين

مفتوحا عليهم خبيات الخزائن ميسرا لهم مكامن المطالب والمعادن كل طرف منهم قد جال وسطا وسار بطرق اللوم أهدى من القطا قد دبروا الامور وجربوا أحوال الدهور وقاسوا معاصر العصور وكابدوا المكائد وعالجوا الشدائد ومارسوا الاشيا وذاقوا الناس والدنيا وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه وأدركوا مداركه ومعارجه لا يدهيهم داهيه ولا يطغيهم طاغيه رعاع يعزون بقفراه ويجيزون بهمه صحراه شعر

لا يفزع الارنب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر

فيقف بعضهم ثم تراه ينظر الى أرض ذلك المكان وثراه ثم يقول ليس هذا الثرى من هذا الثرى ثم ينزل عن دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمه ثم يلتفت الى جهاته الاربع فيقصد منها جانبا ويؤمه ثم لا يزال يسير بمن معه من الأعوان حتى يصلوا الى مكان فيحفرون ويخرجون كمن الدفين ومافي ذلك المكان من الغلات والخزائن وكذلك اذا وصلوا الى عمائر أو مروا على مقابر يتوجهون الى الخبيه كأنهم وضعوه بأيديهم وأوحت شياطينهم ذلك اليهم وربما يجيئون الى مقام مر على ساكنيه أيام ومضى عليه فيه شهور وأعوام وفيه شيء مطمور لم يكن لصاحبه وساكنه به شعور فبمجرد دخولهم اليه يقع ذلك عليهم ويطلعون عليه وحين يطلع ساكنه على ذلك يأكل ندامة وحسرة يديه وكان لهم درايات في دهرهم عجيبه وسهام آراء في عمرهم مصيبه وكانوا يحملون البقر ويركبونها ويسرجون الحمر ويلجمونها ويسابقون على ذلك أصحاب الخيل العراب الى قصبات المغانم فيسبقونها ويطعمون الجمل لحم الكلب والجمل ويعتاضون عن شعير الفرس بالقمح والأرز والدخن والزبيب والعدس وربما أعوزهم ذلك في السفر فأطعموا دوابهم لحاء الشجر حكى القاضي برهان الدين ابراهيم بن القوشة الحنفي المذكور رحمه الله تعالى ان قازان والتتار لما قدموا هذه الديار خرج من له قوة الفرار فارا من الشرور كما فعلوا في قضية تيمور ومن جملتهم تاجر بالصالحيه كان في عيشة رخيه وله أموال وافرة وفيه جمع ماله من صامت المال ووضعه في قدرة قوال ثم عمد الى بركة ماء فحفرها ووضع تلك القدرة تحتها وطمرها ثم ردها الى مبانيها وأعاد مياهها الى مجاريها وحين استتب الوثوب وقدمت الدواب للركوب قالت له

امرأته قد نسيتنا قرطين وأخاف أن يحدث عليهما في الطريق شين فانظر لهما مكانا وحصل لنا بذلك أمانا فقال أما الآن فلا مكان ثم أخذهما ووضعهما في سقف سقيفة على خشبة لطيفة ثم ركبا وتركا الديار وذهبا فلما حل بدمشق التتار نزل منهم فرقة في تلك الدار فجعلوا يأكلون ويشربون وهم في خوضهم يلعبون فبيناهم بعض الأيام في النشاط قرض الفار أحد تلك الاقراط فتدحرجت لؤلؤة وسقطت على البلاط فتبادرت الجماعة اليها جاريه كأنهم يتسابقون الى قرطي ماريه فسبقت الجماعة ودخلت البلاعة فكشفوا عن وجه الارض سطر خدرها فوجدوا الاموال كما هي في قدرها فأخذوها واللؤلؤة وأخرجوها وقصدوا باقي القرطين واقتسموها وجماعة تيمور أيضا كذا كانت وكل معضلة من القضايا اذا وصلت اليهم هانت وكل منهم كان على دين ملكه وفي فنه الى غايته عرج فان كنت محدثا عن أحوالهم وأخبارهم فحدث عن البحر ولا حرج

﴿فصل﴾ يحكى أن واحدا منهم من أهل الذكاء والكيد أراد في فصل الشتاء التنزه فقصد الصيد فأخرج مركوبه وهو بقره فشد عليها سرجه وهو خشبة مكسرة غرزة قضيب مدور وحزامه حبل مبتر وتجمل بلباسه وهو جلد فروة منهوش وبتاجه وهو طرطور من لبد منفوش وشد كنانته وهي جلود ممزقه مشدودة بحبل وعليها خروق ملزقه سهامها أقدا التوت وحنيتها أقدا استوت ومعه بازي قد نتف القرناص ريشه وقلع من حقل بدنه زرع خوافيه وحشيشه ثم ركب جواده وحمل بازيه وقصد اصطياده فرأى جماعة من البط على ساحل غدير حط فرفع يده بالبازي ساعه حتى عاين تلك الجماعه ثم وضع يده بخفض وأرسل البازي على الأرض فصار يحجل رويدا وقد أضمر للبط كيدا اذ لم يكن له قوة الطيران ولا جناح عليه به يستعان فوصل الى الطير بسكون وهي آمن ما يكون لانها لا تتوقع البلاء الا من جهة السماء فدخل بينها فما نفرت منه ولا هربت عنه فلم تشعر الا وقد وثب على واحدة ولاذها فأدركه صاحبه وأخذها ولما رحلوا عن دمشق وقد مشقوا أوراق نعمها من أغصان وجودها اى مشق وكان مع بعضهم بقرة نهبها وحملها ما أخذه من الاموال التي سلبها وأركبها أسيره وسار بها مدة يسيره فبعد سيرها يومين أو ثلاثة قلقت ونادت بلسان حالها انها ما لهذا خلقت فلما لم تجد

ملجأ ما شكت توكلت على الله وبركت فأنزلوا الراكبة منها وصاحوا عليها فلم تقم فحلوا أحمالها وضربوها فلم تتحرك فأوجعوها ضربا وأشبعوها العناء وسبا وتلك المباركة باركة فأدموها وهم يضربونها الى أن كادوا يهلكونها فمن شاحط بعقدها ومن جاذب بمؤخرها ومن متعلق بقرنها ومن متشبث باذنها وهي جاثمة مشبهة قبل أبرهه فعجزوا عنها وأيسوا منها فبينما هم على ذلك وقد ضاقت عليهم المسالك واذا هم بشيخ كوسج كأنه شجرة عوسج قد سلك المشارق والمغارب ومرت به أنواع التجارب وقاسى برد الامور وحرها وذاق حلوها ومرها وعرف خيرها وشرها مربهم وهم في كربهم فلما رآهم أسارى عاجزين حيارى سكارى وما هم بسكارى قال تنحوا عنها أي جنه ثم دنا منها دنو الراقي من ذي جنه وأخذ كفا من تراب أنعم من عيش الشباب ثم قبض على قرنها وصبه في أذنها ثم هز راسها في مناخها حتى وصل التراب الى صماخها فوثبت قائمه وهي من ذلك الرغام راغمه وجعلت تنفض رأسها وزادت اضطرابها وشماسها وطلبت المسير وكادت تطير فأعادوا عليها أحمالها وزادوا أثقالها فصارت تلك البليها تعدو ولا يقدر عليها

﴿فصل﴾ وكان في عسكره من الترك عبدة الاصنام وعباد النار من المجوس الاعجام وكهنة وسحره وظلمة وكفره فالمشركون يحملون اصنامهم والكهان يتبعون كلامهم ويأكلون الميتة والدم المسفوح ولا يفرقون بين مخنوق ومذبوح وناس حزاون وزواجر خراصون ينظرون في ألواح الضان ويحكمون عايرون فيها على أحوال كل مكان وما حدث في كل بقعه من الاقاليم السبعه من الامان والخوف والعدل والحيف والرخص والغلاء والسقم والشفاء وسائر ما يكون فلا يكادون يخطئون ولهم أيام وشهور وأعوام كل عام منسوب الى حيوان يحسبون بها ما مضى من السنين فلا يتأتى فيها زيادة ولا نقصان وفي الخطا لهم خط يسمى دلبرجين رأيت حروفه احدا وأربعين وسبب زيادته أنهم يعدون التفاخيم والامالات حروفا وكذلك البين بينات فتتولد الزوائد وكل حرف زائد وأما الجغتاى فلهم قلم يسمى أويغور وهو بالقلم المغولي مشهور وعدته أربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد أن حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذا الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء

والفاء

والفاء ومثل الزاء والسين والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم وتواريخهم وأشعارهم وقصصهم وأخبارهم وسجلاتهم وأسفارهم وجميع ما يتعلق بالامور الدنيويه والتورة الجنكيزخانيه والماهر فى هذا الخط لا يبور بينهم لانه مفتاح الرزق عندهم

﴿فصل﴾ وكما كان فيهم من جبل على الفظاظه والقسوة والغلاظه ومن هو قليل الرحمة بل وعديم الاسلام كفرة فجرة أوغاد انذال طغام أغتام قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا واستكبروا به فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا استجرهم كفرهم وحبهم اياه الى أنه لو ادعى النبوة أو الالهية لصدقوه فى دعواه كل منهم يتقرب الى الله تعالى ببره ينذر له اذا وقع فى شدة ويفى بنذره واستمر على اعتقاده الباطل وكفره مدة حياته وبعد موته ينقل النذور ويقرب القربان الى قبره وكان ترقى معه فى المصاحبه حتى وصل الى مقام المراقبه قيل انه كان فى السفر فرأى واحدا من العسكر كان السكرى عطف رقبته أو الاسرى أمال شقته أو على حال لا يتوجه عليه فيها لوم ولا عتب فضلا عن ان يترتب عليه ضرب أو سب فقال تيمور ترى ما ثم أحد قاطع يقطع رأس هذا الفاعل الصانع ولم يزد على هذا الكلام فسمعه واحد من أولئك الكفرة اللئام اسمه دولة تيمور وهو أمير كبير مشهور قد البسه الله ثوب النقمه ولم يشمه شيأ من روايح الرحمه ففى الحال سل رأسه من بين كتفيه وحمله الى تيمور ووضعه بين يديه فقال تيمور ويلك ما هذا الامر الافظع فقال هذا الرأس الذى اشرت أن يقطع فاعجبته هذه العبارة وابتهج بان أمره يمتثل بأدنى اشاره وكان فيهم الظرفاء والادباء والاذكياء والشعراء ومنهم فى الفضل أعلام وعلماء وفيهم المحقق والباحث فى العلوم والمدقق ومن شارك فى كل العلوم وبحث فيها بحثا شافيا من طريقى المنطوق والمفهوم ويقرر مذهب الصوفية واحياء العلوم ومع هذا فبعضهم يمضى على مقتضى ما علمه وكان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمه وبعضهم كان مع رقة الحاشيه واللطافة الفاشيه والعلم الوافى والظرف الشافى والجمال الفائق والكمال الشائق والكلام الرائق قلبه أقسى من الحجر وفعله أنكى من ضرب الصارم الذكر

يقولون من قول خير البريه ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه واذا وقع مسلم فى مخاليبهم أو ابتلى غريب بتعذيبهم صنف ذلك العالم المحقق والحبر المدقق فى استخراج المال أنواع العذاب وأصناف العقاب واستحضر فى فنون تعذيبه كتبا ومسائل وسرد فى علوم تعذيبه خطبا ورسائل فيصير ذلك المسكين يشكوى ويستغيث ويتلوى ويستجير بالله وآياته ويستشفع بكل ما فى أرضه وسمواته من ملك ونبى وصديق وولى وذلك الملخ يضحك ويتظارف ويتمايل ويتلاطف وينشد لطائف الاشعار ويتمثل بطرائف النوادر والاخبار وربما تحرق وبكى وتأوه لما يفعل بذلك من التعذيب والتنكى وصار كبعض قضاة الاسلام المستولى على مال الايتام يخطب ويبكى وفعله فى قلوب المسلمين ينكى ولما كانوا فى دمشق دخلوا الى بيت واحد من الاعيان برقاق العجم واذا هو علوه من النفائس والخيرات والنعم شعر

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الأيام

نقضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه وبانواع العذاب والعقاب عذبوه ثم أحكموا رجليه شدا وعلقوه واستخرجوا النفائس واستجلوا من حسانها العرائس وأحضروا الذيذات المطاعم والمشارب وقضوا من التفكه والتنعم مالهم من مآرب وجعلوا يأكلون ويشربون ويلهون ويطربون واذا تحرك فى واحد منهم الخبث أو غل وأخذه فى سكره العبث عمد الى ذلك المسكين وهو فى شدة النكاد فسقاه الماء والملح وسففه الكلس والرماد وكان فيهم عالم متقشف عن تناول المسكرات متعفف كما قيل

عجبت من شيخى ومن زهده * وذكره النار وأهوالها
يكره أن يشرب فى فضة * ويسرق الفضة ان نالها

وكانوا اذا رأوا القدح المزعفر أحضروا له السكر المكرر ووضعوه له فى صينى الحوافق وصبوا عليه الماء الرائق فيسكرون هم بالاقداح القوادح ويسكر ذلك الفاسق المحروم من الروائح ثم يتوجه الى صاحب المنزل ويضحك عليه وهو فى أشد ما يكون من العذاب ويسخر منه ويهزل ثم يتمايل على صوت المثانى والمثالث ويتناول من تلك المآكل والمشارب ويقول بشر مال البخيل بحارث أو وارث وكان

فى عسكره كثير من النساء يلجن معامع الهيجاء ووقائع البأساء ويقابلن الرجال ويقاتلن أشد القتال ويصنعن أبلغ ما يصنع الفحول من الرجال فى النزال من طعن بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال وإذا كانت احداهن حاملا وأخذها وهم سائرون الطلق تنحت عن الطريق واعتزلت الخلق ونزلت عن دابتها ووضعت حملها ولفته وركبت دابتها وأخذته ولحقت أهلها وكان فى عسكره ناس ولدوا فى السفر وبلغوا وتزوجوا وجاءهم أولاد ولم يسكنوا الحضر وكان فى عسكره ناس صلحاء عباد ورعون زهاد أجواد أمجاد لهم فى الخيرات أوراد وفى وردها أصدار وإيراد دأبهم خلاص مأسور أو جبر مكسور أو اطفاء حريق أو انقاذ غريق أو اصطناع معروف أو اغاثة ملهوف مهما أمكنهم ووصلت اليه يدهم اما بقوة وأيد واما بنوع خديعة وكيد واما باستيهاب واستشفاع أو تعويض وابتياع وكانوا سائرين معه بالاضطرار وداثرين معه لهذه المعانى بالاختيار حكى لى مولانا جمال الدين أحمد الخوارزمى أحد القراء المشهورين المجودين وكان امام محمد سلطان فى حياته وامام مدرسته بعد وفاته ثم خطيب بروسه وبها أدركته المنيه سنة احدى وثلاثين وثمانمائه رحمه الله تعالى قال كنت فى سمرقند فى مدرسة محمد سلطان علم عاليكه وأولاد الامراء القرآن فأرسل اليه جده الظلوم وهو متوجه الى بلاد الروم ان يتوجه اليه ويفده والامير سيف الدين عليه فامتثل ما به أمر وأخذ فى اعداد أهبة السفر وقال لى هيى مرافقتك واقطع علائقك وخذ أهبة سفرك واعمل مصلحة رحلك ونفرك ووافقنا فى المرافقه فان من حسن المرافقة الموافقه فاستعفيته من الذهاب وفتحت له فى سد خوخة السفر كل باب فقلت له يا مولاى أنا رجل من أهل القرآن والفاقه مالى بفتح باب السفر من طاقه لانى ضعيف البنيان رخو الاركان لا جلد لى على الحركة وان كان فى صحبة مولانا الامير كل خير وبركه خصوصا فى هذا السفر البعيد الشقه الكثير المشقه ومع كونى ليس لى على ذلك من طاقه لا جمل لى فى مناخ السفر ولا ناقه وأما أنتم فالسفر عليكم حتم لازم وحق ملازم لا يسعكم فيه التخلف ولا يفسح لكم فيه المطل والتسوف فلم يعفنى وتعلل لى بعلل علانى فيها ولم يشفنى فلم أر بدا من الاستعداد وتحصيل الرفيق والزاد ثم سرنا حتى وافينا جده وقد ركب فى الجادة جده وجده

ورأينا من تلك العساكر بحار الأول لها ولا آخر ان انفرط أحد من سلك جماعته وضل معتزلا عن سنن سنته لا يصل اليهم بالسرج والشمع ويهتدى الى سنة جماعته الا ان كان يوم الجمع فبينما أنا معهم أسير وقد وهن منى العظم الكسير وأثرنى التعب وأخذنى النصب والوصب وملت السرى وعدمت الكرى نفضت يدى من الرفيق وأخذت على فجوة من الطريق فلما أن خلوت هيمت بالقرآن العظيم وتلوت ثم استهوانى الذوق والشوق فخلقت براشيق ساقى الى فوق وكان صوته أطيب من رقيق المقطوع على رخيم الموصول وألذ من جم شمول على كاس شمول بنسيم الشمال معلول وبرضاب الحبيب مشمول قال واذا برجلين ضعيفين كالعود البالى نحيفين اشعثين اصفرين ذوى طمرين اغبرين بصرانى عن جنب وعلقانى علوق الوتد بالطنب فجعلا يراقبان أحوالى ويستمعان أقوالى فلما زمزمت زمزمتى وكففت هيمتى وكتمت فى خزانة صدرى جواهر كلماتى وختمت بطابع دهائى زواهر آياتى بكيا لمناجاتى وأمنا على دعواتى ثم أقبلا نحوى وسلما واهتزا لما سمعاه من تلاوتى وترنما وقالا أحيى الله قلبك كما أحييت قلوبنا ومحوت بما سطرت فى ألواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا ثم انهما أنسانى بالخطاب وجاريانى بالسؤال والجواب واذا هما من صميم الجغتاى وخالص عسكر تيمور ومن ضيفى التتار وسنخ الفتن والشرور ثم سألانى عن نجارى ووجارى ومن رفيقى فى هذا السفر وجارى فأخبرتهما عن مولدى ومحتدى ومسقط رأسى من بلدى وانى من أهل القرآن وأنى مع محمد سلطان فقالا لى يا سيدنا الشيخ اغا جئنا اليك لتحسن الينا وانا سائلوك عن شئ فلا تحد فيه علينا فقلت قولا وطولا فلن تجدانى ملولا فقالا يا مولانا هذا شئ يعنينا وان كان قد عنانا وكل من اشتغل بما لا يعنيه فقد ترك ما يعنيه ووقع فيما يعنيه شعر

ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه

فبالله يا سيدنا قل من أين تأكل فقلت على خوان محمد سلطان فقال مأكول هذا العسكر حلال أم حرام ووبال فقلت الغالب عليه الحرام بل كله والله مظالم وآثام لانه من الثارات والنهب والغارات والغصب والاختلاسات والسلب فقالا والله يا امام لقد أسأنا الادب اذ واجهناك بهذا الكلام ولكن أنتم أهل

العلم شيمتكم العفو عن الجاني والحلم وأنتم أولى بجبر الكسير وفك الاسير وتيسير الأمر العسير فقابل مناهذا النقص بالصفح ولا تعامل هذا الالحاق بالقدح فقلت سلا ولا تسلا فقال نسألك بالله الذى اصطفاك لحزن كلامه الذى تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم حلاله وحرامه لاتؤاخذنا بما اجترمنا عليك به فان الشيخ المرشد كالوالد الشفوق لا يؤاخذ ولده بقلة أدبه فقلت كلا سلا ماشتما وسلا مهما أردتما فقال ياسيدنا أما كان لك مندوحة عن مرافقة هؤلاء اللئام والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام فقلت انى دخلت فيهم وأنا مضطر وخرجت منهم وأنا كاره مجبر وأكرهني محمد سلطان وحابانى بما حبانى من الاحسان فصحبتهم وعينى ذاتى من كل الراحة مرها وحملتنى فرسى فى سفرى كرها ووضعتنى كرها فقال أرأيتك لو امتنعت عن الخروج أكانوا يريقون دمك ويأمرون أولادك ويسبون حرمك فقلت لا والله وحاشا لله فقالا أكانوا يحبسونك ويضربونك وفى مقام المصادرة يجلسونك فقلت أنا أمنع جنابا من أن يسوموني خسفا وعذابا لانى حافظ القرآن والقرآن حافظى من هذا الخسران قالا فغاية فعلهم معك اذا رأوا تعززك وتمنعك أنهم كانوا يشقونك ويعمدون الى معلومك فيقطعونك ويسخطون عليك ويمنعون برهم الواصل اليك قلت ولا كانوا أيضا فعلون كذا وتعززي وتمنعي ما يحط من مكانتى عندهم الى هذا الاذى ولكنهم حابوني فاستحييت وخادعوني فانخدعت ولينتى أبيت فقالا لا يصلح هذا لك عذرا وجه ولا يسلك بك الى صحة الاعتذار بين يدى الله تعالى سواء المحجة فهلا جلست فى مكانك واشتغلت بتلاوة قرآنك ومطالعة علمك ومباحثة اخوانك وفرغت بدنك عن الكلال وملأت بطنك من الحلال واحتميت فى حمى دينك عن هؤلاء اللئام واسترحت من الاضطرار الى تناول الحرام مع أنا سمعنا من أمثالكم ماقد ضرب فى أمثالكم أهل القرآن وقاصته أهل الله وخاصته وأنهم عتقاؤه بين خلقه وبيركاتهم أدر سحاب رزقه وان السلاطين ملوك الناس أجمعين وانكم انتم ملوك الملوك والسلاطين واذا أعتقكم الله وأعفاكم الناس وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب والكبد والراس ولم يبق لاحد عليكم سلطة ثم القيتم أنتم أنفسكم بايديكم الى هذه الورطة وتهافتم على التهالك تهافت الفراش على النار

وتشبثتم مع كونكم قادرين على الخلاص باذيال الفقر والاضطرار فكيف ينفع
هذا الاعتذار وأنى ينجيكم هذا العذر من عذاب الملك الجبار وهل صرتم الا كما قيل

معاشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

فقلت أما اذا حررتما القضيه فكلنا في هذه المصيبة سويه مصراع

(بي مثل ما بك يا حمامة فاندبي)

وقيل بي مثل ما بك يا حمام البان * أنا بالقدود وأنت بالاغصان

فبكيا انتحابا وتأوها التهابا وتنفسا تنفس الصعدا وقالا أين ما بين قصتنا وقصتك
في المدى فورب الخافقين ان بين القصتين لبعد المشرقين ولكن ما للمقال مجال
وما كل ما يعلم يقال وأين السر من الاعلان وأن الحيطان لها آذان فقلت هذا
ليس بحجه فلا تعدلا عن سواء المحجه فقالا نحن المضطرون جبرا المأخوذون
قهرا وقسرا وانا مكتوبون في الديوان مضافون الى واحد من أعيان الاعوان
اذا ورد علينا مرسوم بالبروز في يوم عيد مثلا أو نوروز ويكون الخروج وقت
الظهر وتأخر منا واحد الى وقت العصر لم يكن له جزاء فيما ارتكبه الا الصلب
أو ضرب الرقبه فضلا عن ضرب وشتم وشناعه أو رفع عدل أو تقديم شفاعه وأين
أنت عن قعودنا أو تخلف أو استتار بذيل توار أو توقف فنحن مدى الدهر لمثل هذا
مستوفزون وعن مثل ما جرى على أضرابنا من هذا البلاء محترزون مصيخون
أبدا لما أشار وما أمر عاملون بمقتضى رحم الله من رأى العبرة في غيره فاعتبر
ويا ليتنا أمكننا التحويل عن مملكته والرحيل عن أقاليم ولايته وسلطنته وكيف
لنا بذلك وهي مسقط رأسنا ومحل أناسنا ومحط أنفاسنا وايلاف رحلتنا
ومدرجات معيشتنا ومدرج آبائنا ومخرج أبنائنا ومقام قبائلنا وعشائرنا ومثابة
قاطنينا وغابرنا ولو غاب من هوام قبائلنا أحد فضلا عن بلبل أو هدهد لحق
الباقين سيل الظلم والحيف ولتحكم في رقاب سائرنا صارم الموت بالسيف وأما اذا
برزنا وعزمنا على المسير معه وتجهزنا فنسأل كم سنة نغيب وأي جهة يريد ذلك
المريد المريب فنأخذ أهبتنا لذلك المقدار وكل منا ابن عم الآخر وجار وله جراب
فيه سويقه ومعه كلفة نفسه وفرسه وعليقه يصوم مدى الدهر ويفطر على ما يسد

الرمق ويلبس ما يستر العورة من رث الثياب والخلق كل ذلك من زرع أيدينا وكدنا وما بذلناه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا لا نتعرض لمال احد ولا لعرضه ولا نقف فى طريق ابرامه ولا نقضه ولا لاحد عندنا نشب ولا بيننا وبين أحد علاقة ولا سبب ولكن يامولانا البلاء الطام والمصاب العام رقصا رؤسهما اجبينا وشمالا وارتعدت فرائصهما هيبة وجلالا وابيضت شفاههما واسودت جباههما وأخذا فى البكاء والعويل وانتحبا الانتحاب العريض الطويل فوالله لقد ذابت نفسى لديهما واستصغرت كبار المشايخ بالنسبة اليهما وتفكرت فيما دهاهما من شدة الامر وعلمت أنهما القابضان بكفيهما على الجمر ثم تأوهت آها بعد آه وقلت بالله يا اخوانه وما هذا البلاء الطام والمصاب العام الذى ذكرتماه قالا خيولنا ومواشينا وحوامل مهادنا وغواشينا نرفق بها فى التحميل وما نركبها الا وقت الاعياء فى الرحيل وأمر قضيتها قصم ظهورنا وأعجز أمورنا واضطرنا الى الخوض فى دماء المسلمين وأموالهم والجأنا الى رعى زرعهم وتحمل وبالهم وما ندرى كيف الخلاص وأنى نجوا من ذا المقنص فبالله ياسيدنا الشيخ هل تجد لنا فى هذا الامر الغالى رخصه أو هل من قطرة برد وتطفى هذه الحرارة وتسكن شوق هذه الغصه فقلت لا والله الا عناية الله وايم الله لقد أشبعتمانى شرا وجرعتمانى صبرا ومقرا وأوسعتمانى نكدا وضررا وكان همو مابى من نصبى وعذابى يكفينى الى يوم نكفينى فقد زدتمانى بلاء على بلاء وعناء على عنائى فبالله من أنتما وما اسماؤكما وفى أى قطر أرضكما وسماؤكما ومع من أنتما فحييتما ما حييتما تخبرانى ولا تحيرانى لا بى فى كل وقت البكا وأفوز بالسلام عليكما فقالا يامولانا الحمد لله الذى برؤيتك حيانا أن معرفتنا لا تجديك شيأ ولا تبرك وعدم المعرفة بنا لا يؤذيك ولا يضرك والغالب على ظننا يامولانا أنك بعد اليوم لن ترانا وان قدر اجتماع فنحن نمشى على رؤسنا اليك وخليفتنا الله والسلام عليك ثم ودعانى وفارقنا وأودعانى أليم الفراق وانصرفا هذا من البحر قطره ومن الطود ذره ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يصون عن الزلل أقوالنا وعن الخطل والخلل أفعالنا وأحوالنا وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿خاتمة الكتاب﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى أدب عبده أحمد فأحسن تأديبه وخصه اذ براه بتهياوانشاء غريبا بكل يتيمة وغريبه وأظهر له فى بيان بديع آله فى منهج كل فن وأسلوبه فأعجب أهل زمانه اذ أعجزهم عما أتاهم به من كل أعجوبه أحمده حمدا تفتقت فى رياض آلائه أنوار فصاحته وأشكره شكرا تعبقت فى رياض نعمائه أزهار بلاغته و أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة طابق خبرها الواقع والاعتقاد وأسندت الى حقيقة الصدق فصارت حقيقة الاسناد فتمنطق الايمان بأقوالها وتعلق الاسلام بأفعالها وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أنشأ اخبار بعثته على التوحيد وقصر فصل رسالته على وصل الاخلاص بالتعبيد صلى الله عليه صلاة باقية ببقاء اعجازه موصولة بطنب الاطناب وصل فصيح الكلام بايجازه وعلى آله وأصحابه شموس سماء الفصاحه وبدور أفلاك البلاغه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فيقول العبد المفتقر الى مولاه المعترف بتقصيره وخطاياه المغترف من بحار كرمه وعطاياه الراجى فى حدق المغفرة غرة العفو عما جناه أحمد بن محمد بن عبد الله الحنفى مذهبا العجمى لقبا الانصارى نسبا الدمشقى مولدا السنى معتقدا عامله الله بما كان أهله وحفظ عليه دينه وعقله لما كانت الدنيا دار انقلاب ومحل تغير واضطراب قدمت على الاخرى للاكتساب اما الجزيل الثواب واما الوبيل العقاب وكان سيرها سريع الاحتثاث واذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث أردت ان يخلد لى ذكر يجول لى فى خواطر الآخرين فكر لعل رحمة تتبعنى أو دعاء صالحا ينفعنى فنادانى لسان الحال لا خيل عندك تهديها ولا مال وأما الاولاد فليت صالحهم كفانى شره ووازن فى حياتى نفعه وضره فلم يبق الا علم ينفع أو افادة ترفع وقد صنف العلماء فى كل فن من العلوم ما بلغوا فيه الغايه وتدرجوا فى تقريره وتحريره من البدايه الى النهايه وعينوا معانيه متونا وشروحا وبينوا الخاوية خفاء ووضوحا مع أن دروس العلوم قد درست وحدائق رياضها ذبلت ويبست وصار الكلام فيها عيا

والمستوى فى تحقيقها وتدقيقها اليها ولم يبق لطالب العلم به انتفاع الا انه اذا احتاج الى القوت عرض كتبه لتباع غيرأن بعض كبراء العصر ورؤساء الدهر وبقايا الاكياس متشوفون لتواريخ الناس ومتطلعون لمعرفة أحوال من ساس من ذنب وراس ومتشرفون لسالف الاخبار كيف كان أمر الناس وسار ولم يكن فيما مضى من هذه الامة وانقضى من متغلبيها وبغاتها ومتمرديها وطغاتها مسلمها وكافرها مقسطها وجائرها عاتيها وموانيها مصادقها ومعاديها صالحها وطالحها سانحها وبارحها غابرها ودارجها عابرها وخارجها مثل تيمور الاعرج ولا أعبر منه فى العتو ولا أخرج سيره كلها عبر وكل عبرة منها فيها اسير أموره أظهر من أن تخفى وما أضرمه من فتائل الفتن شرقا وغربا أعظم من أن يطفا فقصدت ما ذكرته وذكرت ما قصدته وتوخيت الافادة والاعتبار لا الافتخار والاشتهار فاعترضتنى نوائب الخطوب وكشرت دون مرامى أنياب القطوب وجبهتنى يد الردع وصدمتنى قارعة المنع بأن أكبر الكبائر فى هذا الدهر الداثر أدب أديب أو فضل أريب أو علم عالم لاسيما غريب لقد كره الاديب والفقيه كراهية التحريم الا التنزيه وقد تقرر هذا فى الاذهان ورسخ ولحم الذنب اذ يداهم أوكتا وفوهم نفخ ثم ذكرتنى شانى وخاطبتنى بلسانى شعر

أتصرف غض العمر فى طلب العلى * فتظمئ أكبادا وتسهر أعينا

تقاسى صروف الدهر فقرا وغربة * وبعدا عن الاوطان للقلب موهنا

وعيلة أطفال ضعاف كأنهم * جوازل زغب أنهكتها يد الضنا

ففى مثل تلك الحال ما كنت ضائعا * وكنت بنفس فقرها واسع الغنى

الى ان حباك الله فضلا ورفعة * وحزت فنونا من علوم لها سنا

فصرت عزيزا فى البرايا مكرما * وطار الى الآفاق من صيتك الثنا

وقد سل فوق الرأس سيف مشيبه * وهل بعد هذا غير معترك الفنا

أتخشى ضياعا بعد ذلك وعيلة * فترهب من فقر وترغب فى الدنا

فتبذل وجها طالما صنت ماءه * لك الله لا تفعل وكن متمكنا

وهل فى الورى من يرتجى لملمة * وان قيل من للمكرمات يقل أنا

فصن عن جميع الخلق نفسك واتكل * على الله مولى لم يزل بك محسنا

في تم ذو نصل بصدر منشرح لحظ عنك واسترح فتضاعفت الحال تشتيتا وزاد الكبد تفتيتا وارتبكت في عزمين واشتبكت بين همين بين ان أسكت فاصبح أوان أقول فلا يسمع فقدمت رجلا وأخرت أخرى واستنهضت جواد فكري كرا وفرا فقد وافى صدق النية فيما همت وخلوص الطوية على ما عزمت وجمعت من بال متفرق وألفت من فكر متمزق من قضايا نيه والطويلة العريضة نبذه وجبذت بكف الافكار من قوس حكايته جبذه نثلت في بيانها من بديع المعاني العجيبه وسلكت وقد صرفت نحو مشرق النطق سنان الكلام عضبه رشحذت غربه فجاءت بحمد الله تعالى ظريفة المعاني كاملة الطيفة المباني فاضلتها قلت في مرآت الادب

بألفاظ ألحاظ تشير الى النهى * تعلم فن السحر كيف يكون

حوت دقة الجزل ودقته ورياقة الغزل ورقته ولطافة الادباء وظرافة الشعراء وفصاحة البلغاء وبلاغة الفصحاء وحقائق الحكماء ودقائق العلماء مع الامثال الفائقه والاستشهادات الانقه والاسطرادات الرائقه والتشبيهات الغريبه والاستعارات العجيبه ونوافث السحرة من علماء البيان ونوادر المهرة من أرباب الديوان وفرحت حلل التحمس فيها برقيق التغزل ونسجت جديد الجد بعتيق الهزل وطرزت طام ذلك كله باعلام الآيات الشريفه ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفه أصبت بكل ذلك محز القصد وطبقت بحسامه مفصل الضرب قلت في مرآة الأدب

كأن النهى قد كان عني ناعسا * فرعلى أذنيه ما أتلفظ
فذاق لهذا الشهد صدق حلاوة * ففتح عينيه وجا يتلمظ

فمن أراد التنزه في لتوارنج فعليه بمداومة تكرارها ومن قصد التفكه في رياض الانشاء فليقتطف من جنى أزهارها ومن سلك طرائق الأدب فليجن من حدائقها جنا ثمارها ومن رام التسلق الى ذروة العلوم فليتشبث بأذيال أستارها ومن طلب الاعتبار بتقلبات الزمان فليتأمل حقائق أخبارها ومن اعتنى بسياسة الملك فليتدبر دقائق أسرارها مع اني لم أوفها حقها في التهذيب ولم تزل استحقاقها في حسن الترتيب والتشذيب لكن الكلام كالدر المنتظم والدر المنسجم لابد أن

يتعانق لفظه ومعناه أولا وآخرا ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا والا اختل نظمه واعتل فهمه وانحطت منزلته وسقطت من سلم الفصاحة درجته وهذا يحتاج الى بحر ذهن صاف ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود جواهره واف وذوق أحلى من العسل وفكر امضى من الأسل ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاون صالح من النية فان غروب الأسنة ربما جاوزت الى ما ينبو على القاطبين الجبه ومن لى بذلك وأنى يتيسر لى سلوك هذه المسالك وكنت طالما أفرق سهم النظر فى بيداء التأمل نحو قنص معنى دقيق وأصوب غواص الفكر فى دأماء التدبر الى جوهر قصد رقيق حتى اذا قلت فاز القناص وحاز الغواص واذا بقاطع الشواغل قطع بترس الشواغل والحوادث على سهم خاطرى الطريق وبتمساح الهموم التهم غواص فكرى فاذا هو فى بحر الغموم غريق فتسند فى وجه قصدى المسالك وأصير من نهار أزهر الى ليل حالك قلت

فأنى أنتقى لنظم درا * ولم تظفر يدى منه بودعه

لكن لما كان الشروع ملزما واتمام ما شرعت فيه متحتما لم أر بدا من الدوام ما أسديته واصلاح ما اغتنيته فسرت فى وعوره أقع وأقوم وفى بحوره أغطس وأعوم ان راق را كد الخاطر أوحى الفكر الفاتر فتذكرت من الكلام أوائله وألحقت بكل منه ما شاكله واذا أزعجه من الزمان الجفا تكدر منه ما صفا وتبلدت الافكار وتولدت الأخطار وتساوى عند بصر البصيرة الليل والنهار قلت

أكمل كل سطر بعد شهر * وأبنى كل بيت بعد عام

فلا أضع المحمول الا وقد حمل الموضوع * ولا أذكر الخبر الا وقد نسى المبتدا

(قلت مضمنا شعرا)

والفكر كالبحر يبدى لى جواهره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

فتنخرم القاعده ويختلط رأس المال والفائده فقل لى أنى ينتظم قال وقد انفرط نظام الحال هذا وان الكلام له مقامات ولكل من الفصاحة والبلاغة درجات (قلت قد عيا مترجما)

ما استوى فى موقف افصاح منطيق ولو * قد حباه سحب سحبان وأصمى الأصمعى

فافتكر فيما ترى فى منزل أعيى الورى * هل ترى تبت تحاذى قيل يا أرض ابلعى

وأين من يوفى المقامات حقها ويعطى كل مستحق منها مستحقها ولقد سلكت فى هذا الكتاب مسلك أبناء العصر وطريقة أولاد الدهر فان الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ولو أخذت فيه أخذ العرب العرباء وألبسته فى ألفاظه ومعانيه ثوب الاستعصاء والآباء فأبرزت ما قصدته من المعانى الجزلة العجيبه فى قوالب حفلة غريبه لما التفت أحد اليه ولا عوّل لقصور الهمم والافهام عليه ولما كانت المجازات المشهوره خيرا من الحقائق المهجوره والغلط المستعمل أولى من الصواب المهمل أبرزتها فى اشارات رشيقه وعبارات رقيقه وعملت فى بعض المواضع بقوله رجز

عمدا كسوت مرهبا مغفرا * ولو أشاء حككته مجبرا

ولقد قيل

اذا أحسست فى لفظى قصورا * وخطى والبراعة والبيان

فلا ترتب بفهمى ان رقصى * على مقدار ايقاع الزمان

ثم ان بين هذا الكتاب وبين ما صنعه قبله ذوو الآداب ابونا مديدا وأمدا بعيدا بوجوه منها ان زمانهم كان بالرفاهية يساعد وأنا فى عصر لا ساعد لى فيه ولا مساعد ومنها ان وقتهم كان فيه من يربى الفضل وأهله ويحل كلا منهم محله من الملوك والاكابر وذوى الفضائل والمآثر وأرباب المناصب والمفاخر وأقل من فيهم كان يحب السماع ويميل الى الفضل والأدب بالطباع فكان الفضل فضيله والأدب خصلة جميله وأما الآن فقد انقلب بأهله الزمان فصار حامل الفضل والأدب من رهطه والمنتظم من العلم فى سلكه وسمطه كأنه سارق عملته تحت ابطه ومنها ان الافهام كانت مدركه وكانت كذلك قريحة المتكلم متحركه لقد صارت الافهام جامده والقرائح خامده ونارها هامده ومنها ان غالب ما صنف أخباره كاذبه وسهام أغراض غير صائبه لانه لا واقع يطابقه ولا خارج يوافقه فعمد مصنفه الى ما عقدته مخيلته وتوهمته مفكرته فألف حسبما أراد واسس على مقتضى اختياره ما شاد وشاد وأما هذا الكتاب فأخباره صادقه وكلماته بالصدق ناطقه اذ هى فى الواقع للخارج مطابقه فأبداها منشئ الخاطر وأعاد على طبق ما أريد منه ووفق ما أراد وليتنى فى هذا وهذا كفافا من خيرها وشرها معافى

ولئن ساعد الزمان بترفيه الحال وخلا من سكان الهموم ربع البال لأتتبعن آثاره ولأسترن بقدر الامكان عواره ولأبذلن الجهد فى ترقيحه واصلاحه وتنقيحه والا فالصفح مأمول والعذر عند خيار الناس مقبول والمسئول من صدقات ذوى الأدب البالغين فى البلاغة أعلى الرتب أن يسبلوا ذيل الاغضاء عليه وينظروا بعين الافادة والاستفادة اليه ويقيلوا العثار ويقبلوا الاعذار فيشدوا أسره ويجبروا كسره ويرقعوا خلله ويحققوا أمله راجين من لطف الله ما أرجوه منهم لعل الله سبحانه أن يعفو عنى وعنهم مع انا كلنا فى الهوى سوا وانما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى الحمد لله حمدا يملأ أركان الأمكنه ويعطر خياشيم الأزمنه وصلى الله على سيدنا محمد صلاة تبلغ قائلها أمانيه وتحله بشفاعته فى جنة الفردوس الأعلى أسكنه وعلى آله وأصحابه الذين استمعوا القول فاتبعوا أحسنه ونستغفر الله من حصائد الألسنه وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

بعون الله الملك الغفور تم طبع الكتاب المسمى بعجائب المقدور فى أخبار تيمور ولعمرى انه أتى فى فنه بالعجب العجاب وسفر عن تفاننه بكل أعجوبة وفصل وخطاب وكان تمام طبعه الفائق وتحسين وضعه الرائق بالمطبعة العامرة العثمانيه

التى محل ادارتها بمصر بحارة المراخة بخط باب الشعريه على يد

مديرها ومنشيها المتوكل على الملك الخالق الفاضل الشيخ

عثمان عبد الرازق وفاح مسك ختامه وبدر بدر تمامه

فى أوائل شهر محرم الحرام افتتاح سنة ألف

وثلاثمائة وخمس من هجرة النبى عليه

الصلاة والسلام ماتليت أخبار

واذيعت أسرار وتعاقب الليل

والنهار وغرد طير فى

الأسحار آمين

آمين

م

فهرست كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفة

ذكر

صحيفة

صحيفة

تم الفهرست